كتاب المقامات

للشيخ العالم

ابي محمد القسم بن علي بن محمد بن عثمن الحريري

طبع

في مطبع أردو گائيڈ في بندر

كلكته

باهتمام الفقير الحقير المقر بالتقصير

كبير الدين احمد

فى شهر ذي الحجه سنه ١٢٩٩ هجريه

سنه ١٨٨٢ع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الاجل الاوحد ابو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري برّد الله مضجعه

اللّهم انا نحمدك على ما علّمتَ من البيان * و الهمتَ من التبيان * كما نحمدك على ما اسبغت من العطاء * و اسبلت من الغطاء * و نعوذ بك من شرّة اللّسَن و فضول الهذَر * كما نعوذ بك من معرّة اللّكَن و فضوح الحَصَر * و نستكفي بك الافتتانَ باطراء المادح * و إغضاء المسامح * كما نستكفي بك الانتصاب لازراء القادح * و هتك الفاضح * و نستغفرك من سَوق الشهوات * الى سُوق الشبهات * كما نستغفرك من نقل الخُطُوات * الى خِطَطِ الخَطِيئَات * و نستوهب منك توفيقا قائدا الى الرشد * و قلبا متقلّبا مع الحق * و لسانا متحلّيا بالصدق * و نطقا مؤيّدا بالحجّة * و اصابةً ذائدة عن الزيغ * و عزيمةً قاهرة هوىَ النفس * و بصيرةً ندرك بها عرفان القدر * و ان تُسعدنا بالهداية الى الدراية * و تعضُدنا بالاعانة على الابانة * و تعصمنا من(١) الغواية فى الروايه * و تصرفنا عن السفاهة فى الفكاهة * حتى نأمن حصائد الالسنة * و نكفى غوائل الزخرفة * فلا نرِد موردِ مأثمه * ولانقف موقف مندمة * و لا نُرهَق بتبِعةٍ و لا معتبه * و لا نُلجأ

---

(١) عن *

الى معذرة عن بادرة * اللهم فحقّق لنا هذه المُنْيَة * و انلنا هذه البغية * و لا تفضحنا عن ظلك السابغ * و لا تجعلنا مُضغةً للماضغ * فقد مددنا اليك يد المسئلة * و انْخَنّا بالاستكانة لك و المسكنة(١) * و استنزلنا كرمك الجمّ * و منّك الذي عمّ * بضراعة الطلب و بضاعة الامل * ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر * و الشفيع المشفّع في المحشر * الذي ختمتَ به النبيّين * و اعليت درجَته في عِلّيّين * و وصفتَه في كتابك المبين * فقلت و انتَ اصدقُ القائلين * انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مُطاعٍ ثم امين (٢) * اللّهم فصلِّ عليه و على آله الهادين * و اصحابه الذين شادوا الدين * و اجعلنا لهديه و هديهم متّبعين * و انفعنا بمحبته و محبتهم اجمعين * انك على كل شيء قدير * و بالاجابة جدير * و بعد فانه قدجرى ببعض اندية الادب الذي ركَدَتْ في هذا العصر ريحُه * و خبت مصابيحُه * ذكر المقامات التي ابتدعها بديعُ الزمان * و علامة هَمَذان * رحمه الله * و عزى الى ابي الفتح الاسكندري نشاءتها * و الى عيسى بن هشام روايَتها * و كلاهما مجهول لا يعرَف * و نكرةٌ لا تتعرف * فاشار مَنْ اشارته حُكْم * و طاعته غُنْم * الى ان انشيء مقامات أتلو فيها تلوَ البديع * و ان لم يدرك الطالع شأوَ الضليع * فذاكرته بما قيل فيمن ألّف بين كلمتين * و نظم بيتا او بيتين * و استقلتُ من هذا المقام الذي فيه يحارُ الفهم * و يفرطُ الوهم * و يُسْبَرُ به غورُ العقل * و تتبيّن فيه قيمة المرء * (٣) و يُضطَرُّ صاحبه الى ان يكون

---

(١) بالاستكانه و المسكنة - (٢) - فقلت و انت اصدق القائلين - و ما ارسلناك الا رحمة للعلمين - (٣) - المرء في الفضل و يضطر *

كحاطب ليل * او جالب رَجْل و خيل * و قلّما سلم مكثار * او أُقيل له عثار * فلما لم يُسعف بالاقالة * و لا أعفى عن المقالة * لبّيتُ دعوته تلبية المطيع * و بذلت في مطاوعته جُهْدَ المستطيع * و أنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة * و فطنة خامدة * و روية ناضبة * و هموم ناصبة * خمسينَ مقامة تحتوي على جد القول و هزله * و رقيق اللفظ و جزله * و غُرَر البيان و دُرَره * و مُلَح الادب و نوادره * الى ما وشّحتُها به من الآيات * و محاسن الكنايات * و رصّعته فيها من الامثال العربيّة * و اللطائف الادبيه * و الاحاجيّ النحويه * و الفتاوي اللغوية * و الرسائل المبتكَرة * و الخُطَب المحبّرة * و المواعظ المُبْكِية * و الاضاحيك المُلهِيَة * مما امليتُ جميعه على لسان ابي زيد السَّروجي * و اسندتُّ روايته الى الحارث بن همّام البصري * و ما قصدتُّ بالاحماض فيه الا تنشيطَ قارئيه * و تكثير سواد طالبيه * و لم أُودِعه من الاشعار الاجنبية * الا بيتَيْن فذَّين أَسَّسْت عليهما بِنْيَةَ المقامة الحُلوانيّة * و آخَرَيْن توأمين ضمّنتهما خواتم المقامة الكَرَجيّة * و ما عدا ذلك فخاطري ابو عُذره * ومُقتضِبُ حُلوه و مُرِّه * هذا مع اعترافي بان البديع رحمه‌الله سبّاقُ غايات * و صاحب آيات * و ان المتصدّي بعده لانشاء مقامة * و لو أُوتي بلاغةَ قُدامَةَ * لا يغترف الا من فُضالته * و لايسري ذلك المسرى الا بدلالته * و لله در القائل * نظم

فلو قبلَ مَبكاها بكيتُ صبابة * بسُعدَى شفيتُ النفس قبل التندّم
و لكنْ بكت قبلي فهيَّج لي البكا * بكاها فقلت الفضلُ للمتقدّمِ

و ارجوا ان لا اكون في الهذَر اوردتُه * و المورد الذي توردتُّه * كالباحث عن حتفه بظِلفه * و الجادع مارِنَ انفه بكفّه * فالحقَ بالاخسرين

اعمالا * الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صُنعا * على انّي وان اغمض لي الفطن المتغابي * و نضح عني المحب المحابي * لا اكاد اخلص عن غمرٍ جاهل * اوذي غمرٍ متجاهل * يضع مني لهذا الوضع * و يندد بانه من مناهي الشرع * و من نقد الاشياء بعين المعقول * و انعم النظر في مباني الاصول * نظم هذه المقامات في سلك الافادات * و سلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات و الجمادات * ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات * و اثّم رواتها في وقت من الاوقات * ثم اذا كانت الاعمال بالنيات * و بها انعقاد العقود الدينيات * فاي حرج على من انشأ مُلَحا للتنبيه * لا للتمويه * و نحا بها منحى التهذيب * لا الاكاذيب * وهل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم * او هدى الى صراط مستقيم * شعر

على انني راضٍ بان احمل الهوى * و اخلص منه لا عليَّ و لا ليا

و بالله اعتضد * فيما اعتمد * و اعتصم * مما يصم * و استرشد * الى ما يرشد * فما المفزع الا اليه * و لا الاستعانة الا به * و لا التوفيق الا منه * و لا الموئل الا هو * عليه توكلت * و اليه انيب *

المقامة الاولى الصنعانية

حدّث الحارث بن همّام قال لمّا اقتعدتُ غارب الاغتراب * و انأتني المتربة عن الاتراب * طوّحت بي طوائح الزمن * الى صنعاء اليمن * فدخلتها خاوي الوفاض * بادي الانفاض * لا املك بلغة * و لا اجد في جرابي مضغة * فطفقت اجوب طرقاتها مثل الهائم * و اجول في حوماتها جولان الحائم * و اَرود في مسارح لمحاتي *

و مسائم غدَواتي و رَوَحاتي * كريما أخلق له ديباجتي * و ابوح اليه بحاجتي * او اديبا تفرج رؤيته غمتي * و تروي روايته غُلّتي * حتى ادتني خاتمةُ المطاف * و هدتني فاتحة الالطاف * الى ناد رحيب * محتوٍ على زحام و نحيب * فولجت غابة الجمع * لاسبُرَ مُجلِبة الدمع * فرايت في بُهرة الحلقة * شخصاشخت الخلقة * عليه اُهبَة السياحة * و له رنّة النياحة * وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه * و يقرع الاسماعَ بزواجر وعظه * و قد احاطت به اخلاطُ الزُّمَر * احاطةَ الهالة بالقمر * و الاكمام بالثمر * فدلَفتُ اليه لاقتبس من فوائده * و التقطَ بعضَ فرائده * فسمعته يقول حين خبَّ في مجاله * و هدرت شقاشق ارتجاله * ايها السادر في غُلَوائه * السادلُ ثوب خُيَلائه * الجامحُ في جَهالاته * الجانح الى خُزَعبلاته * إلامَ تستمرُّ على غيّك * و تستمرئ مرعى بَغْيك * و حتّامَ تتناهى في زهوك * ولا تنتهي عن لهوك * تُبارز بمعصيتك * مالكَ ناصيتك * و تجترئ بقُبح سيرتك * على عالِم سريرتك * و تتوارى عن قريبك * و انت بمَرأى رقيبك * و تستخفي من مملوكك * و ما تخفى خافيةٌ على مليكك * اتظنُّ ان ستنفعك حالُك * اذا آنَ ارتحالك * او ينقذك مالُك * حين تُوبقُك اعمالُك * او يغني عنك ندَمُك * اذا زلّت قدمك * او يعطف عليك معشَرك * يومَ يضُمُّك محشَرك * هلا انتهجتَ محجّةَ اهتدائك * و عجّلت معالجةَ دائك * و فللتَ شباةَ اعتدائك * وقدعت نفسك فهي اكبر اعدائك * اما الحِمام ميعادك * فما إعدادك * و بالمشيب انذارك * فما اعذارك * و في اللحد مقيلك * فما قيلك * و الى الله مصيرك * فمنْ نصيرك * طالما ايقظك الدهر فتناعست * و جذبك الوعظ فتقاعست * وتجلّت لك العبَر فتعاميت *

و حصحص لک الحق فما ريت * و اذكرك الموتُ فتناسيت * و امكنك ان تُواسي فما آسيت * تُؤثر فلسا توعيه * على ذكر تعيه * و تختار قصرا تُعليه * على برّ توليه * و ترغب عن هاد تستهديه * الى زاد تستهديه * و تُغلّبُ حبّ ثوبٍ تشتهيه * على ثواب تشتريه * يواقيت الصِّلات * اعلق بقلبک من مواقيت الصلاة * و مغالاة الصدُقات * آثرَ عندک من موالاة الصدَقات * و صحاف الالوان * اشهى اليک من صحائف الاديان * و دُعابة الاقران * آنسُ لک من تلاوة القرآن * تأمر بالعُرف و تنتهک حماه * و تحمي عن النُّكر و لا تتحاماه * و تُزحزِح عن الظلم ثم تغشاه * و تخشى الناس و الله احقّ ان تخشاه * ثم انشد نظم

تَبًّا لطالب دنيا * ثَنى اليها انصبابه
ما يستفيق غَراما * بها و فرطَ صَبابه
و لو درى لكفاه * مما يروم صُبابه

ثم انه لبَّد عَجاجتَه * و غيَّض مجاجتَه * و اعتضد شكوته * و تأبّط هراوته * فلما رنت الجماعة الى تحفُّزه * و رأت تأهبه لمزايلة مركزه * ادخل كلّ منهم يده في جيبه * فانعم له سَجْلا من سَيبه * و قال اصرِفْ هذا في نفقتک * او فرّقه على رُفْقتک * فقبِله منهم مُغْضيا * و انثنى عنهم مثنيا * و جعل يُودّع من يُشيّعه * ليخفى عليهم مهيعه * و يُسرّبُ من يتبعه * لكي يُجهَل مربعه * قال الحارث بن همّام فاتبعته مواريا عنه عياني * و قفوتُ اِثره من حيث لايراني * حتى انتهى الى مغارة * فانساب فيها على غرارة * فامهلته ريثما خلعَ نعلَيه * و غَسَل رجليه * ثم هجمت عليه * فوجدته محاذيا لتلميذ * على خُبز سَميذ * و جَدْيٍ

حنيذ * و قُبالتهما خابية نبيذ * فقلت (١) يا هذا ايكون ذاك خبرك * و هذا مَخْبَرك * فزفر زفرة القيظ * و كاد يتميّز من الغيظ * و لم يزل يُحَمْلق اليّ * حتى خفت ان يسطو عليّ * فلما ان خبت ناره * و توارى أواره * انشد نظم

لبستُ الخميصةَ ابغي الخبيصه * و انشبت شِصّي في كل شيصه
و صيّرت وعظي أحبولةً * أريغُ القنيصَ بها و القنيصه
و الجانيَ الدهرُ حتى ولجتُ * بلطف احتيالي على الليث عيصه
على انني لم اهَبْ صرفه * و لا نبضت ليَ منه فريصه
و لا شرعت بي على مَوْرِدٍ * يُدنّسُ عِرضيَ نفسٌ حريصه
و لو انصف الدهر في حكمه * لما ملّك الحكمَ اهل النقيصه

ثم قال لي ادنُ فكُلْ * و ان شئتَ فقم و قُلْ * فالتفتُّ الى تلميذه و قلت عزمتُ عليك بمن يُستدفع به الاذى * لَتُخبرني مَن ذا * فقال (٢) هذا ابو زيد السروجي سراج الغرباء * و تاج الادباء * فانصرفتُ من حيث اتيت * و قضيتُ العجب مما رأيت *

المقامة الثانية بالحلوانية

حكى الحارث بن همّامٍ قال كلفتُ مذ ميطتْ عني التمائم * و نِيطتْ بي العمائم * بان اغشى مَعانَ الادب * و انضيَ اليه ركابَ الطلب * لاَعلق منه بما يكون لي زينةً بين الانام * و مُزنةً عند الأُوام * و كنت لفرط اللّهج باقتباسه * و الطمع في تقمّص لباسه * اُباحث كل من جلَّ و قلّ * و استسقي الوبْلَ و الطلَّ * و اتعلّل بعسى و لعلَّ * فلمّا حلَلْت حُلوان * و قد بلوتُ الاخوان * و سبرت

(١) فقلت له (٢) فقال لي *

الاوزان * و خبرت ما شان و زان * الفيتُ بها ابا زيدٍ السروجيّ
يتقلب في قوالب الانتساب * و يخبط في اساليب الاكتساب *
فيدّعي تارةً انه من آل ساسان * و يعتزي مرةً الى أقيال غسّان *
و يبرز طورا في شعار الشعراء * و يلبس حينا كبْر الكبراء * بيدَ انه
مع تلون حاله * و تبيّن محاله * يتحلّى برواءٍ و رواية * و مداراةٍ
و دراية * و بلاغةٍ رائعة * و بديهة مطاوعة * و آداب بارعة *
و قدم لاعلام العلوم فارعة * فكان لمحاسن آلاته * يُلبَسُ على علّاته *
و لسعة روايته * يُصبى الى رؤيته * و لخلابة عارضته * يرغَب عن
معارضته * و لعذوبة ايراده * يُسعَف بمراده * فتعلّقت باهدابه *
لخصائص آدابه * و نافستُ في مصافاته * لنفائس صفاته * شعر
فكنت به اجلو همومي و اجتلي * زماني طلقَ الوجه ملتمع الضيا
أرى قربهُ قربى و مغناه غنية * و رؤيته ريّا و محياه لى حيا
و لبثنا على ذلك برهة * ينشئ لى كلّ يوم نزهة * و يدرأ عن
قلبي شبهة * الى ان جدحت له يدُ الاملاق * كاس الفراق * و
اغراه عدمُ العُراق * بتطليق العراق * و لفظته معاوز الارفاق * الى
مفاوز الآفاق * و نظمه في سلك الرفاق * خفوق راية الاخفاق *
فشحذ للرّحلة غرار عزمته * و ظعن يقتاد القلب بازمّته * نظم
فما راقني مَنْ لاقني بعد بعده * و لا شاقني مَنْ ساقني لوصاله
و لا لاح لي مذ ندّ ندٌّ لفضله * و لا ذو خلالٍ حاز مثلَ خلاله
و استسرّ عني حينا * اعرف له عرينا * و لا اجد عنه مبينا * فلما
أبت من غربتي * الى منبت شعبتي * حضرت دار كتبها التي
هى منتدى المتأدّبين * و ملتقى القاطنين منهم و المتغرّبين *
فدخل ذو لحية كثّةٍ * و هيأة رثّةٍ * فسلّم على الجُلّاس * و جلس

في أُخريات الناس * ثم اخذ يُبدي ما في وِطابه * و يُعجب الحاضرين بفصل خطابه * فقالِ لمن يليه * ما الكتاب الذي تنظم فيه * فقال ديوان ابي عُبادة * المشهود له بالاجادة * فقال هل عثرتَ فيما لمحتَه * على بديع استملحتَه * فقال نعم قوله شعر

كانما يبسمُ عن لؤلوء * منضّد او بَرَد او آقاح

فانه ابدع في التشبيه * المودعِ فيه * فقال له ياللعجب * و لضيعة الادب * لقد استسمنْت يا هذا ذا وَرَم * و نفخت في غير ضَرَم * اين انت عن البيت النذر * الجامع مشبّهات الثغر * و انشد نظم

نفسي الفداء لثَغْر راقَ مَبسمُه * و زانه شَنَبٌ ناهيك من شَنَب
يفتّرُ عن لؤلؤ رَطْب و عن بَرَد * و عن آقاح و عن طلْع و عن حَبَب

فاستجاده مَنْ حضَر و استحلاه * و استعاده منه و استملاه * وسُئل لمن هذا البيت * و هل حي قائله ام مَيت * فقال أَيْمُ الله لَلحقُّ احق ان يُتّبع * ولَلصدق حقيق بان يُستَمع * انه ياقوم * لَنجيُّكم مُذُ اليوم * قال فكأنّ الجماعة ارتابت بعزوته * و ابتْ تصديقَ دعْوته * فتوجّس ما هجَس في افكارهم * و فطَن لما بطنَ من استنكارهم * و حاذر ان يفرُط اليه ذمٌّ * او يلحقه وصمٌ * فقرأ انّ بعض الظن إثمٌ * ثم قال يا رُواةَ القريض * و أُساةَ القول المريض * ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبْك * و يدُ الحق تصدَع رداء الشك * و قد قيل فيما غبَر من الزمان * عند الامتحان * يُكرَم الرجل أو يُهان * و ها انا قد عرَّضت خبيئتي للاختبار * و عرَضْت حقيبتي على الاعتبار * فابتدر * احد مَنْ حضر * و قال اَعْرِف بيتا لم يُنسج على منواله * ولا سمحت قريحة

بمثاله * فان آثرتَ اجتلابَ القلوبَ * فانْظِم على هذا الاسلوب * و انشد

شعر

فامطرتْ لؤلؤا من نرجسٍ فسقتْ * وردا و عضّت على العُنّاب بالبَرَد

فلم يكن الا كلمح البصر او اقرب * حتي انشد و اغرب * نظم

سألتُها حين زارت نضوَ بُرقعها * القاني وايداعَ سمعي اطيبَ الخَبَر

فزحزحت شفقا غشّى سنا قمر * و ساقطت لؤلؤا من خاتم عَطِر

فحار الحاضرون لبداهته * و اعترفوا بنزاهته * فلما آنس استئناسَهم

بكلامه * و انصبابَهم الى شعب اكرامه * اطرق كطرفة العين * ثم

قال و دونكم بيتين آخرين * و انشد * نظم

و اقبلت يوم جدّ البينُ في حُلَلٍ * سودٍ تعضُّ بنان النَادم الحصر

فلاحَ ليلٌ على صبحٍ اقلّهما * غصن و ضرّستِ البلّور بالدُرَر

فحينئذ استسنى القوم قيمته * و استغروا ديمته * و اجملوا

عشرته * و جمّلوا قشرته * قال المخبر بهذه الحكاية * فلما رايتُ تلهُّبَ

جذوته * و تألّق جلوته * امعنتُ النظر في توسّمه * و سرّحت

الطرف في ميْسمه * فاذا هو شيخنا السروجيُّ * و قد اقمر ليله

الدّجوجيُّ * فهنّأتُ نفسي بموردهِ * و ابتدرتُ استلامَ يدهِ * و قُلت

له ما الذي احال صفتك * حتى جهلتُ معرفتك * و ايّ شئٍ

شيّب لحيتك * حتى انكرتُ حليتك * فانشاء يقول * نظم

وقْعُ الشوائب شيّبْ * و الدهر بالناس قُلّبْ

ان دانَ يوما لشخص * ففي غد يتغلّب

فلا تثقْ بوميض * من برقه فهو خُلّب

و اصبْر اذا هو اضرى * بك الخطوبَ و الّب

فما على التبر عار * في النار حين يقلّب

ثم نهض مفارقا موضعه * و مستصحبا القلوب معه *

المقامة الثالثة القيلية

روى الحارث بن همام * قال نظمني و اخدانا لي نادٍ * لم يخب فيه مناد * و لا كبا قدح زناد * و لا ذكت نارُ عناد * فبينا نحن نتجاذب اطراف الاناشيد * ونتوارد طُرَفَ الاسانيد * إذ وقف بنا شخص عليه سَمَل * و في مشيه قَزَل * فقال يا اخاير الذخاير * و بشائر العشائر * عِموا صباحا * و انعموا اصطباحا * و انظروا الى من كان ذا نديّ و ندًى * و جِدَةٍ وجدًى * و عَقار و قُرى * و مَقار و قرى * فما زال به قطوب الخطوب * و حروب الكروب * و شرر شرّ الحسود * و انتياب النُّوَب السود * حتى صفرت الراحة * و قرعت الساحة * و غار المنبع * و نبأ المربع * و اقوى المجمع * و اقضّ المضجع * و استحالت الحال * و اعول العيال * وخلت المرابط * و رحم الغابط * و اودى الناطق و الصامت * و رثى لنا الحاسد و الشامت * و آلنا للدهر المُوقع * والفقر المُدْقع * الى أن احتذينا الوجى * و اغتذينا الشجى * و استبطنا الجوى * و طوينا الاحشاء على الطوى * و اكتحلنا السهاد * و استوطنا الوهاد * و استوطأنا القتاد * و تناسينا الاقتاد * و استطبنا الحين المجتاح * و استبطانا اليوم المتاح * فهل من حرٍ آسٍ * او سمح مُواس * فوالذي استخرجني من قَيْلة * لقد امسيت اخا عَيلة * لا املك بيت ليلة * قال الحارث بن همام فاويتُ لمفاقره * و لويتُ الى استنباط فِقَره * فابرزت له دينارا * و قلت له اختبارا * ان مدحته نظما * فهو لك حتما * فانبرى ينشد في الحال * من غير انتحال *

نظم

أَكْرِمْ بهِ اصفرَ راقتْ صُفرتُهُ * جوّابَ آفاقٍ ترامت سَفْرتُهُ
مأثورةً سمعتُهُ و شُهرتُهُ * قد أُودعتْ سرَّ الغنى اسرّتُهُ
وقارنتْ نجحَ المساعي خطرتُهُ * و حُبّبَتْ الى الانام غرّتُهُ
كأنما من القلوب نُقرتُهُ * بهِ يصولُ من حوتْه صُرّتُهُ
وان تفانت او توانت عترتُهُ * يا حبّذا نُضارُهُ و نضرتُهُ
و حبّذا مغناتُهُ و نصرتُهُ * كم آمرٍ بهِ استتبّتْ إمرتُهُ
و مُترَفٍ لولاه دامت حسرتُهُ * و جيشِ همٍّ هزمتهُ كرّتُهُ
و بدرِ تمٍّ انزلتهُ بدرتُهُ * و مستشيطٍ تتلظى جمرتُهُ
اسرَّ نجواه فلانت شِرّتُهُ * و كم اسيرٍ اسلمتهُ اسرتُهُ
انقذهُ حتى صفت مسرّتُهُ * و حقِّ مولى ابدعتهُ فطرتُهُ

لولا التقى لقلت جلّتْ قدرتُهُ

ثم بسط يده * بعد ما انشده * و قال أنجزَ حرٌّ ما وعد * و سحَّ خالٌ اذ رعد * فنبذت الدينار اليه * و قلت خذه غير ماسوف عليه * فوضعه في فيه * و قال بارك اللهم فيه * ثم شمّر للانثناء * بعد توفية الثناء * فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام * سهّلت عليّ ائتناف اغترام * فجردت (١) دينارا آخر و قلت هل لك في ان تذمّه * ثم تضمّه * فانشد مرتجلا * و شدا عجلا * نظم

تبًّا له من خادعٍ ممـاذقِ * أصفرَ ذي وجهين كالمنافقِ
يبدو بوصفين لعين الرامقِ * زينةِ معشوقٍ و لونِ عاشقِ
و حبُّه عند ذوي الحقائقِ * يدعو الى ارتكاب سخط الخالقِ
لولاه لم تُقطَع يمينُ سارقِ * و لا بدت مظلمةٌ من فاسقِ

(١) ـ فجردت له *

و لا اشمأزّ باخل من طارق * و لا شكا الممطول مطل العائق
و لا استعيذ من حسود راشق * و شر ما فيه من الخلائق
آن ليس يغني عنك في المضائق * الا اذا فرّ فرارَ الآبق
واها لمن يقذفه من حالق * ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق * لا رأى في وصلك لي ففارق

فقلت له ما اغزر وبلك * فقال و الشرط املك * فنفحته بالدينار الثاني * وقلت له عوّذهما بالمثاني * فالقاه في فمه * و قرنه بتوأمه * وانكفأ يحمد مغداه * و يمدح النادي و نداه * قال الحارث بن همام فناجاني قلبي بانه ابو زيد * و انّ تعارُجَه لكيد * فاستعدته و قلت له قد عرفتَ بوشيك * فاستقم في مشيك * فقال ان كنت ابن همام * فحُيّيتَ باكرام * و حَييت بين كرام * فقلت انا الحارث * فكيف حالك و الحوادث * فقال اتقلّب في الحالين بؤس و رخاء * و انقلب مع الريحين زعزع و رُخاء * فقلت فكيف ادّعيت القَزَل * و ما مثلك من هزَل * فاستسرّ بشرُه الذي كان تجلى * ثم انشد حين ولى * نظم

تعارجتُ لا رغبةً في العرج * و لكن لاقرع باب الفرَج
و اَلقِيَ حبلي على غاربي * واسلُك مسلَك من قد مَرَج
فان لامني القوم قلت اعذروا * فليس على اعرَج من حرَج

المقامة الرابعة الدمياطية

اخبر الحارث بن همام * قال ظعنت الى دمياط * عام هياطٍ و مِياط * و انا يومئذ مرموق الرخآء * مَرموق الاخآء * اسحبُ مطارف الثرآء * و اجتلي معارف السرّآء * فرافقت صحبا

قد شقوا عصا الشقاق * و ارتضعوا افاويق الوفاق * حتى لاحوا كاسنان المشط في الاستواء * و كالنفس الواحدة في التيام الاهواء * و كنا مع ذلك نسير النجاء * و لا نرحل الا كل هوجاء * و اذا نزلنا منزلا * او وردنا منهلا * اختلسنا اللبث * و لم نطل المكث * فعنَّ لنا اعمال الركاب * في ليلة فتية الشباب * غدافية الاهاب * فاسرينا الى ان نضا الليل شبابه * و سلت الصبح خضابه * فحين مللنا السرى * و ملنا الى الكرى * صادفنا ارضا مخضلة الربا * معتلة الصبا * فتخيرناها مناخا للعيس * و محطا للتعريس * فلما حلها الخليط * و هدأ بها الاطيط و الغطيط * سمعت صيتا من الرجال * يقول لسميره في الرحال * كيف حكم سيرتك * مع جيلك و جيرتك * فقال ارعي الجار * و لو جار * و ابذل الوصال * لمن صال * و احتمل الخليط * و لو ابدى التخليط * و اود الحميم * و لو جرعني الحميم * و افضل الشفيق * على الشقيق * وافي للعشير * و ان لم يكافي بالعشير * و استقل الجزيل * للنزيل * و اغمر الزميل * بالجميل * و انزل سميري * منزلة اميري * و احل انيسي * محل رئيسي * و اودع معارفي * عوارفي * و اولي مرافقي * مرافقي * و الين مقالي * للقالي * و اديم تسآلي * عن السالي * و ارضى من الوفاء * باللفاء * و انقع من الجزاء * باقل الاجزاء * و لا انظلم * حين اظلم * و لا انقم * و لو لدغني الارقم * فقال له صاحبه ويك يا بني انما يضن بالضنين * و ينافس في الثمين * لكن انا لا آتي * غير المواتي * و لا اسم العاني * بمراعاتي * و لا اصافي * من يأبى انصافي * و لا اواخي * من يلغي الاواخي * و لا اماني * من يخيب آمالي * و لا ابالي *

بمن صرم حبالي * ولا أداري * من جهل مقداري * ولا أعطي زمامي * من يخفر ذمامي * ولا ابذل ودادي * لاضدادي * ولا ادع ايعادي * لمعادي * ولا اغرس الايادي * في ارض الاعادي * ولا اسمح بمواساتي * لمن يفرح بمساآتي * ولا ارى التفاني * الى من يشمت بوفاتي * ولا اخص بحبائي * الا احبائي * ولا استطب لدائي * غير اودائي * ولا املك خلتي * من لا يسد خلتي * ولا اصفي نيتي * لمن يتمنى منيتي * ولا اخلص دعائي * لمن لا ينفعم وعائي * ولا افرغ ثنائي * على من يفرغ انائي * ومن حكم بان ابذل وتخزن * وآلين وتخشن * واذوب وتجمد * واذكو وتخمد * لا والله بل نتوازن في المقال * وزن المثقال * ونتحاذى في الفعال * حذو النعال * حتى نأمن التغابن * ونكفى التضاغن * والا فلم أعلك وتعلني * واقلك وتستقلني * واجترح لك وتجرحني * واسرح اليك وتسرحني * وكيف يجتلب انصاف بضيم * واني تشرق شمس مع غيم * ومتى اصحب ود بعسف * واي حر رضي بخطة خسف * ولله ابوك حيث يقول * نظم

جزيت من اعلق بي وده * جزاء من يبني على اسه
وكلت للخل كما كال لي * على وفاء الكيل او بخسه
ولم اخسره وشر الورى * من يومه اخسر من امسه
وكل من يطلب عندي جنى * فما له الا جنى غرسه
لا ابتغي الغبن ولا انثني * بصفقة المغبون في حسه
ولست بالموجب حقا لمن * لا يوجب الحق على نفسه
ورب مذاق الهوى خالني * اصدقه الود على لبسه

وما درى من جهله انني * أقضي غريمي الدين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلى * و هبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة * لباس من يرغب عن أنسه
و لا ترج الود ممن يرى * أنك محتاج الى فلسه
قال الحارث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما * تقت الى
ان اعرف عينهما * فلما لاح ابن ذكاء * و الحف الجو الضياء *
غدوت قبل استقلال الركاب * و لا اغتداء الغراب * و جعلت
أستقري صوب الصوت الليلي * و أتوسم الوجوه بالنظر الجلي *
الى ان لمحت ابا زيد و ابنه يتحادثان * و عليهما بردان رثان *
فعلمت انهما نجيا ليلتي * و صاحبا روايتي * فقصدتهما قصد كلف
بمداناتهما راث * لرثاثتهما * وابتغيتهما التحول الى رحلي * و التحكم
في كثري و قلي * و طفقت أسير بين السيارة فضلهما * و أهز
الاعواد المثمرة لهما * حتى غمرا بالنحلان * و اتخذا من الخلان *
و كنا بمعرس نتبين منه بنيان القرى * نتنور نيران القرى * فلما
رأى ابو زيد امتلاء كيسه * و انجلاء بؤسه * قال لي ان بدني قد
اتسخ * و درني قد رسخ * افتأذن لي في قصد قرية الاستحمام *
و أقضي هذا المهم * فقلت اذا شئت فالسرعة السرعة * و
الرجعة الرجعة - فقال ستجد مطلعي عليك * اسرع من ارتداد
طرفك اليك * ثم استن استنان الجواد في المضمار * و قال لابنه
بدار بدار * و لم نخل انه غر * و طلب المفر * فلبثنا نرقبه
رقبة اهلة الاعياد * و نستطلعه بالطلائع و الرواد * الى ان هرم
النهار * و كاد جرف اليوم ينهار * فلما طال امد الانتظار * و
لاحت الشمس في الاطمار * قلت لاصحابي قد تناهينا في المهلة *

و تمادينا فى الرحلة * الى ان اضعنا الزمان * و بان ان الرجل مان * فتأهّبوا للظّعَن * و لا تلووا على خضرآء الدِّمَن * و نهضت لاحدِج راحلتي * و اتحمل لرحلتي * فوجدت ابا زيد قد كتب * على القتب * نظم

يا من غدا لي ساعدا * و مساعدا دون البشر
لا تحسبنّ اني نأيـ * ـتك عن ملال او اَشَر
لكنني مذ لم ازل * ممن اذا طَعِمَ انتشر

قال فاقرأت الجماعة القَتَب * ليعذره من كان عَتَب * فاعجبوا بخرافته * و تعوذوا من آفاته * ثم انا ظَعَنا * و لم ندر من اعتاض عنا *

المقامة الخامسة الكوفية

حكى الحارث بن همام قال سمرتُ بالكوفة فى ليلة اديمها ذو لونين * و قمرها كتعويذ من لُجَيْن * مع رُفقة غُذوا بلبان البيان * و سحبوا على سحبانَ ذيلَ النسيان * ما فيهم الا من يُحفَظ عنه * و لا يتحفظ منه * و يميل الرفيقُ اليه و لا يميل عنه * فاستهوانا السَّمر * الى ان غرب القمر * و غلَب السهَر * فلما روَّق الليل البهيم * و لم يبق الا التهويم * سمعنا من الباب نبأةَ مُستنبح * ثم تلتها صَكّة مستفتح * فقلنا من المُلمّ * فى الليل المدلهمّ *

فقال * نظم

يا اهل ذا المَغنى وقيتم شرًّا * و لا لقيتم ما بقيتم ضُرًّا
قد دفع الليل الذي اكفهرًّا * الى ذريكم شَعِثًا مُغبرًّا
اخا سِفارٍ طال و اسبطرًّا * حتى انثنى مُحقوقفًا مصفرًّا

مثل هلال الافق حين انفترا * و قد عرا فناءكم معتـرا
و أمّكم دون الانام طُرّا * يبغي قرًى منكم و مُستقرّا
فدونكم ضيفا قنوعا حُرّا * يرضى بما احلولى و ما امرّا
و ينثني عنكم يُنُثّ البِرّا *

قال الحارث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه * و علمنا ما وراء برقه * ابتدرنا فتح الباب * و تلقيناه بالترحاب * و قلنا للغلام هَيّا هيّا * وهلُمّ ما تهيّا * فقال الضيف والذي احلني ذَرَاكم * لا تلمظت بقِراكم * او تضمّنوا لي ان لا تتخذوني كلّا * و لا تجشموا لاجلي أكلا * فرب أكلة هاضت الآكل * و حرمته مآكل * و شر الاضياف من سام التكليف * وآذى المضيف * و خصوصا اذًى يعتلق بالاجسام * و يفضي الى الاسقام * وما قيل في المثل الذي سار سايره * خير العَشاء سوافره * الا ليعجل التعشي * و يجتنب اكل الليل الذى يعشي * اللهم الا ان تقد نار الجوع * و تحول دون الهجوع * قال فكأنه اطلع على ارادتنا * فرمى عن قوس عقيدتنا * لاجرم انا آنسناه بالتزام الشرط * واثنيناه على خُلقه السبط * فلما احضر الغلام ما راج * و اذكى بيننا السراج * تأملته فاذا هو ابو زيد فقلت لصحبي لِيَهْنِكم الضيفُ الوارد * بل المغنم البارد * فان يكن أفل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر * او استسرّ بدر النثرة فقد تبلّج بدر النثر * فسرت حُمَيّا المسرة فيهم * و طارت السِّنَة عن مآقيهم * و رفضوا الدعة التي كانوا نَوَوْها * و ثابوا الى نشر الفكاهة بعد ما طَوَوْها * و ابو زيد مُكِبّ على اعمال يديه * حتى اذا استرفع ما لديه * قلت له اطرفنا بغريبة من غرائب

اسمارك * او عجيبة من عجائب اسفارك * فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون * و لارواه الراوون * و ان من اعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم * و مصيري الى بابكم * فاستخبرناه عن طُرفة مرآه * في مسرح مسراه * فقال ان مرامي الغربة* لفظتني الى هذه التربة * و انا ذو مجاعة و بوسى * و جراب كفؤاد أمّ موسى * فنهضت حين سجا الدجى * على ما بي من الوجى * لارتاد مُضيفا * او اقتاد رغيفا * فساقني حادي السغب * و القضاء المكنى اباالعجب * الى ان وقفت على باب دار * فقلت على بدار *

نظم

حُيّيتُمُ يا اهل هذا المنزلِ * وعشتُمُ في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مُرمِلِ * نِضوِ سُرًى خابطِ ليلٍ أليل
جوى الحشى على الطوى مشتمل * ما ذاق مذ يومان طعمَ مأكل
و لا له في ارضكم من موئل * و قد دجى جنح الظلام المُسبَل
و هو من الحيرة في تململ * فهل بهذا الربع عذبُ المنهل
يقول لي الق عصاك و ادخل * ابشر بِبِشر و قِرًى معجل

قال فبرز اليَّ جُوذر * و عليه شوذرٌ * و قال * نظم

و حرمة الشيخ الذي سنَّ القِرى * و اسَّس المحجوجَ في أمّ القُرى
ما عندنا لطارق اذا عرى * سوى الحديث والمُناخ في الذرى
و كيف يقري من نفى عنه الكرى * طوي برى اعظُمَه لما انبرى

فما ترى فيما ذكرتُ ما ترى

فقلت ما اصنع بمنزل قَفْر * و مُنزل حِلفِ فَقْر * و لكن يا فتى ما اسمك * فقد فتنني فهمُك * فقال اسمي زيد * و منشائي فيد * و وردت الى هذه المَدَرة امس * مع اخوالي من بني

عَبَسَ * فقلت له زدني ايضاحا عِشْتَ * و نُعِشْتَ * فقال
اخبرتني اُمي بَرَّة * و هي كاسمها بَرَّة * انها نكحت عام الغارة
بماوان * رجلا من سَراة سَروج و غَسَّان * فلما آنس منها
الاثقال * و كان باقعةً على ما يقال * ظَعَن عنها سرا * و هلم جرًّا
فما يعرف احَيٌّ هو فيُتوقَّع * ام اُودِعَ اللحدَ البلقع * قال ابو زيد
فعلمت بصحة العلامات انه ولدي * و صَدفني عن التعرف اليه
صِفْرُ يدي * ففصلت عنه بكبدٍ مرضوضة * و دموع مفضوضة * فهل
سمعتم يا اولي الالباب * باعجب من هذا العُجاب* قلنا لا و من
عنده علم الكتاب * فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق * و خلِّدوها
بطون الاوراق * فما سُيِّر مثلها في الافاق * فاحضرنا الدواة و اَساوِدها *
و رقشنا الحكاية على ما سردها * ثم استنبطناه عن مرتآه في استضمام
فتاه * فقال اذا ثقُل رُدني * خفَّ عليَّ ان اكفُل ابني * فقلنا
ان كان يكفيك نصاب من المال * ألَّفناه لك في الحال * فقال
و كيف لا يُقنعُني نصاب * وهل يحتقر قدره اِلَّا مصاب * قال
الراوي فالتزم منه كل منا قسطا * و كتب له به قِطًّا * فشكر
عند ذلك الصنع * و استنفد في الثناء الوسع * حتى اننا استطلنا
القول * واستقللنا الطول * ثم انه نشر من وشي السمر * ما ازرى
بالحِبَر * الى ان اظل التنوير * و جشر الصبح المنير * فقضيناها
ليلة غابت شوائبها * الى ان شابت ذوائبها * وكمُلَ سُعودُها *
الى ان انفطر عودها * و لما ذَرَّ قرن الغزالة * طمَر طُمور الغَزالة *
و قال انهَض بنا لنقبض الصلات * و نستنضَّ الاحالات * فقد
اسطارت صدوعُ كبدي * من الحنين الى ولدي * فوصلت
جناحه * حتى سَنَّيتُ نجاحه * فحين احرز العين في صرَّته *

برقت اسارير مسرته * و قال لى جزيتَ خيرا عن خُطا قدميك * و الله خليفتي عليك * فقلت أريد ان اتبعك لاشاهد ولدك النجيب * و أنانثه لايما تجيب * فنظر اليَّ نظرةَ الخادع الى المخدوع * وضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع * ثم انشد * نظم

يا من تظنَّى السراب ماء * لماَّ رَوَيتُ الذي رويتُ
ما خلت ان يستسرَّ مكري * و ان يُخيلَ الذي عنيتُ
و الله ما برَّة بعرسي * و لا لىَ ابنٌ به اكتنيتُ
و انما لى فنونُ سحر * ابدعتُ فيها و ما اقتديتُ
لم يحكها الاصمعيُّ فيما * حكى و لا حاكها الكُمَيتُ
تخذتُها وُصْلةً و الى ما * تجنيه كفّي متى اشتهيتُ
و لو تعافيتُها لحالت * حالي و لم احوِ ما حويتُ
فمهِّدِ العُذرَ او فسامح * ان كنتُ اجرمتُ او جنيتُ

ثم انه ودعني و مضى * و اودع قلبي جمْرَ الغَضا *

المقامة السادسة المراغية و تعرف بالخيفاء

روى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة * و قد جرى به ذكرُ البلاغة * فاجمع من حضر من فرسان اليراعة * و ارباب البراعة * على انه لم يبق من يُنَقِّح الانشاء * و يتصرَّف فيه كيف شاء * و لا خلَف * بعد السلف * من يبتدع طريقةً غرَّاء * او يفترعُ رسالةً عذراء * و انَّ المفلقَ من كُتَّاب هذا الاوان * المتمكّن من ازمة البيان * كالعيال على الاوائل * و لو ملك فصاحة سحبان

وائل * وكان بالمجلس * كثل جالس فى الحاشية * و عند مواقف الحاشية * فكان كلما شطّ القوم في شوطهم * ونثروا العَجْوة والعجوة من نَوْطهم * يذبى تخازرُ طرفه * و تشامُخ انفه * انه مُخْرَنْبق لينباع * ومُجْرَمِزٌ سيمُدّ الباع * و نابض يبرى النبال * و رابض يبغى النضال * فلما نُثلت الكنائن * و فاءت السكائن * و ركدت الذعازع * و كفّ المُنازع * اقبل على الجماعة و قال لقد جئتم شيئًا اِدًّا * وجرتم عن القصد جدًّا * و عظمتم العظام الرُّفات * و افنتم فى الميل الى من فات * و غمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللّدات * و معهم انعقدت المودات * انسيتم يا جهابذة النقد * و موابذة الحل و العقد * ما ابرزته طوارف القرائح * و بَرّز فيه الجذع على القارح * من العبارات المهذبة * والاستعارات المستعذبة * و الرسائل الموشحة * و الاساجيع المستملحة * و هل للقدماء اذا انعم النظر * من حضر * غير المعانى المطروقة الموارد * المعقولة الشوارد * المأثورة عنهم لتقادم الموالد * لا لتقدم الصادر على الوارد * و انى لاعرف الان من اِذا انشأ * وشّى * و اِذا عبّر * حبّر * و اذا اسهب اذهب * و اذا اوجز * اعجز * و ان بدَهَ * شدَهَ * و متى اخترع * خرعَ * فقال له ناظورة الديوان * و عين اولئك الاعيان * من قارعُ هذي الصَّفاة * و قريعُ هذه الصفات * قال انه قرنُ مجالك * و قرين جدالك * و اذا شئت فرُضْ نجيبا * و ادع مُجيبا * لترى عجيبا * فقال له يا هذا ان البغاث بارضنا لاتستنسر * و التمييز عندنا بين الفضة و القِضّة متيسّر * و قلّ من استهدف للنضال * فخلَص من الداء العُضال * او استثار نقع الامتحان * فلم يقذ بالامتهان * فلا تعرض عرضك للمفاضح * و لا تعرض عن نصاحة الناصح * فقال كل

امرء اعرف بوسم قدحه * و سيتفرّى الليل عن صبحه * فتناجت الجماعة فيما يُسبَّر به قليبه * و يعمد فيه تقليبُه * فقال احدهم ذروه في حصّتي * لارميه بحجر قصتي * فانها عُضْلة العُقَد * محكّ المنتقد * فقلّدوه في هذا الامر الزعامة * تقليد الخوارج ابا نعامة * فاقبل على الكهل و قال اعلم انّى أُوالي * هذا الوالي * و أُوقّح حالي * بالبيان الحالي * و كنت استعينُ على تقويم أَوَدي * في بلدي * بسَعَةِ ذاتِ يدي * مع قلة عددي * فلما ثقل حاذي * و نفذ رذاذي * اممتُه من ارجائي * برَجائي * و دعوته لاعادة رُوائى * و اروائي * فهش للوفادة و ارتاح * و غدا بالافادة و راح * فلما استأذنته في المَراح * الى المُراح * على كاهل المِراح * قال قد ازمعتُ ان لا ازودك بتاتا * و لا اجمع لك شتاتا * او تُنشئَ امامَ ارتحالك * رسالةً تودعها شرح حالك * حروف احدَى كلمتَيها يعمُّها النَّقْطُ * و حروف الاخري لم يُعجمنَ قطٌّ * و قد استانيتُ بياني حولا * فما احار قولا * و نبّهت فكري سَنَةً * فما ازداد الا سِنَةً * و استعنتُ بقاطبة الكُتَّاب * فكل منهم قطَّبَ و تاب * فان كنتَ صدعت عن وصفك باليقين * فأت بآية ان كنت من الصادقين * فقال له لقد استسعيت يعبوبا * و استسقيت أسكوبا * و اعطيت القوس باريها * و انزلت الدار بانيها * ثم فكّر رَيْثَما استجمّ قريحته * و استدرّ لقحته * و قال له الْقِ دَوَاتك * و خذ اداتك * و اكتب * (١)

الكرمُ ثبَّت اللهُ جيش سعودك يزين * و اللوُم غَضَّ الدهرُ جفنَ حسودك يَشين * و الاروعُ يُثيب * و المعورُ يَخيب *

---

(١) - واكتب * ومن سوء الظن فتب *

و المُعلي يضيف * و الماحل يُخيف * و السمح يُغذي *
و المَحك يُقذي * و العطاء يُنجي * و المِطال يُشجي * و الدعاء
يقي * و المدح يُنقي * و الحُرّ يجزي * و الالطاط يُخزي * و اطّراح
ذي الحرمة غيّ * و محرمة بني الامال بغْي * و ما ضَنّ الا
غَبين * و لا غَبَنَ الا ضنين * و لا خزَن الا شقي * و لا قبض راحه
نقي * و ما فتئ وعدك يفي * و آراؤك تشفي * و حملك
يغضي * و هلالك يضيء * و آلاؤك تغذي * و اعداؤك تثني *
و حُسامك يفني * و سوددك يبني * و مواصلك يجتني *
و مادحك يقتني * و سماحُك يُغيث * و سماؤك تغيث * و درّك
يفيض * و ردّك يغيض * و مؤمّلك شيخ حكاه فيْء * و لم يبق
له شيء * اَمّك بظنّ حرصه يثب * و مدحك بنُخَب مهورُها
تجب * و مرامه يخفّ * و آواصره تشفّ * و اطراؤه يُجتذب *
و ملامه يُجتنب * و وراءه ضفف * مسّهم شظف * و حصّهم جنَف *
و عمّهم قشف * و هو في دمع يجيب * و ولَه يُذيب * و همّ
تضيّف * و كمد نيّف * لمامول خيّب * و اعمال شيّب *
و عدوّ ديّب * و هدوّ تغيّب * و لم يزغ ودّه فيغضب * و لا خبث
عوده فيقضب * و لا نفث صدره فينفض * و لا نشز وصله
فيبغض * و ما يقتضي كرمك نبْذ حُرَمه * فبيّض امله بتخفيف
المه * ينُثّ حمدك بين عالمه * بقيت لاماطة شجب * و اعطاء
نشب * و مداواة شجن * و مراعاة يفن * موصولا بخفض *
و سرور غضّ * ما غشي معهدَ غنيّ * و خشي وسمُ غبيّ *
و السلام * فلما فرغ من املاء رسالته * و جلّى في هيجاء
البلاغة عن بسالته * ارضته الجماعة فعلا و قولا * و اوسعته حفاوة

وطَوْلا * ثم سئل من اي الشعوب نِجارهُ * و في اي الشعاب وِجارهُ

فقال * نظم

غَسَّانُ أُسرتيَ الصميمه * و سَروجُ تربُتيَ القديمه

والبيت مثل الشمس اش * راقا و منزلة جسيمه

و الرَّبع كالفردوس مَطْـ * ـيبةً و منزهة و قيمه

واهًا لعيش كان لي * فيها و لذات عميمه

ايام اسحبُ مُطرفي * في روضها ماضي العزيمه

اختالُ في بُرد الشبا * ب واجتلي النعم الوسيمه

لا اتقي نوب الزما * ن و لا حوادثه المُليمه

فلَوَ انَّ كربا متلفٌ * لَتَلفتُ من كربي المقيمه

او يُفتدى عيشٌ مضى * لفَدَّتْه مهجتيَ الكريمه

فالموت خير للفتى * من عيشه عيشَ البهيمه

تقتاده بُرَّةُ الصغا * رالى العظيمة و الهضيمه

و يرى السباع تنوشها * ايدي الضباع المستضيمه

و الذنب للايام لو * لا شومها لم تنبُ شيمه

ولو استقامت كانت الاحوال فيها مستقيمه

ثم ان خبرهَ نما الى الوالي * فملأ فاه باللآلي * و سامه ان ينضوي الى آحشائه * و يَليَ ديوانَ انشائه * فاحسبه الحِباء * و ظلَفه عن الولاية الاباء * قال الراوي و كنت عرفت عود شجَرته * قبل ايناع ثمرته * و كدت انبّهُ على علو قدره * قبل استنارة بدره * فاوحى اليَّ بايماض جفنه * ان لا أجرِّد عضبه من جفنه * فلما خرج بطين الخُرج * و فصَل فائزا بالفَلْج * شيَّعته قاضيا حق الرعاية * و لاحيا لِمَ

على رفض الولاية * فاعرض متبسما * و انشد مترنما * نظم

لجوب البلاد مع المتربة * احب الي من المرتبه
لان الولاة لهم نبـوة * و معتبة يا لهـا معتبه
و ما فيهم من يرب الصنيع * ولا من يشيد ما رتبه
فلا يخدعنك لموع السرا * ب ولاتأت امرااذا مااشتبه
وكم حالم سره حلمـه * و ادركه الروع لما انتبه

المقامة السابعة البرقعيدية

حكى الحارث بن همام قال ازمعت الشخوص من برقعيد * وقد شمت برق عيد * فكرهت الرحلة عن تلك المدينة * او اشهد بها يوم الزينة * فلما اظل بفرضه و نفله * و اجلب بخيله و رجله * اتبعت السنة في لبس الجديد * و برزت مع من برز للتعييد * و حين التام جمع المصلى و انتظم * و اخذ الزحام بالكظم * طلع شيخ في شملتين * محجوب المقلتين * وقد اعتضد شبه المخلاة * و استقاد لعجوز كالسعلاة * فوقف وقفة متهافت * و حيي تحية خافت * و لما فرغ من دعائه * اجال خمسه في وعائه * فابرز منه رقاعا قد كتبن بالوان الاصباغ * في آوان الفراغ * فناولهن عجوزه الحيزبون و امرها ان تتوسم الزبون * فمن آنست ندى يديه * القت ورقة منهن لديه * قال فاتاح لي القدر المعتوب * رقعة فيها مكتوب * نظم

لقد اصبحت موقوذا * باوجـاع و اوجال
و ممنـوا بمختـال * و محتال و مغتـال
و خوان من الاخـوا * ن قال لي لا قالي

و إعمـال من العمـا * ل في تضليع اعمـالي
فكم أصلى باذحال * و آمـال و ترحال
و كم اخطر في بال * ولا اخطـر في بال
فليت الدهر لمـا جا * ر اطفى لي اطفـالي
فلـو لا ان اشبالـ * ـي اغلالي و اعلالي
لما جهزت آمالي * الـى آل ولا وال
ولا جررت اذيالي * على مسحب إذلالي
فمحرابي احرابي * و أسمالي اسمى لي
فهل حر يرى تخفيـ * ـف اثقـالي بمثقالي
و يطفي حر بلبالي * بسربال و سـروال

قال الحارث بن همام فلما استعرضت حلة الابيات تقت الى معرفة ملحمها * و راقم علمها * فناجاني الفكر بان الوصلة اليه العجوز * و افتاني بان حلوان المعرف يجوز * فرصدتها و هي تستقرئ الصفوف صفا صفا * و تستوكف الاكف كفا كفا * و ما ان ينجح لها عناء * و لا يرشح على يدها اناء * ولما اكدى استعطافها * و كدها مطافها * عاذت بالاسترجاع * و مالت الى ارتجاع الرقاع * و انساها الشيطان ذكر رقعتي * فلم تعج الى بقعتي * و آبت الى الشيخ باكية للحرمان * شاكية تحامل الزمان * فقال إنا لله * و أفوض امري الى الله * ولا حول و لا قوة الا بالله * و انشد * نظم

لم يبق صاف ولا مصاف * و لا معين و لا معين
و في المساوي بدا التساوي * فلا امين و لا ثمين

ثم قال لها منّي النفس و عديها * و اجمعي الرقاع و عدّيها

فقالت لقد عددتُها لما استعدتُها * فوجدت يد الضياع * قد غالت
احدى الرِقاع * فقال تعساً لك يا لكاع * انُحرمُ ويحك
القَنَص و الحِبالة * و القَبَس و الذُبالة * انها لضغث على إبّالة *
فانصاعت تقتصُّ مدرجَها * و تنشُدُ مُدرَجَها - فلما دانتني قرنت
بالرقعة * درهما و قطعة * و قلت إن رغبتِ في المَشوف المُعلَم *
و اشرت الى الدرهم * فبوحي بالسر المُبهَم * و ان ابيتِ ان تشرحي *
فخذي القِطعة و اسرَحي * فمالت الى استخلاص البدر التِمّ *
و الابّاج اليَمّ * و قالت دع جدالك * و سل عما بدا لك *
فاستطلعتها طِلع الشيخ و بلْدته * و الشعر و ناسج بُردته * فقالت
ان الشيخ من اهل سَروج * و هو الذي وشّى الشعر المنسوج *
ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق * و مَرَقت مُروق السهم الراشق *
فخالج قلبي ان ابا زيد هو المشار اليه * و تاجّج كربي لمُصابه
بناظرَيْه * و آثرتُ ان افاجيه و اُناجيه * لاعجَمَ عُود فراستي
فيه * و ما كنت لاصلَ اليه الا بتخطي رقاب الجمع * المنهي عنه
في الشرع * و عفت ان يتاذى بي قوم * او يسري الي
لوم * فسدكْتُ بمكاني - و جعلت شخصه قيد عياني - الى ان
انقضت الخُطبة * و حقّت الوثبة * فخففت اليه * و توسمته
على التحام جفنيه * فاذا اَلمعيّتي اَلمعيّةُ ابن عباس * و فراستي
فراسة اياس * فعرّفته حينئذ شخصي * و آثرته باحد قُمْصي * و
اهبت الى قُرْصي * لمعارفتي فهشّ وعرفاني * و لبّى دعوة رُغْفاني *
فانطلق و يدي زِمامه * و ظلي إمامه * و العجوز ثالثة الاثافي *
و الرقيب الذي لا يخفى عليه خافي * و لما استحلس وُكْنتي *
و احضرته عُجالة مكنتي * قال يا حارث * امعنا ثالث * فقلت

ليس الا العجوز * فقال ما دونها سر محجوز * ثم فتح كريمتيه * و رأرأ بتوأمتيه * فاذا سراجا وجهه يقدان * كانهما الفرقدان * فابتهجت بسلامة بصره * و عجبت من غرائب سيره * و لم يلقني قرار * ولا طاوعني اصطبار * حتى سألته ما دعاك الى التعامي * مع سيرك في المعامي * و جوبك الموامي * و ايغالك في المرامي * فتظاهر باللكنة * و تشاغل باللهنة * حتى اذا قضى وطره * أثار الي نظره * و انشد * نظم

و لما تعامى الدهر و هو ابو الورى * عن الرشد في انحائه و مقاصده
تعاميت حتى قيل اني اخو عمى * و لا غرو ان يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي انهض الى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف * و ينقي الكف * و ينعم البشرة * و يعطر النكهة * و يشد اللثة * و يقوي المعدة * و ليكن نظيف الظرف * اريج العرف * فتي الدق * ناعم السحق * يحسبه اللامس ذرورا * و يخاله الناشق كافورا * و اقرن به خلالة نقية الاصل * محبوبة الوصل * انيقة الشكل * مدعاة الى الاكل * لها نحافة الصب * و صقال العضب * و آلة الحرب * و لدونة الغصن الرطب * قال فنهضت فيما امر * لادرأ عنه الغمر * و لم اهم انه قصد ان يخدع * بادخالي المخدع * و لا تظنيت انه سخر من الرسول * في استدعاء الخلالة و الغسول * فلما عدت بالملتمس * في اقرب من رجع النفس * وجدت الجو قد خلا * و الشيخ و الشيخة قد اجفلا * ناستشطت من مكره غضبا * و اوغلت في إثره طلبا * فكان كمن قمس في الماء * او عرج به الى عنان السماء *

المقامة الثامنة المعرية

اخبر الحارث بن همام قال رأيت من اعاجيب الزمان * ان تقدّم خصمان * الى قاضي مَعَرَّة النعمان * احدهما قد ذهب منه الاطيبان * و الاخر كانه قضيب البان * فقال الشيخ ايّد الله القاضي * كما ايد به المتقاضي * انه كانت لي مملوكة رشيقة القد * اسيلة الخد * صبور على الكد * تخب احيانا كالنهد * و ترقُد اطوارا في المهد * و تجِد في تموزَ مَسَّ البرد * ذاتُ عقل و عِنان * و حد وسنان * وكف ببنان * و فم بلا اسنان * تلدغ بلسان نضناض * و ترفل في ذيل فضفاض * و تجلى في سواد و بياض * و تسقى و لكن من غير حياض * ناصحة خُدَعة * خُبَأة طُلَعة * مطبوعة على المنفعة * و مطواعة في الضيق و السَّعة * اذا قطعتْ وصلتْ * و متى فصَّلْتها عنك انفصلتْ * و طالما خدمتْك فجمَّلت * و ربما جنت عليك فآلمت و مَلملت * و ان هذا الفتى استخدمنيها لغرض * فاخدمته اياها بلا عوض * على ان يجتني نفعها * و لا يكلفها الا وُسْعها * فاولج فيها متاعه * و اطال بها استمتاعه * ثم اعادها و قد افضاها * و بذل عنها قيمةً لا ارضاها * فقال الحدث اما الشيخ فاصدق من القَطا * و اما الافضاءُ ففرط عن خطاء * و قد رهنتهُ * عن اَرْش ما اوهنته * مملوكا لي متناسبَ الطرفين * منتسبا الى القَين * نقيًا من الدرَن و الشين * يقارن محلّه سَوادَ العين * يفشي الاحسان * و ينشيء الاستحسان * و يُغذي الانسان * و يتحامى اللسان * ان سُوِّد جاد * و ان وَسَم اجاد * و اذا زُوِّد وهَب الزاد * و متى استُزيدَ زاد * لا يستقرُّ بمغنى * و قلّما ينكح الا مَثنى * يسخو بموجوده * و يسمو عند جوده *

و ينقاد مع قرينته * و ان لم تكن من طينته * و يستمتع بزينته * و ان لم يطمع في لينته * فقال لهما القاضي اما ان تبينا * و الا فبينا * فابتدر الغلام و قال * نظم

اعارني ابرةً لارفوَ اطـمارا عفاها البلى و سوّدها
فانخرمت في يدي على خطاء * مني لما جذبتُ مقودها
فلم ير الشيخ ان يسامحني * بارشها اذ رأى تأودها
بل قال هات ابرة تماثلها * او قيمة بعد ان تجودها
و اعتاق ميلي رهنا لديه ونا * هيك بها سبة تزودها
فالعين مرهى لرهنه و يدي * تقصرعن ان تفك مرودها
فاسبرُ بذا الشرح غورمسكنتي * وارْث لمن لم يكن تعودّها

فاقبل القاضي على الشيخ و قال ايه * بغير تمويه * فقال * نظم

اُقسم بالمشعر الحرام و من * ضم من الناسكين خَيفُ منى
لو ساعدتني الايام لم ترني * مُرتهنا ميله الذي رَهَنا
و لا تصدّيتُ ابتغي بدلا * من ابرة غالها و لا ثمنا
لكنّ قوسَ الخطوب ترشقُني * بمصميات من ها هنا و هنا
و خُبْر حالي كخُبر حالته * ضُرّا و بؤسا و غربة و ضنى
قد عدل الدهر بيننا فانا * نظيره في الشقاء و هو انا
لا هو يستطيع فكّ مروده * لما غدا في يديّ مرتهنا
و لا مجالي لضيق ذات يدي * فيه اتساع للعفو حين جنى
فهذه قصتي و قصّته * فانظر الينا و بيننا و لنا

فلما وعى القاضي قصصهما * و تبين خصاصتهما و تخصصهما * ابرز لهما دينارا من تحت مصلاه * و قال اقطعا به الخصام و انفصلاه * فتلقفه الشيخ دون الحدَث * و استخلصه على وجه الجدّ لا العبث *

و قال للحدث نصفه لي بسهم مَبَرَّتي * و سهمك لي عن آرش اِبرتي و لست عن الحق اميل - فقم و خذ الميل * فعرى الحدث * لما حدث * اكتياب و جم له قلب القاضي * و هيَّج اَسفه على الدينار الماضي * الا انه جبَر بالَ الفتى و باباه * بدريهمات رضَخ بها له * و قال لهما اجتنبا المعاملات * و ادْرءا المخاصمات * و لا تحضراني في المحاكمات * فما عندي كيس الغرامات * فنهضا من عنده * فرحين برِفْده * مفصحين بحمده * و القاضي ما يخبو ضجرُهُ * مذ بضَّ حجره * و لاينصُل كمَدُه * مذ رشح جُلْمُدُهُ * حتى اذا افاق من غشيته * اقبل على غاشيته * و قال قد اُشرِبَ حسّي * و نبَّأني حدْسي * انَّهما صاحبا دهاء * لا خصما ادّعاء * فكيف السبيل الى سَبْرهما * و استنباط سرّهما * فقال له نحرير زمرته * و شرارة جمرته * انه لن يتمَّ استخراج خبئهما * الا بهما * فقفاهما عونا يرجعهما اليه * فلما مثلا بين يديه * فقال لهما اصدقاني سِنَّ بكركما * و لكما الامان من تبِعَة مكرِكما * فاحجم الحدثُ و استقال * و اقدم الشيخ و قال * نظم

انا السروجي و هذا ولدي * و الشبل في المَخْبر مثلُ الاسد
و ما تعدَّت يدُه و لا يدي * في اِبـرة يوما و لا في مِرود
وانما الدهر المسيئ المعتدي * مال بنا حتى غدونا نجتدي
كلَّ ندى الراحة عذب المورد * و كلَّ جعد الكف مغلول اليد
بكـل فن و بكـل مقصد * بالجد انْ اجدى و الا بالدَّدِ
لنجلب الرشح الى الحظ الصدي * و نُنفد العمرَ بعيشٍ انكد
و الموت من بعدُ لنا بالمرصد * ان لم يفاج اليوم فاجى في غد

فقال له القاضي لله دركـ فما اعذب نفثاتِ فيكـ * و واهًا لكـ

لولا خداعُ فيك * وإني لك لمن المنذرين * وعليك من الحذرين * فلا تماكر بعدها الحاكمين * واتق سطوةَ المتحكمين * فما كل مُسَيْطِر يقيل * ولا كلَّ آوان يُسمع القيل * فعاهده الشيخ على اتباع مشورته * والارتداع عن تلبيس صورته * وفصل عن جهته * والخَتْرُ يلمع من جَبْهته * قال الحارث بن همام فلم ارا اعجب منها في تصاريف الاسفار * ولا قرأت مثلها في تصانيف الاسفار *

المقامة التاسعة الاسكندرية

قال الحارث بن همام طحا بي مرَحُ الشباب * وهوى الاكتساب * الى ان جُبتُ ما بين فرْغانة * وغانة * اخوض الغمار * لاجني الثمار * واقتحم الاخطار * لكي ادرك الاوطار * وكنت لقفت من افواه العلماء * وثقفت من وصايا الحكماء * انه يلزم الاديب الاريبَ * اذا دخل البلد الغريب * ان يستميل قاضيه * ويستخلص مراضيه * ليشتدَّ ظهرُه عند الخصام * ويأمن في الغربة جور الحكام * فاتخذت هذا الادب إماما * وجعلته لمصالحي زِماما * فما دخلت مدينة * ولا ولَجت عرينة * إلّا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح * وتقوّيت بعنايته تقوّيَ الاجساد بالارواح * فبينما انا عند حاكم الاسكندرية * في عشيةٍ عريّة * وقد احضر مال الصدقات * ليفضّه على ذوي الفاقات * اذ دخل شيخ عفرِيَة * تعتله امرأة مُصبِيَة * فقالت ايّد الله القاضي * وادام به التراضي * اني امرأة من اكرم جرثومة * واطهر ارومة * واشرف خُؤُولة وعمومة * ميسمي الصَّون * وشيمتي الهَون * وخُلقي نِعم

العَون * و بيني و بين جاراتي بَون * و كان ابي اذا خطبني بناة المجد * و ارباب الجَدّ * سكّتهم و بكّتهم * و عاف وُصلتهم و صلتهم * و احتج بانه عاهد الله تعالى بحلفة * ان يصاهر غير ذي حرفة * فقيّض القدر لنَصبي و وَصبي * ان حضَر هذا الخُدَعةُ نادىَ ابي * فاقسم بين رهطه * انه وفق شرطه * و ادعى انه طالما نظم دُرّة * فباعهما ببدرة * فاغترّ ابي بزخرفة محاله * و زوّجنيه قبل اختبار حاله * فلما استخرجني من كِناسي * و رحّلني عن أناسي * و نقلني الى كسره * و حصّلني تحت اسره * وجدته قُعدةً جُثَمة * و الفيته ضُجَعة نُوَمة * و كنتُ صحبته برياش و زيّ * و اثاث و ريّ * فما برح يبيعه في سوق الهضْم * و يُتلف ثمنه في الخَضْم و القَضْم * الى ان مزّق ما لي باسره * و انفق مالي في عسره * فلما انساني طَعْمَ الراحة * و غادر بيتي انقى من الراحة * قلت له يا هذا انه لا مخبا بعد بؤس * و لا عِطْر بعدَ عَروس * فانهَضْ للاكتساب بصناعتك * و اجنني ثمرة براعتك * فزعَم ان صناعته قد رميت بالكساد * لما ظهر في الارض من الفساد * و لي منه سلالة كانه خلالة * و كلانا ما ينال معه شُبعة * و لا ترقأ له من الطوى دَمعة * و قد قُدته اليك * و احضرته لديك * لتعجُمَ عود دعواه * و تحكم بيننا بما آراك الله * فاقبل القاضي عليه و قال له لقد وعيت قَصص عِرسك * فبرهن عن نفسك * و الّا كشفتُ عن لَبْسك * و امرت بحبسك * فاطرق اطراق الافعوان * ثم شمّر للحرب العَوان * و قال * نظم

إسمَع حديثي فانه عَجَبُ * يضحك من شرحه و ينتحب
انا امرؤٌ ليس في خصائصه * عيب و لا في فخاره ريب

سَروج داري التي وُلِدتُ بها * والاصل غسّان حين انتسب

وشغلي الدرس والتبحر في ال*علم طلابي و حبّذا الطلب

و رأس مالي سحر الكلام الذي * منه يصاغ القريض و الخطب

اغوص في لجة البيان فاخ*تار اللالي منها و انتخب

و اجتني اليانعَ جَنِيَّ من ال*قول وغيري للعود محتطب

و آخُذ اللفظ فضة فاذا * ما صُغْته قيل انه ذَهب

و كنت من قبلُ امتري نشبا * بالادب المقتنى و احتلب

و يمتطي اخمَصي لحرمته * مراتبا ليس فوقها رُتَب

و طالما زُفَّت الصّلات الى * رَبْعي فلم ارض كل من يهَب

فاليوم من يعلَق الرجاء به * اكسد شيء في سوقه الادب

لا عِرْضُ ابنائه يصان و لا * يُرقَب فيهم اِلٌّ و لا سبب

كانهم في عِراصهم جيف * يبُعَد من نتنها و يُجتنَب

فحار لُبّي لما منيت به * من الليالي و صرفها عجب

وضاق ذرعي لضيق ذات يدي * و ساورتني الهموم و الكُرَب

و قادني دهري المليم الى * سلوك ما يستشينه الحسب

فبعت حتى لم يبقَ لي لَبَد * و لا بتات اليه أنْقلب

وادّنت حتى اثقلت كاهلي * بحمل دَيْن من دونه العَطَب

ثم طويت الحشا على سغَب * خمسا فلما امضّني السغَب

لم ار الا جهازها عرضا * اجول في بيعه و اضطرِب

فجُلْت فيه و النفس كارهة * والعين عبرى والقلب مكتئب

و ما تجاوزت اذ عبثت به * حدّ التراضي فيَحدُث الغضب

فان يكن غاظها توهُّمها * ان بناني بالنظم تكتسب

او انني اذ عزَمت خِطْبتها * زخرفت قولي لينجح الارَب

ذو الذي سارت الرفاق الى * كعبتـه تستحثهـا النُجُب
ما المكر بالمحصنات من خُلُقي * و لا شعاري التمويه و الكذب
و لا يدي مذ نشأتُ نِيطُ بها * الا مواضي اليراع و الكتب
بل فكرتي تنظم القلائد لا * كفي وشعري المنظوم لا السُّخُب
فهذه الحرفة المشار الي * ما كنت احوي بها و اجتلب
فاذَنْ لشرحي كما اذنت لها * ولا تراقب و احكم بما يجب

قال فلما احكم ما شاده * و اكمل انشاده * عطف القاضي الى الفتاة * بعد ان شُغف بالابيات * و قال امّا انه قد ثبت عند جميع الحكام * و وُلاة الاحكام * انقراض جيل الكرام * و ميلُ الايام الى اللئام * و اني لَاخالُ بعلك صدوقا في الكلام * بريا من الملام * و ها هو قد اعترف لك بالقرض * و صرّح عن المحض * و بيّن مصداق النظم * و تبيّن انه معروق العظم * و اعنات المعذر ملامة * و حبس المعسر مأثمة * و كتمان الفقر زهادة * و انتظار الفَرَج بالصبر عبادة * فارجعي الى خِدرك * و أعذري ابا عُذرك * ونهنهي من غَربك * و سلّمي لقضاء ربك * ثم انه فرض لهما في الصدقات حصة * و ناولهما من دراهمها قبصة * و قال لهما تعللا بهذه العُلالة * و تنديا بهذه البُلالة * و اصبرا على كيد الزمان و كدّه * فعسى الله ان يأتي بالفتح او امرٍ من عنده * فنهضا و للشيخ فرحة المطلَق من الاسار * و هزة الموسر بعد الاعسار * قال الراوي و كنت عرفت انه ابو زيد ساعة بزغت شمسه * و نزغت عرسه * وكدت أفصح عن افتنانه * و اثمار افنانه * ثم اشفقت من عثور القاضي على بهتانه * و تزويق لسانه * فلا يرى عند عرفانه * ان يرشحه لاحسانه * فاحجمت عن القول

احجام المُرتاب * و طويت ذكره كطَيّ السّجِل للكتاب * الا اني قُلت بعد ما نصّل * و وصل الى ما وصل * لو ان لنا من ينطلق في اثره * لاتانا بفصّ خبر * ما ينشر من حبَره * فاتبعه القاضي احد آمنائه * و امره بالتجسّس على انبائه * فما لَبث ان رجع متدهدها * و قهقر مقهقها * فقال له القاضي مهْيَم * يا ابا مريم * فقال لقد عاينت عجبا * و سمعت ما انشأ لي طربا * فقال له ما دا رأيت * و ما الذي وعيت * قال لم يزل الشيخ مذ خرج يُصفّق بيديه * و يُخالِف بين رِجليه * و يغرّد بملء شدْقَيه * و يقول * نظم

كدت اصلى ببليه * من وقاح شمّريّه

و ازور السّجن لولا * حاكم الاسكندريّة

فضحك القاضي حتى هوَتْ دنيّتُه * و ذوَتْ سكينته * قال فلما فآء الى الوقار * و عقّب الاستغراب بالاستغفار * قال اللهم بحرمة عبادك المقربين * حرّم حبسي على المتأدبين * ثم قال لذلك الامين عليّ به * فانطلق مجدا في طلبه * ثم عاد بعد لأْيِه * مخبرا بنأْيه * فقال القاضي اما انه لو حضر * لكُفي الحذر * ثم لاوليته ما هو به أولى * و لاريته ان الاخرة خير له من الأُولى * قال الحارث بن همام فلما رأيت صَغْوَ القاضي اليه * و فوت ثمرة التنبيه عليه * غشيتني ندامة الفرزْدق حين ابان النّوار * والكُسَعيّ لما استبان النهار *

المقامة العاشرة الرحبية

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق * الى رَحْبَة مالك بن طَوْق * فلبّيته ممتطيا شِملّة * ومنتضيا عزمة

مُشمعلّة * فلما القيت بها المراسي * و شددت امراسي * و بَرَزْت من الحمام بعد سَبْت رأسي * رأيت غلاما أفرغ في قالب الجمال * و ألبس من الحسن حلة الكمال * و قد اعتلق شيخ بردنه * يدّعي انه فتك بابنه * و الغلام يَذكر عِرفته * و يكبر قرفته * و الخصام بينهما متطائر الشرار * و الزحام عليهما يجمع بين الاخيار و الاشرار * الى ان تراضيا بعد اشتطاط اللَّدد * بالتنافر الى والى البلد * و كان ممن يُزَنّ بالهَنات * و يُغلِّب حبّ البنين على البنات * فاسرعا الى نَدْرته * كالسُّلَيْك في عدوته * فلما حضراه * جدّد الشيخ دعواه * و استدعى عدواه * فاستنطق الغلام و قد فتنه بمحاسن غرّته * و طرّ عقله بتصفيف طُرّته * فقال انها افيكة أفّاك * على غير سفاك * و عضيهة محتال * على من ليس بمغتال * فقال الوالي للشيخ إن شهد لك عدلان من المسلمين * و الا فاستوف منه اليمين * فقال الشيخ انه جدّله خاسيا * و اقاح دمه خاليا * فانى لي شاهد * و لم يكن ثم مشاهد * و لكن ولني تأقِيَة اليمين * ليبين لك أيَصدَق ام يمين * فقال له انت المالك لذلك * مع وجدك المتهالك * على ابنك الهالك * فقال الشيخ للغلام قل و الذي زيّن الجباه بالطُّرر * والعيون بالحَور * و الحواجب بالبَلَج * والمباسم بالفلج * و الجفون بالسَّقم * و الأنوف بالشمم * والخدود باللهب * و الثغور بالشنب * و البنان بالترف * و الخصور بالهيف * إنني ما قتلت ابنك سهوا و لا عمدا * و لا جعلت هامته لسيفي غِمدا * و الا فرمى الله جفني بالعَمَش * و خدّي بالنَّمَش * و طُرّتي بالجلَح * وطلعي بالبلح * و وردي بالبَهار * و مسكتي بالبخار * و بدري بالمُحاق * و فضتي

بالاحتراق * و شعاعي بالاظلام * و دواتي بالاقلام * فقال الغلام الاصطلاء بالبلية * و لا الايلاء بهذه الالية * و الانقياد للقَوَد * ولا الحَلف بما لم يحلف به احد * وابى الشيخ الا تجريعه اليمين التي اخترعها * و أمقراله جُرَعَها * و لم يزل التلاحي بينهما يستعر * و محجّة التراضي تَعِر * و الغلام في ضمن تأبّيه * يَخلُب الوالي بتلوّيه * و يُطمعه في ان يُلبّيه * الى آن ران هواه على قلبه * والبّ بلُبّه * و سوّل له الوجد الذي تيّمه * والطمع الذي توهّمه * ان يُخلّص الغلام و يستخلصه * و ان يُنقذه من حبالة الشيخ ثم يقتنصه * فقال للشيخ هل لك فيما هو اَليَق بالاقوى * و اقرب للتقوى * فقال اِلام تُشير لاقتفيه * ولا اَقف فيه * قال ارى ان تُقصر عن القيل و القال * وتَقتصر على مائة مثقال * لاتحمّلَ منها بعضا * و اجتبي لك الباقي عُرُضا * فقال الشيخ ما مني خلاف * فلا يكن لوعدك اِخلاف * فنقده الوالي عشرين * و وزّع على وَزَعَته تكملة خمسين * و رقّ ثوب الاصيل * و انقطع لأجله صوب التحصيل * فقال له خذ ماراج * و دع اللجّاج * و عليّ في غدٍ ان اتوصّل* الى ان يَنضّ لك الباقي و يَتحصّل * فقال الشيخ افعل ذاك على ان اُلازِمه ليلتي * و يرعاه انسان مقلتي * حتى اذا اعفى بعد اسفار الصبح * بما بقي من مال الصلح * تخلّصت قائبة من قُوب * و برئ برآءة الذئب من دم ابن يعقوب * فقال له الوالي ما اراك سُمْت شططا * و لا رمت فرطا * قال الحارث بن همام فلما رايت حُجَج الشيخ كالحجج السُّرَيجية * علمت انه علم السَّرُوجية * فلبثت الى ان زهرت نجوم الظلام * و انتثرت عقود الزحام * ثم قصدتُ فِناء الوالي * فاذا الشيخ للفتى كالي * فنشدته

الله اهو ابو زيد * فقال اي و مُحِلّ الصيد * فقلت من هذا الغلام * الذي هفت له الاحلام * فقال هو في النسب فَرْخي * و في المَكْسب فَخّي * قلت فهلّا اكتفيت بمحاسن فطرته * و كفيت الوالي الافتتان بطُرّته * فقال لو لم تُبْرِز جبهته السين * لما قنفشت الخمسين * ثم قال بِت الليلة عندي لنُطْفئ نار الجوى * و نُديل الهوى * من النوى * فقد اجمعت على ان انسلّ بسُحْرة * و اُصْلي قلب الوالي نار حسرة * قال فقضيت الليلة معه في سمر * آنق من حديقة زهر * و خميلة شجر * حتى اذا لالا الاُفق ذَنَبُ السِّرْحان * و آن انبلاج الفجر و حان * ركب متن الطريق * و اذاق الوالي عذاب الحريق * و سلم اليّ ساعة الفراق * رقعة محكمة الالصاق * و قال ادفعها الى الوالي اذا سُلِب القرار * و تحقق منه الفرار * ففَضَضتُها فعل المُتَلمِّس * من مثل صحيفة المتلمس * فاذا فيها مكتوب * نظم

قل لوالٍ غادرته بعد بيني * نادما سادما يعضّ اليدين
سلَب الشيخ ماله و فتاه * لُبّه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين اعمى هواه * عينه فانثنى بلا عينين
خفّض الحزن يا مُعنّى فما يُجـ * ـدي طلاب الآثار من بعد عين
و لئن جل ما عراك كما جـ * ـلّ لدى المسلمين رُزْء الحُسين
فقد اعتَضتَ منه فهْما و حزْما * و اللبيب الاريب يبغي ذين
فاعص من بعدها المطامع و اعلم * انّ صيد الظباء ليس بهين
لا و لا كل طائر يلج الفـ * ـخ و لو كان مُحدقا باللجين
ولكم من سعى ليصطاد فاصطيـ * ـد و لم يلقَ غير خُفَّي حُنين
فتبصَّر و لا تشِم كل برق * رُبّ برق فيه صواعق حين

واغضض الطرف تستريح من غرام * تكتسي فيه ثوب ذُلّ و شين
فبلاء الفتى اتباع هوى النفس و بذر الهوى طُموحُ العين
قال الراوي فمزقت رقعته شَذَر مذَر * و لم اُبَلْ أ عَذَل ام عَذَر *

المقامة الحادية عشرة الساوية

حدث الحارث بن همام قال آنست من قلبي القساوة * حين حللت ساوة * فاخذت بالخبر المأثور * في مداواتها بزيارة القبور * فلما صرت الى محلّة الاموات * و كفات الرُّفات * رأيت جمعا على قبرٍ يُحفَر * و مَجْنوز يُقبَر * فانحزت اليهم مفكرا في المآل * و متذكرا مَن دَرَج من الآل * فلما الحدوا المَيْت * و فات قولُ ليت * اشرف شيخ من رَباوَة * متخصّرا بهراوة * و قد لَفَّع وجهه بردائه * و نكّر شخصه لدهائه * فقال لمثل هذا فليعمل العاملون * فادّكروا ايها الغافلون * و شمّروا ايها المقصرون * و احسنوا النظر ايها المتبصرون * ما لكم لا يحزنكم دفن الاتراب * و لا يهولكم هيل التراب * و لا تعبأون بنوازل الاحداث * و لا تستعدون لنزول الاجداث * و لا تستعبرون لعين تدمع * و لا تعتبرون بنعي يُسمَع * و لا ترتاعون لالف يُفقَد * و لا تلتاعون لمُناحة تُعقَد * يُشيّع احدُكم نعش المَيْت * و قلبه تلقاء البيت * و يشهد مواراةَ نسيبه * و فكره في استخلاص نصيبه * و يخلّي بين ودوده و دوده * ثم يخلو بمزماره و عوده * طالما اَسيتم على انثلام الحبّة * و تناسيتم اخترام الاحبة * و استكنتم لاعتراض العسرة * و استهنتم بانقراض الاُسرة * وضحكتم عند الدفن * و لا ضِحْكَكم ساعة الزَّفن * و تبخترتم خلف الجنائز * و لا تبختُرَكم يوم قبض الجوائز * و اعرضتم عن

تهديد النوائب * الى اعداد المآدب * وعن تحرّق الثواكل * الى التأنق في المآكل * لا تبالون بمن هو بال * ولا تخطرون ذكر الموت ببال * حتى كأنكم قد علقتم من الحمام * بذمام * او حصلتم من الزمان * على امان * او وثقتم بسلامة الذات * وتحققتم مسالمة هادم اللذات * كلّا ساء ما تتوهّمون * ثم كلّا سوف تعلمون *

ثم انشد * نظم

ايا من يّدعي الفهم - الى كم يا اخا الوهم - تُعبّي الذنبَ والذمَّ
وتخطي الخطأ الجَمّ

اما بان لك العيبُ - اما انذرك الشيب - وما في نصحه ريب
ولا سمعك قد صم

اما نادى بك الموت - اما اسمعك الصوت - اما تخشى من الفوت
فتحتاط وتهتم

فكم تسدر في السهو - وتختال من الزهو - وتنصبُّ الى اللهو
كان الموت ما عم

وحتّامَ تجافيك - وابطاءُ تلافيك - طباعا جمعت فيك
عيوبا شملها انضم

اذا اسخطت مولاك - فما تَقْلَقُ من ذاك - وان اخفق مسعاك
تلظيت من الهم

وان لاح لك النقش - من الاصفر تهتش - وان مربك النعش
تغاممت ولا غم

تعاصي الناصح البَرّ - وتعتاص وتزورُّ - وتنقاد لمن غرّ
ومن مان ومن نم

وتسعى في هوى النفس - وتحتال على الفلس - وتنسى ظلمة الرمس

و لا تـــذكـــر ما ثم
و لو لاحظك الحَظُّ - لما طاح بك المحظ - و لا كنت اذا الوعظ
جلا الاحزان تغتم
ستُذرى الدم لا الدمع - اذا عاينت لا جمع - بقى في عرصة الجمع
و لا خـــال و لا عـــم
كأنى بك تنحط - الى اللحـــد و تنغطُّ - و قد اسلمك الرهط
الى اضيـــق من سمّ
هناك الجسم ممدود - ليستاكلـــه الدود - الى ان ينخر العود
و يمسى العظم قد رم
و من بعد فـــلا بد - من العرض اذا اعتد - صراط جسره مد
على النـــار لمـــن ام
فكم من مرشد ضلّ - و من ذي عزة ذلّ - و كم من عالم زلّ
و قال الخطب قد طم
فبادر ايهـــا الغمر - لما يحلـــو به المرُّ - فقد كاد يهى العمر
و ما اقلعت عـــن ذم
و لا تركن الى الدهر - و ان لان و ان سر - فتلفى كمن اغتـــر
بافعىً تنفث الســـم
و خفض من تراقيك - فان الموت لاقيك - و سارٍ في تراقيـك
و ما ينكـل ان هم
و جانب صَعَرَ الخد - اذا ساعدك الجدُّ - و زم اللفظ ان ندَّ
فما اسعـد من زم
ونفّس عن اخي البثِّ - و صدّقه اذا نثَّ - و رُمِّ العمل الرثَّ
فقـد افلـح من رمّ

ورِشْ من ريشه انحصَّ . بما عمَّ و ما خصَّ . و لا تأسَ على النقص
و لا تحرص على اللَّم

و عادِ الخُلُق الرَّذْل . و عوّد كفّك البذل . و لا تستمع العذل
و نزهها عن الضم

و زوّد نفسك الخير . و دع ما يعقب الضير . و هيئ مركب السير
و خف من لجة اليم

بذا اوصيت يا صاح . و قد بُحتُ كمن باح . فطوبى لفتى راح
بآدابي يأتم

ثم حسر ردنه عن ساعد شديد الاسر * قد شد عليه جبائر المكر لا الكسر * متعرضا للاستماحة * في معرض الوقاحة * فاختلب به اولئك الملأ * حتى اترع كمه و ملأ * ثم انحدر من الربوة * جذلا بالحبوة * قال الراوي فجاذبته من ورائه * حاشية ردائه * فالتفت الي مستسلما * و واجهني مسلّما * فاذا هو شيخنا ابو زيد بعينه * و مينه * فقلت له * شعر

الى كم يا ابا زيد . افانينك في الكيد . لتحتاش لك الصيد
و لا تعبأ بمن ذم

فاجاب من غير استحياء * و لا ارتياء * و قال * شعر

تبصر ودع اللوم . و قل لي هل ترى اليوم . فتى لا يقمر القوم
متى ما دست تم

فقلت له بعدا لك يا شيخ النار * و زاملة العار * فما مثلك في طلاوة علانيتك * و خبثة نيتك * الا مثل روث مفضض * او كنيف مبيّض * ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين * و انطلق ذات الشمال * و ناوحت مهب الجنوب * و ناوح مهب الشمال*

المقامة الثانية عشرة الدمشقية

حكى الحارث بن همام قال شخصت من العراق الى الغُوطَة *
وانا ذو جُرْدٍ مربوطة * و جِدَة مغبوطة * يلهيني خلو الذرع *
ويَزدهيني حُفول الضرع * فلما بلغتُها بعد شق النفس * و انضاء
العَنْس * الفيتها كما تصفها الالسن * و فيها ما تشتهي الانفس
و تلذُّ الاعين * فشكرت يدَ النوى * و جريت طلقا مع الهوى *
و طفقت افُضُّ بها خُتوم الشهوات * و اجتني قُطوفَ اللذات *
الى ان شرع نَفَرٌ في الاعراق * و قد استفقت من الاغراق *
فعادني عيد من تذكار الوطن * و الحنين الى العطن * فقوضت
خيام الغيبة * واسرجت جواد الاوبة * و لما تأهَّبَ الرفاق *
و استتبَّ الاتفاق * انْفنا من المسير * دون استصحاب الخفير *
فرُدْناه من كل قبيلة * و اعملنا في تحصيله الف حيلة * فاعوز
وجدانه في الاحياء * حتى خلنا انه ليس من الاحياء * فحارت
لعَوَزِهِ عزومُ السيارة * و انتدَوا بباب جَيْرونَ للاستشارة * فما زالوا
بين عقد و حَلّ * و شَزْر و سَحْل * الى ان نفد التناجي * و قنط
الراجي * و كان حِذتَهم شخص مِيسَمه ميسمُ الشُّبَّان * و لبُوسه
لبُوس الرُهبان * و بِيَده سُبحة النسوان * و في عينيه ترجمة النَّشوان
و قد قيدَّ لحظه بالجمع * و ارهف أذنه لاستراق السمع * فلما
آنَ انكفاؤهم * و قد برح له خَفاؤهم * قال لهم يا قوم ليُفرخ
كربُكم * و ليأمن سِربُكم * فساخُفركم بما يسرُو روعَكم * و يبدو
طوعكم * قال الراوي فاستطلعنا منه طلع الخُفارة * و اسنينا له
الجِعالة عن السِفارة * فزعَم انها كلمات لقُنَها في المنام * ليحترس

بها من كيد الانام * فجعل بعضنا يومض الى بعض * و يقلّب طرفيه بين لحظ و غض * وتبيّن له انّا استضعفنا الخبر * و استشعرنا الخَوَر * فقال ما لكم اتخذتم جدّي عبثًا * و جعلتم تبري خَبَثًا * و لطالما و الله جُبْتُ مخاوفَ الاقطار * و لججت مقاحم الاخطار * فغنيت بها عن مصاحبة خفير * و استصحاب جفير * ثم اني سانفي ما رابكم * واستلُّ الحذر الذي نابكم * بان أُوافقكم في البداوة * و ارافقكم في السماوة * فان صدقكم وعدي * فاجِدُّوا سعدي * و اسعدوا جدّي * و ان كذبكم فمي * فمزّقوا اديمي * و اريقوا دمي * قال الحارث بن همام فالهمنا تصديق رؤياه * و تحقيق ما رواه * فنزعنا عن مجادلته * و استهمنا على معادلته * و فصمنا بقوله عرى الربائث * و الغينا اتقاء العابث و العائث * و لما عُكِمَتِ الرحال * و أَزِفَ التَّرحال * استنزلنا كلماته الراقية * لنجعلها الواقية الباقية * فقال ليقرأ كلٌّ منكم امَّ القرآن * كلما اظل الملوان * ثم ليقل باسان خاضع * و صوت خاشع * اللهم يا محيي الرفات * و يا دافع الافات * و يا واقي المخافات * و يا كريم المكافاة * و يا مَوْئِلَ العُفاة * و يا وليَّ العفو و المعافاة * صلِّ على محمد خاتم انبيائكَ * و مُبلِّغِ انبائك * و على مصابيح أسرته * و مفاتيح نصرته * و اعذني اللهم من نزغات الشياطين * و نزوات السلاطين * و اعنات الطاغين * و معاداة الباغين * و معاداة العادين * و عدوان الظالمين * و غمط الغامطين * و سلب السالبين * و حيَل المحتالين * و غيلة المغتالين * و اجرني اللهم من جور المجاورين * و مجاورة الجائرين * و كفّ عني اكفّ الظالمين * و اخرجني من ظلمات الظالمين * و ادخلني برحمتك في عبادك الصالحين *

اللهم احفظني في تربتي * و غربتي * و غيبتي * و اوبتي * و نُجعتي * و رجعتي * و تصرفي * و مُنصرفي * و تقلُّبي * و منقلبي * و احفظني في نفسي * و نفائسي * و عِرضي * و عَرَضي * و عَدَدي * و عُدَدي * و سَكَني * و مسكني * و حولي * و حالي * و مالي * و مآلي * و لا تُلحِق بي تغييرا * و لا تُسلّط عليَّ مغيرا * و اجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا * اللهم احرُسْني بعينك * و عونك * و اخصصني بامنك * و منك * و تولّني باختيارك و خيرك * و لا تكِلْني الى كِلاءة غيرك * و هب لي عافية غير عافية * و ارزقني رفاهية غير واهية * و اكفني مخاشيَ اللَّأواء * و اكنفني بغواشي الالاء * و لا تظفر بي اظفار الاعداء * انك سميعُ الدعاء * ثم اطرق لا يدير لحظا * و لا يحير لفظا حتى قلنا قد ابلسته خشية * او اخرسته غشية * ثم اقنع رأسه * و صعّد انفاسه * و قال أقسم بالسماء ذات الابراج * و الارض ذات الفجاج * و الماء الثجاج * و السراج الوهّاج * و البحر العجّاج * و الهواء و العَجاج * انها لمن أيمن العُوَذ * و اغنى عنكم من لابسي الخُوَذ * من درسها عند ابتسام الفلق * لم يُشفق من خَطْب الى الشفق * و من ناجى بها طليعة الغَسَق * امن ليلته من السرق * قال الراوي فتلقنّاها * حتى اتقنّاها * و تدارسناها * لكي لا ننساها * ثم سرنا نُزجي الحُمولات بالدعوات لا بالحُداة * و نحمي الحمولات بالكلمات لا بالكُماة * و صاحبنا يتعهّدنا بالعشيّ و الغداة * و لا يستنجز منّا العدات * حتى اذا عاينّا اطلال عانة * قال لنا الاعانة الاعانة * فاحضرناه المعلوم * و المكتوم * و اريناه المعكوم و * و المختوم * و قلنا له اقض ما انت قاض * فما تجدُ فينا غير راض * فما استخفه سوى الخفّ

و الزين * و لاحاجي بعينه غير العين * فاحتمل منهما وقره * و ناء بما يسد به فقره * ثم خالسنا مخالسة الطرار * و انصلت منا انصلات الفرار * فاوحشنا فراقه * و ادهشنا امتراقه * و لم نزل ننشده بكل ناد * و نستخبر عنه كل مغو و هاد * الى ان قيل انه منذ دخل عانة * ما زايل الحانة * فاغراني خبث هذا القول بسبكه * و الانسلاك فيما لست من سلكه * فادلجت الى الدسكرة * في هيئة منكرة * فاذا الشيخ في حلة ممصرة * بين دنان و معصرة * و حوله سقاة تبهر * و شموع تزهر * و آس و عبهر * و مزمار و مزهر * و هو تارة يستبزل الدنان * و طورا يستنطق العيدان * و دفعة يستنشق الريحان * و اخرى يغازل الغزلان * فلما عثرت على لبسه * و تفاوت يومه من امسه * قلت له اولى لك يا ملعون * أ آنسيت يوم جيرون * فضحك مستغربا * ثم انشد مطربا * نظم

لزمت السفار – و جبت القفار – و عفت النفار – لاجني الفرح
و خضت السيول – و رضت الخيول – لجر ذيول – الصبا و المرح
و مطت الوقار – و بعت العقار – لحسو العقار – و رشف القدح
و لو لا الطماح – الى شرب راح – لما كان باح – فمي بالملح
و لا كان ساق – دهائي الرفاق – لارض العراق – بحملي السبح
فلا تغضبن – و لا تصخبن – و تعتبن – فعذري وضح
و لا تعجبن – بشيخ ابن – بمغنى اغن – و دن طفح
فان المدام – تقوي العظام – و تشفي السقام – و تنفي الترح
و اصفى السرور – اذا ما الوقور – اماط ستور – الحيا و اطرح
و احلى الغرام – اذا المستهام – ازال اكتتام – الهوى و افتضح
فبح بهواك – و برد حشاك – فزند اساك – به قد قدح

داوِ الكُلُوم - و سلّ الهموم - ببنت الكروم - التي تفترح
و خُصّ الغبوق - بساقٍ يشوقُ - بلاءِ المشرقِ - اذا ما طمح
و شادٍ يشيد - بصوتٍ يميدُ - جبالَ الحديد - له إن صدح
و عاصِ النصيح - الذي لا يُبيح - وصال المليح - اذا ما سمح
و جُلْ في المحال - و لو بالمُحال - و دع ما يقال - و خذ ما ملح
و فارق اباك - اذا ما اباك - و مُدّ الشباك - و صِدْ مَن سنح
و صافِ الخليلَ - و نافِ البخيلَ - و أَوْلِ الجميلَ - و والِ المنح
و لُذْ بالمتاب - امامَ الذَّهاب - فمن دقّ بابَ - كريمٍ فتح

فقلت له بخٍ بخٍ لروايتك * و أُفٍّ و تُفٍّ * لغوايتك * فبالله من ايّ الاعياص عيصك * فقد اعضلني عويصك * فقال ما أُحبّ

ان أُفصح عني * و لكني ساكْني * نظم

انا أطروفة الزما * ن و أعجوبة الامم
و انا الحُوَّل الذي احـ * ـتال في العرب والعجم
غير اني ابن حاجة * هاضه الدهر واهتضم
و ابو صبية بدوا * مثل لحم على وضم
و اخو العيلة المعيل * إذا احتال لم يُلَم

قال الراوي فعرفت حينئذ انه ابو زيد ذوالريب و العيب * و مسوّد وجه الشيب * و ساءني عُظم تمرّده * و قبحُ توردّه * فقلت له بلسان الانفة * و ادلال المعرفة * الم يأنِ لك يا شيخنا * ان تُقلعَ عن الخَنا * فتضجّر * و زمجر * و تبكّر * و فكّر * ثم قال انها ليلةُ مِراح * لا تَلاح * و نُزهة شُرب راح * لاكِفاح * فعدّ عما بدا * الى ان نتلاقى غدا * ففارقته فرقا من عربدته * لا تعلقا بعدته * و بتّ ليلتي لابسا حداد الندم * على نقلي خُطَى القدم * الى

ابنة الكرم لا الكرم * و عاهدت الله سبحانه ان لا احضر بعدها حانة نباذ * و لو اعطيت ملك بغداذ * و لا اشهد معصرة الشراب * و لو رد علي عصر الشباب * ثم اذنا رحلنا العيس * وقت التغليس * و خلينا بين الشيخين ابي زيد و ابليس *

المقامة الثالثة عشرة البغدادية

روى الحارث بن همام قال ندوت بضواحي الزوراء * مع مشيخة من الشعراء * لا يعلق لهم مبار بغبار * و لا يجري معهم ممار في مضمار * فافضنا في حديث يفضح الازهار * الى ان نصفنا النهار * فلما غاض در الافكار * و صبت النفوس الى الاوكار * لمحنا عجوزا تقبل من البعد * و تحضر احضار الجرد * و قد استتلت صبية انحف من المغازل * و اضعف من الجوازل * فما كذبت اذ راتنا * ان عرتنا * حتى اذاما حضرتنا * قالت حيا الله المعارف * و ان لم يكن(١) معارف * اعلموا يا مآل الامل * و ثمال الارامل * انني من سروات القبائل * و سريات العقائل * لم يزل اهلي و بعلي يحلون الصدر * و يسيرون القلب * و يمطون الظهر * و يولون اليد * فلما اردى الدهر الاعضاد * و فجع بالجوارح الاكباد * و انقلب ظهرا لبطن * نبا الناظر * و جفا الحاجب * و ذهبت العين * و فقدت الراحة * و صلد الزند * و وهنت اليمين * و بانت المرافق * و لم يبق لنا ثنية و لا ناب * فمذ اغبر العيش الاخضر * و ازور المحبوب الاصفر * اسود يومي الابيض * و ابيض فودي الاسود * حتى رثى لي العدو الازرق * فحبذا الموت الاحمر * و تلوي من ترون

(١) يكونوا *

عينه فراره * و ترجمانه اصفراره * قصوى بغية احدهم ثردة * وقصارى منيته بردة * وكنت آليت ان لا ابذل الحرّ الا للحر * ولو اني مت من الضر * وقد ناجتني القرونة * بان توجد عندكم المعونة * وآذنتني فراسة الحوباء * بانكم ينابيع الحباء * فنضّر الله امرءا ابرّ قسمي * وصدّق توسّمي * ونظر اليّ بعين يقذيها الجمود * ويقذّيها الجود * قال الحارث بن همام فهمنا لبراعة عبارتها * ومُلَح استعارتها * وقلنا لها قد فتن كلامك * فكيف إلحامك * فقالت يفجّر الصخر * ولا فخر * فقلنا ان جعلتنا من رواتك * لم نبخل بمواساتك * فقالت لأرينّكم اوّلا شعاري * ثم لارويتّكم اشعاري * فابرزت ردن درع دريس * وبرزت برزة عجوز دردبيس * وانشأت تقول * نظم

اشكو الى الله اشتكاء المريض * ريب(١)الزمان المتعدي البغيض
يا قوم اني من اناس غنوا * دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخـــارهم ليس له دافع * وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما نجعة اعوزت * في السنة الشهباء روضا اريض
تشب للسارين نيرانهــم * ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبـــا * ولا اروع قال حال الجريض
فغيّضت منهم صروف الردى * بحار جود لم اخلهـــا تغيض
واودعت منهم بطون الثرى * اسد التحامي واساة المريض
فحملي بعد المطايا المطا * وموطني بعد اليفاع الحضيض
وافرخي ما تأتلي تشتكي * بؤسا له في كل يوم وميض
اذا دعا القانت في ليلة * مولاه نادوه بدمع يفيـــض

---

(١) جور *

يا رازق النعّاب في عشّه * و يا جابر العظم الكسير المهيض
أتح لنا اللهم مَن عرضُه * من دنس الذم نقيٌّ رحيض
يطفئ نار الجوع عنا و لو * بمذقة من حازر او مخيض
فهل فتًى يكشف ما نابهم * و يغنم الشكر الطويل العريض
فو الذي تعنو النواصي له * يوم وجوه الجمع سود و بيض
لو لاهُمُ لم تبدُ لي صفحة * و لا تصدَّيتُ لنظم القريض

قال الراوي فو الله لقد صدعت بابياتها اعشار القلوب * واستخرجت خبايا الجيوب * حتى ماحها من دينه الامتياح * و ارتاح لرفدها من لم نخله يرتاح * فلما افعَوْعم جيبُها تبرا * و اولاها كل منا برًّا * تولت يتلوها الاصاغر * و فوها بالشكر فاغر * فاشرأبّت الجماعة بعد ممرّها * الى سبْرها * لتبلو مواقع برّها * فكفلت لهم باستنباط السر المرموز * و نهضت اقفو إثر العجوز * حتى انتهت الى سوق مغتصّة بالانام * مختصّة بالزحام * فانغمست في الغمار * و املَّستْ من الصبية الاغمار * ثم عاجت بخلوّ بال * الى مسجد خالٍ * فاماطت الجلباب * و نضت النقاب * و انا المحها من خَصاص الباب * و ارقب ما ستُبدي من العُجاب * فلما انسرت اهبةُ الخفر * رأيت مُحيّا ابي زيد قد سفر * فهممتُ بان اهجُم عليه * لأعنّفه على ما اجرى اليه * فاسلنقى اسلنقاء المتمردين * ثم رفع عقيرة المغرّدين * و اندفع ينشد * نظم

يا ليت شعري ادهري * احاط علما بقدري
و هل درى كنهَ غوري * في الخدع ام ليس يدري
و كم قد قمرتُ بنيه * بحيلتي و بمكري

و كم برزتُ بعرفٍ * عليهمُ و بنُكْرِ
اصطاد قوما بوعظ * و آخرين بشعرِ
و استفِزُّ بخلٍّ * عقلا و عقلا بخمرِ
و تارة انا صخرٌ * و تارة اخت صخرِ
و لو سلكت سبيلا * مالوفة طول عمري
لخاب قدحي و قِدحي * و دام عُسري و خُسري
فقل لمن لام هذا * عذري فدونك عذري

قال الحارث بن همام فلما ظهرت عَلَيَّ جلِيّةُ اَمره * و بديعة اِمره * و ما زخرف في شعره من عذره * علمتُ انّ شيطانه المريد * لا يسمع التفنيد * و لا يفعل الا ما يريد * فثنيت الى اصحابي عناني * و ابثثتُّهم ما اثبته عياني * فوجموا لضيعة الجوايز * و تعاهدوا على محرمة العجائز *

المقامة الرابعة عشرة المكية

حكى الحارث بن همام قال نهضت من مدينة السلام * لحجة الاسلام * فلما قضيت بعون الله التفَثَ * و استبحت الطيب و الرفَثَ * صادف موسم الخيف * مَعمعانُ الصيف * فاستظهرت للضرورة * بما يقي حرَّ الظهيرة * فبينما انا تحت طراف * مع رُفقة ظِراف * وقد حَمِيَ وَطيس الحَصباء * و اعشَى الهجيرُ عينَ الحرباء * اذ هجم علينا شيخ مُتسعسع * يتلوه فتى مُترعرِع * فسلم الشيخ تسليمَ اديب اريب * و حاور محاورة قريب لا غريب * فاعجبنا بما نثر من سمطه * و عجبنا من انبساطه قبل بسطه * و قلنا له من انت * وكيف ولجت و ما استأذنت * فقال اما انا فعافٍ *

و طالب اسعاف * و سرُّ ضُرّي غيرُ خاف * و النظر اليَّ شفيع
كاف * و اما الانسياب * الذي عَلِق به الارتياب * فما هو بعجاب *
اذ ما على الكرماء من حجاب * فسألناه انّى اهتدى الينا * و بم
استدل علينا * فقال ان للكرم نشرًا تنمّ نفحاته * و تُرشد الى
روضه فوحاته * فاستدللت بتأرّج عَرفكم * على تبلُّج عُرفكم *
و بشّرني تضوّعُ رَندكم * بحسن المنقلب من عندكم * فاستخبرناه
حينئذ عن لُبانته * لنتكفّل باعانته * فقال ان لي مأربا *
و لفتاي مطلبا * فقلنا كلا المرامين سيقضى * و كلاكما سوف يُرضى *
و لكنّ الكُبرَ الكُبرَ * فقال اجل و من دحا السبع الغبر * ثم وثب
للمقال * كالمنشط من العقال * و انشد * نظم

انّي امرؤ أُبدِعَ بي * بعد الوجى و التعب
و شُقّتي شاسعة * يقصُرُ عنها خببي
و ما معي خردلة * مطبوعة من ذهب
فحيلتي منسدة * و حيرتي تلعبُ بي
ان ارتحلتُ راجلا * خفت دواعي العَطَب
و ان تخلّفت عن الرُّفقة ضاق مذهبي
فزفرتي في صُعُد * و عبرتي في صبب
و انتم منتجع الراجي و مرمى الطلب
لُهاكُمُ مُنهلّة * و لا انهلال السُّحُب
و جاركم في حرم * و وفركم في حرب
ما ان مرتاع بكم * فيخاف ناب النوب
و لا استدرّ آمل * حباءكم فما حُبي
فانعطفوا في قصتي * و احسنوا منقلبي

فلو بلوتم عيشتي * في مطعمي و مشربي
لساءكم غرى الذي * اسلمني للكرب
و لو خبرتم حسبي * و نسبي و مذهبي
و ما حوت معرفتي * من العلوم النُّخب
لما اعترتكم شبهة * في ان دائي ادبي
فليت اني لم اكن * أرضعت ثدي الادب
فقد دهاني شؤمه * و عقّني فيه ابي

فقلنا له اما انت فقد صرّحتْ ابياتُك بفاقتك * و عطب ناقتك * و سنعطيك ما يوصلك الى بلدك * فما مأربة ولدك * فقال له قم يا بنيَّ كما قام ابوك * و فُهْ بما في نفسك لا فُضَّ فوك * فنهض نهوض البطل للبراز * و أَصْلَتَ لسانا كالعضب الجُراز * وانشد يقول * نظم

يا سادةً في المعالي * لهم مبان مشيده
و من اذا ناب خطب * قاموا بدفع المكيده
و من يهون عليهم * بذلُ الكنوز العتيده
اريد منكم شواء * و جردقا و عصيده
فان غلا فرقاق * به تواري الشهيده
او لم يكن ذا و لا ذا * فشبّعة من ثريده
فان تعذّرن طُرّا * فعجوة و نهيده
فاحضروا ما تسنّى * و لو شظا من قديده
و روّجوه فنفسي * لما يروج مُريده
و الزاد لابد منه * لرحلة لي بعيده
و انتمُ خيرُ رهط * يدعون عند الشديده

ايديكم كل يوم * لها اياد جديده
و راحكم واصلات * شمل الصلات المفيده
و بغيتي في مطاوي * ما ترفدون زهيده
و في اجر و عقبى * تنفيس كربي حميده
و لي تذائح فكر * يفضحن كل قصيده

قال الحارث بن همام فلما رأينا الشبل يشبه الاسد * ارحلنا الوالد و زودنا الولد * فقابلا الصنع بشكر نشرا ارديته * و اديا به ديته * و لما عزمنا على الانطلاق * و عقدا للرحلة حبك النطاق * قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب * او بقيت حاجة في نفس يعقوب * فقال حاش لله و كلا * بل جل معروفكم و جلى * فقلت له فدنا كما دناك * و اندنا كما اندناك * اين الدويرة * فقد ملكتنا فيك الحيرة * فتنفس تنفس من ادكر اوطانه * و انشد و الشهيق يلعثم لسانه * نظم

سروج داري و لكن * كيف السبيل اليها
و قد اناخ الاعادي * بها و اخذوا عليها
فوالتي سرت ابغي * حط الذنوب لديها
ما راق طرفي شئ * مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع * و آذنت مدامعه بالهموع * فكره ان يستوكفها * و لم يملك ان يكفكفها * فقطع انشاده المتعلى * و اوجز في الوداع و ولى *

المقامة الخامسة عشرة الفرضية

اخبر الحارث بن همام قال ارقت ذات ليلة حالكة الجلباب *

هامية الرباب * ولا ارَق صتَّ طرفَ عن الباب * و مُدي بعد الاحباب *
فلم تزَل الافكار يهجنَ همّي * و يُجلن في الوساوس وهمي(†) *حتى
تمنيت * لمضَض ما عانيت * ان اُرزق سميرا من الفضلاء *
ليقصرَ طول ليلتي الليلاء * فما انقضت مُنيتي * ولا اغمضتُ
مُقلتي* حتى قرع الباب قارع* له صوت خاشع * فقلت في نفسي
لعلَّ غرسَ التمني قد اثمر * و ليلَ الحظ قد اقمر * فنهضتُ اليه
عجلان * و قلت من الطارق الان * فقال غريب اجَنّه الليل * و
غشيه السيل * و يبتغي الايواء لا غير * و اذا اسحر قدَّم السير * قال
فلما دلَّ شعاعه على شمسه * و نمَّ عنوانُه بسرّ طرسه * علمت انَّ
مسامرته غُنْم * و مساهرته نُعم * ففتحتُ الباب بابتسام * و قلتُ
ادخلوها بسلام * فدخل شخص قد حَنَى الدهرُ صعدَتَه * و بلَّل
القَطر بُرْدته * فحيّى بلسان عَضْب * و بيان عَذْب * ثم شكر على تلبية
صوته * و اعتذر من الطروق في غير وقته * فدانيته بالمصباح
المُتَّقد * و تأمَّلته تأمُّلَ المنتقد * فالفيته شيخنا ابا زيد بلا ريب * و
لا رجم غيب* فاحللته محلَّ مَن اظفرني بقُصوى الطلب* و نقلني
من وَقْد الكرَب * الى روَح الطرب * ثم اخذ يشكو الاين * و اخذت
في كيف و اين * فقال ابلعني ريقي * فقد اَتعبني طريقي *
فظننته مُستبطئا للشَّغب * متكاسلا لهذا السبب * فاحضرته ما
يُحضَر للضيف المفاجئ * في الليل الداجي * فانقبض انقباض
المحتشم * و اعرض اعراض البَشِم * فسُوتُ ظنًّا بامتناعه * و احفظني
حَرُونُ طباعه * حتى كدتُ اُغلظُ له في الكلام * و اُسْعه بحمة
الملام * فتبين من لمحات ناظري * ما خامر خاطري *

(†) فهمي *

فقال يا ضعيف الثقة * باهل المقة * عدّ عما اخطرته بالك *
و استمع اليّ لا ابا لك * فقلت هات * يا اخا الترّهات * فقال
اعلم اني بتّ البارحة حليف افلاس * و نجيّ وسواس * فلما
قضى الليل نحبه * و غوّر الصبح شهبه * غدوت وقت الاشراق *
الى بعض الاسواق * متصديا لصيد يسنح * او حرّ يسمح * فلحظت
بها تمرا قد حُسّنَ تصفيفه * و أُحسن اليه مُصيفه * فجمع على
التحقيق * صفاء الرحيق * و قُنُوءَ العقيق * و قُبالته لبأ قد برز
كالابريز الاصفر * و انجلى فى اللون المزعفر * فهو يثني على طاهيه *
بلسان تناهيه * و يصوّب رأيَ مشتريه * و لو نقد حبّة القلب فيه *
فاسرتْني الشهوة باشطانها * و اسلمتني العَيْمة الى سلطانها *
فبقيت احيَر من ضبّ * و اذهل من صبّ * لا وُجْدُ يوصلني الى
نيل المراد * و لذة الازدراد * و لا قدم تطارعني على الذهاب *
مع حرقة الالتهاب * لكن حداني القرم و سورته * و السغب (‡)
و فورته * على ان انتجع كلّ ارض * و اقتدح من الورد ببَرْض *
فلم ازل سحابة ذلك النهار * أدلي دلوي الى الانهار * و هى
لا ترجع ببلّة * و لا تجلُب نقع غُلّة * الى ان صغت الشمسُ
للغروب * و ضعُفت النفسُ من اللغوب * فرحت بكبد حرّى *
و انثنيتُ أقدّم رجلا و ارخر اخرى * و بينما انا اسعى و اقعُد *
و اهبّ و اركُد * اذ قابلني شيخ يتأوّه آهَةَ الثكلان * و عيناه
تهمُلان * فما شغلني ما انا فيه من داء الذئب * و الخوى
المذيب * عن تعاطي مداخلته * و الطمع في مخاتلته * فقلت
له يا هذا ان لبكائك لسرّا * و وراءَ تحرّقك لشرّا * فاطلعني على

(‡) الغضب *

برحائك * واتخذني من نصحائك * فانك ستجد مني طبًّا آسيا * او عونا مُواسيا * فقال والله ما تأوّهي لعيش فات * ولا من دهر افتات * بل لانقراض العلم ودروسه * وأفول اقماره وشموسه * فقلت واي حادثةٍ نجمَتْ * وقضية استعجمت * حتى هاجت لك الاسف * على فقد من سلف * فابرز رقعة من كُمّه * واقسم بابيه وأمه * لقد انزلها باعلام المدارس * فما امتازوا عن الأعلام الدوارس * واستنطق لها احبار المحابر * فخرسوا ولا خَرَس سُكّان المقابر * فقلت ارنيها * فلعلي أغني فيها * فقال ما ابعدت في المرام * فرُبَّ رمية من غير رام *

ثم ناولنيها * فاذا المكتوب فيها * نظم

ايها العالم الفقيه الذي فا * ق ذكاء فما له من شبيه
افتنا في قضيّة حاد عنها * كلّ قاض وحار كلّ فقيه
رجل مات عن اخ مسلم حُـ * ـرٍّ تقيٍّ من آمه وابيه
وله زوجة لها ايها الحبْـ * ـرُ اخٌ خالصٌ بلا تمويه
فحوتْ فرضها وحاز اخوها * ما تبقّى بالارث دون اخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنا * فهو نصٌّ لا خُلْفَ يوجدُ فيه

فلما قرأتُ شعرها * ولمحت سرها * قلت له على الخبير بها سقطت * وعند ابن بجْدتها حططتُّ * الا اني مضطرم الاحشاء * مضطر الى العشاء * فاكرم مثوايَ * ثم استمع فتوايَ * فقال لقد انصفت في الاشتراط * وتجافيت عن الاشتطاط * فصِرْ معي * الى مربعي * لتظفرَ بما تبتغي * وتنقلبَ كما ينبغي * قال فصاحبته الى ذراه * كما حكم الله * فادخلني بيتا حرج من التابوت * واوهنَ من بيت العنكبوت * الا انه

جبر ضيق ربعه * بتوسعة ذرعه * فحكّمني في القرى * و اطائب
ما يُشترى * فقلت أُريد ازهى راتب على اشهى مركوب * و انفع
صاحب مع اضرّ مصحوب * فافكر ساعة طويلة * ثم قال لعلك تعني
بنت نُخَيلة * مع ابا سُخَيلة * فقلت اياهما عنيتُ * و لاجلهما
تعنّيت * فنهض نشيطا * ثم ربَض مُستشيطا * و قال اعلم
اصلحك الله ان الصدق نَباهة * و الكذِب عاهة * فلا يحملنّك
الجوعُ الذي هو شعار الانبياء * و حلية الاولياء * على ان تلحق
بمن مان * و تتخلّق بالخُلق الذي يُجانبُ الايمان * فقد تجوعُ
الحرة * و لا تأكل بثدييها * و تابى الدنية * و لو اضطُرّت اليها * ثم
اني لست لك بزبون * و لا اغضي على صفقة مغبون * و ها انا
قد انذرتك قبل ان ينهتك الستر * و ينعقد بيننا الوتر * فلا تُلغ
تدبّر الانذار * و حذار من المكاذبة حَذار * فقلتُ له و الذي حرّم
اكل الربا * و احلّ اَكلَ اللّبا * ما فهتُ بزور * و لا دلّيتك
بغرور * و ستخبرُ حقيقةَ الامر * و تحمد بدلَ اللّبأ و التمر *
فبشّ هشاشةَ المصدوق * و انطلق مُغذّا الى السوق * فما كان
باسرع من ان اقبل بهما يدلَح * و وجهه يكلَح * فوضعهما لديّ *
وضع الممتنّ عليّ * و قال اضرب الجيش بالجيش * تحظَ بلذة
العيش * قال فحسرت عن ساعد النهِم * و حملت حملة الفيل
الملتهِم * و هو يلحظني كما يلحظ الحنق * و يود من الغيظ
لو اختنق * حتى اذا هلقمت النوعين * و غادرتهما اثرا بعد
عين * اقردت حيرة في اظلال الابيات * و فكرة في جواب الابيات *
فما لبث ان قام * و احضر الدواة و الاقلام * و قال قد ملأت الجراب *
فامل الجواب * و الا فتهيّأ إن نكلت * لاغترام ما اكلت * فقلت

له عندي الا التحقيق * فاكتب و بالله التوفيق * نظم

قل لمن يلغز المسائل اني * كاشف سرها الذي يخفيه
ان ذا الميت الذي قدم الشر * ع اخا عرسه على ابن ابيه
رجل زوج ابنه عن رضاه * بحماة له و لا غرو فيه
ثم مات ابنه وقد علقت منه * فجاءت بابن له يحكيه
فهو ابن ابنه بغير مراء * و اخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح ادنى الى الجد * و اولى بارثه من اخيه
فلذا حين مات اوجب للزو * جة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الاص * ل اخوها من امها باقيه
وتخلى الاخ الشقيق من الار * ث و قلنا يكفيك ان تبكيه
هاك مني الفتيا التي يحتذيها * كل قاض يقضي و كل فقيه

قال فلما اثبت الجواب * واستثبت منه الصواب * قال لي اهلك و الليل * فشمر الذيل * وبادر السيل * فقلت اني بدار غربة * و في ايوائي افضل قربة * لا سيما وقد اغدف جنح الظلام * وسبح الرعد في الغمام * فقال اغرب عافاك الله الى حيث شئت * و لا تطمع في ان تبيت * فقلت و لم ذاك * مع خلو ذراك * قال لاني انعمت النظر * في التقامك ما حضر * حتى لم تبق و لم تذر * فرأيتك لا تنظر في مصلحتك * و لا تراعي حفظ صحتك * و من امعن فيما امعنت * وتبطن كما تبطنت * لم يخلص من كظة مدنفة * او هيضة متلفة * فدعني بالله كفافا * واخرج عني ما دمت معافا * فو الذي يحيي و يميت * ما لك عندي مبيت * فلما سمعت اليته * وبلوت بليته * خرجت من بيته بالرغم * و تزود الغم * تجودني السماء * و تخبط بي

الظلماء * وتنبحني الكلاب * وتتقاذف بي الابواب * حتى ساقني اليك لطف القضاء * فشكرا ليده البيضاء * فقلت له احبِبْ بلقائك المتاح * الى قلبي المرتاح * ثم اخذ يفتنّ في حكاياته * ويُنشط مُضحكاته بمُبكياته * الى ان عطس انفُ الصباح * وهَتف داعي الفلاح * فتأهّب لاجابة الداعي * ثم عطف الى وَداعي * فعُقتُه عن الانبعاث * وقلت الضيافة ثلث * [وماحفزك الاحتثاث * وان ترحلت رحلة خرقاء * نغصت اللقاء * وسؤت الاصدقاء *] (†) فناشد وحرّج * ثم امّ المخرج * وانشد اذ عرّج * نظم

لا تزرْ مَن تُحبُّ في كل شهر * غير يوم و لا تزده عليه

فاجتلاءُ الهلال في الشهر يوم * ثم لا تنظر العيـــون اليه

قال الحارث بن همام فودّعته بقلب دامي القَرح * ووددت لوان ليلتي بطية الصبح *

المقامة السادسة عشرة المغربيه

حكى الحارث بن همام قال شهدت صلاة المغرب * في بعض مساجد المغرب * فلما أدّيتها بفضلها * وشفعتها بنفلها * إخذ طرفي رفقة قد إنتبذوا ناحية * وإمتازوا صفوة صافية * وهم يتعاطون كأس المنافثه * ويقتدحون زناد المباحثة * فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد * و ادب يستزاد * فسعيت اليهم * سعي المتطفل عليهم * وقلت لهم اتقبلون نزيلا يطلُب جنى الاسمار * لاجنيّ الثمار * ويبغي مُلَح الحِوار * لا ملحاء الحُوار * فحلّوا لى

(†) هذه العبارة في نسخة واحدة *

الحُبا * و قالوا مرحبا مرحبا * فلم اجلس الا لمحة بارق خاطف*
او نغبة طائر خائف * حتى غشيَنا جوَّاب * على عاتقه جِراب *
فحيَّانا بالكلمتين * و حيَّى المسجد بالتسليمتين * ثم قال يا
اولى الالباب * و الفضل اللباب * اما تعلمون ان انفس القربات *
تنفيس الكُربات * و امتَن اسبابِ النجاة * مواساةُ ذوى الحاجات*
و اني و من احلَّني ساحتَكم* و اتاح لي استماحتكم * لَشريدُ محلٍّ
قاص * و بريد صِبية خِماص * فهل في الجماعة * من يفثأ عنا
حُميًّا المجاعة * فقالوا له يا هذا انك حضرت بعد العشاء * ولم يبق
الا فضلات العشاء * فان كنت بها قنوعا * فما تجد فينا منوعا *
فقال ان اخا الشدائد* ليقنع بلُفاظاتِ الموائد * و نُفاضات المزاود *
فامر كل منهم عبده * ان يُزوِّده ما عنده * فاعجبه الصنعُ و شكَر
عليه * و جلس يرقُب ما يُحمَل اليه * و ثُبنا نحن الى استثارة
ملح الادب و عيونه * و استنباط معينه من عيونه * الى ان جُلنا
فيما لا يستحيل بالانعكاس * كقولك ساكب كاس * فتداعينا
الى ان نستنتج له الافكار * و نفترع منه الابكار * على ان ينظمَ
البادي ثلث جُمانات في عقده * ثم تتدرّج الزيادات من
بعده * فيُربِّع ذو ميمنته في نظمه * و يُسبِّعَ صاحبُ ميسرته على
رغمه * قال الراوي وكنا قد انتظمنا عِدَّة اصابع الكف * و تألفنا
آلفة اصحاب الكهف * فابتدر لعُظم محنتي * صاحب ميمنتي *
وقال(لُم اخاً ملَّ) و قال مَيامنه (كِبّر رَجاءَ اجرِ ربك) و قال
الذي يليه (من يَرُبُّ اذا برَّ ينم (وقال الاخر (سكّت كلَّ مَن
نمَّ لك تِكسْ) و انفضتِ الذوبةُ اليَّ * و قد تعين نظمُ السمط
السُّباعيِّ عليَّ * فلم يزل فكري يصوغ و يكسر* و يُثري و يُعسِر*

و في ضمن ذلك استطعم * فلا اجد من يُطعم * الى ان ركد النسيم * و حصحص التسليم * فقلت لاصحابي لو حضر السروجي هذا المقام * لشفى العُقام * فقالوا لو نزلت هذه باياس * لامسك على ياس * و جعلنا نُفيض في استصعابها * و استغلاق بابها * و ذلك الزور المعتري * يلحظنا لحظ المزدري * و يؤلف الدرر و نحن لا ندري * فلما عثر على افتضاحنا * و نُضوب ضحضاحنا * قال يا قوم ان من العناء العظيم * استيلاد العقيم * و الاستشفاء بالسقيم * و فوق كل ذي علم عليم * ثم اقبل عليّ و قال سأنوب مناب ما نابك * و اكفيك ما نابك * فان شئت ان تنثر * و لا تعثر * فقل مخاطبا لمن ذمّ البخل * و اكثر العذل * كُنْ بكلّ مؤمّل اذا لمّ و ملك بذلَ * و ان احببتَ ان تنظم .. فقل للذي تعظم * نظم

أَس ارمـــلاً اذا عرا * وَارْعَ اذا المـرء اسـا
اسنـــدْ اخا نبـاهة * أَبْنِ إِخـاء دنسَـــا
أَسلُ جنـاب غاشـم * مشاغبٍ ان جلسـا
اسـر اذا هبّ مـــرا * و ارْم به اذا رسـا
اسكـــن تَقَـوَّ فعسى * يسْعف وقتٌ نُكسا

قال فلما سحرنا بابياته * و حسرنا ببعد غاياته * منحناه حتى استعفى * و منحناه الى ان استكفى * ثم شمّر ثيابه * و ازدفر جرابه * و نهض ينشد * نظم

لـلـه درُّ عصـــابة * صُدُق المقـــال مَقاولا
فاقوا الانام فضائلا * ماثـورة و فواضـلا
حاورتُهم فوجدت سحبا نالديهـــم باقـــلا
و حللت فيهـــم سائلا * فلقيـت جودا سائـــلا

اقسمت لو كان الكـرا * م حيـا لـكانوا وابلا

ثم خطا قيد رمحين * وعاد مستعيذا من الحين * وقال يا عز من عدم الآل * وكنز من سلب المال * ان الغاسق قد وقب * ووجه المحجة قد انتقب * وبيني وبين كني ليل دامس * وطريق طامس * فهل من مصباح يؤمنني العثار * ويبين لي الآثار * قال فلما جيء بالملتمس * وجلى الوجوه ضوء القبس * رأيت صاحب صيدنا * هو ابو زيدنا * فقلت لاصحابي هذا الذي اشرت الى انه اذا نطق اصاب * وان استمطر صاب * فاتلعوا نحوه الاعناق * واحدقوا به الاحداق * وسألوه ان يسامرهم ليلته * على ان يجبروا عيلته * فقال حبا لما احببتم * ورحبا بكم اذا رحبتم * غير اني قصدتكم واطفالي يتضورون من الجوع * ويدعون لي بوشك الرجوع * وان استزادوني خامرهم الطيش * ولم يصف لي العيش * فدعوني لاذهب فاسد مخمصتهم * واسيغ غصتهم * ثم انقلب اليكم على الاثر * متأهبا للسمر * الى السحر * فقلنا لاحد الغلمة اتبعه الى فئته * ليكون اسرع لفيئته * فانطلق معه مضطبنا جرابه * ومستحثا ايابه * فابطأ بطأ جاوز حده * ثم عاد الغلام وحده * فقلنا ما عندك من الحديث * عن الخبيث * قال اخذبي في طرق متعبة * وسبل متشعبة * حتى افضينا الى دويرة خربة * فقال ههنا مناخي * ووكر افراخي * ثم استفتح بابه * واختلج مني جرابه * وقال لعمري لقد خففت عني * واستوجبت الحسنى مني * وهاك نصيحة هي من نفائس النصائح * ومغارس المصالح * وانشد * نظم

اذا ماحويت جنى نخلة * فلا تقربنها الى قابل

وإما سقطتَ على بَيْدر * فحَوْصِلْ من السُّنْبُل الحاصل
ولا تلبَثنَّ اذا ما لقطتَ * فتنشَبَ في كفَّة الحابل
ولا تُوغلنَّ اذا ما سبحتَ * فان السلامةَ في الساحل
وخاطب بهاتِ وجاوب بسوف * وبع آجلا منك بالعاجل
ولا تُكثرنَّ على صاحب * فما مُلَّ قطُّ سوى الواصل

ثم قال اخزنها في تامورك * واقتديها في آمورك * وبادر الى صحبك * في كلاءة ربك * فاذا بلغتَهم فابلغهم تحيتي * واتلُ عليهم وصيَّتي * وقل لهم عني ان السَّهر في الخرافات * لمن اعظم الآفات * ولست الغي احتراسي * ولا اجلُبُ الهَوَس الى رأسي * قال الراوي فلما وقفنا فحوى شعره * على نُكره ومكره * تلاومنا على تركه * والاغترار بإفكه * ثم تفرقنا بوجوه باسرة * وصَفْقة خاسرة *

المقامة السابعة عشرة القهقرية

حدث الحارث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين * ومطامح العين * فتية عليهم سيماء الحجى * وطلاوة نجوم الدجى * وهم في مُماراة مُشتدَّة الهُبوب * ومُباراة مشتطَّة الأُلهوب * فهزَّني لقصدهم هوى المحاضرة * واستحلاءُ جَنَى المناظرة * فلما التحقتُ برهطهم * وانتظمتُ في سِمْطهم * قالوا ا انت ممن يُبلي في الهيجاء * ويلقي دلوه في الدِّلاء * فقلت بل انا من نظَّارة الحرب * لا من ابناء الطعن والضرب * فاضربوا عن حجاجي * وافاضوا في التحاجي * وكان في بحبوحة حلقتهم * واكليل رفقتهم * شيخ قد برته الهموم * ولوَّحته السَّموم * حتى عاد انحلَ

من قلم * و افصحَ من جَلَم * الا انه كان يُبدي العُجاب * اذا اجاب * و يُنسي سحبانَ * كلما ابانَ * فأُعجبتُ بما اوتيَ من الاصابة * والتبريز على تلك العصابة * و ما زال يفصح عن كل معمّى * و يصمي في كل مرمى * الى ان خلت الجعاب * و نفد السؤالُ و الجواب * فلما رأى انفاض القوم * و اضطرارهم الى الصوم * عرَّض بالمطارحة * و استأذن فى المفاتحة * فقالوا حبَّذا * و من لنا بذا * فقال اتعرفون رسالةً ارضُها سماؤُها * وصبحُها مساؤُها * نُسِجتْ على منوالين * و تجلَّت في لونين * و صلَّت الى جهتين * و بدتْ ذاتَ وجهين * ان بزَغت من مشرقها * فناهيك برونقها * و ان طلَعت من مغربها * فيالَعجبها * قال فكأنَّ القوم رُمُوا بالصُّمات * او حقَّت عليهم كلمة الانصات * فما نبس منهم انسان * و لافاه لاحدهم لسان * فحين رآهم بُكما كالانعام * و صموتًا كالاصنام * قال لهم قد اجَّلْتكم اجَلَ العدَّة * و ارخيتُ لكم طوَلَ المدة * ثم هُهنا مجمعُ الشمل * و مَوقفُ الفصل * فان سمحتْ خواطركم مدحنا * و ان صلَدتْ زنادُكم قدَحْنا * فقالوا له والله ما لنا فى لجَّة هذا البحر مَسبَح * و لا في ساحله مسرَح * فَارح افكارَنا من الكدّ * و هنّيء العطيَّة بالنقد * و اتخِذْنا اخوانًا يذبون اذا وثبتَ * و يُثيبون متى استثبتَ * فاطرق ساعة * ثم قال سمعًا لكم و طاعةً * فاستملوا منّي * و انقلوا عنّي * الانسانُ صنيعةُ الاحسان * و ربَّ الجميل فعلُ الذَّنْب * و شيمة الحُرّ ذخيرة الحمد * و كسب الشكر استثمار السعادة * و عنوان الكرم تباشير البشْر * و استعمال المداراة * يوجب المصافاة * و عقد المحبة يقتضى النصح * و صدق الحديث حلية اللسان * و فصاحة

المنطق سحر الالباب * و تَرْكُ الهوى آية النفوس * و مُلَل الخلائق * شين الخلائق * و سوء الطمع * يباين الورع * و التزام الحزامة * زمام السلامة * و تطلّب المثالب * شر المعائب * و تتبّع العثرات * يُدحض المودّات * و خلوص النية * خلاصة العطية * و تهنية النوال * ثمن السُّؤال * و تكلف الكُلَف * يسهّل الخلف * و تيقّن المعونة * يُسنّي المؤونة * و نصلُ الصدر * سعة الصدر * و زينة الرُّعاة * مقت السُّعاة * و جزاء المدائح * بث المنائح * و مهر الوسائل * تشفيع المسائل * و مجانبة الغواية * استغراق الغاية * و تجاوز الحد * يكلُّ الحد * و تعدّي الادب * يحبط القُرَب * و تناسي الحقوق * يُنشئ العقوق * و تحاشي الرِّيَب * يرفعُ الرُّتَب * و ارتفاع الاخطار * باقتحام الاخطار * و تَنُّوه الاقدار * بمواتاة الاقدار * و شرف الاعمال * في تقصير الآمال * و اطالة الفكرة * تنقيح الحكمة * و رأس الرياسة * تهذُّب السياسة * و مع اللجاجة * تلغى الحاجة * و عند الارجال * تتفاضل الرجال * بتفاضل الهمم * تتفاوت القيم * و بتزيّد السفير * يهنُ التدبير * و بتخلل الاحوال * تتبيّن الاهوال * و بموجب الصبر * ثمرة النصر * و استحقاق الاحماد * بحسب الاجتهاد * و وجوب الملاحظة * كفاء المحافظة * و صفاء الموالي * بتعهد الموالي * و تحلّى المروّت * بحفظ الامانات * و اختبار الاخوان * بتخفيف الاحزان * و دفعُ الاعداء * بكف الاوداء * و امتحان العقلاء * بمقارنة الجهلاء * و تبصُّر العواقب * يومنُ المعاطب * و اتقاءُ الشُّنعة * ينشُر السمعة * و قبح الجفاء * ينافي الوفاء * و جوهر الاحرار * عند الاسرار * ثم قال هذه مائةلفظة * تحتوي على ادبٍ و عظة * فمن

ساقها هذا المساق * فلا مِراء ولا شِقاق * ومن رام عكس قالبها * وان يردّها على عقبها * فليقبل الاسرار * عند الاحرار * وجوهر الوفاء * ينافي الجفاء * وقبح السمعة * ينشر الشنعة * ثم على هذا المسحب فليسحبها * ولا يرعبها * حتى تكون خاتمة نقرها * وآخرة دررها * ورب الاحسان * صنيعة الانسان * قال الراوي فلما صدع برسالته الفريدة * واملوحته المفيدة * علمنا كيف يتفاضل الانشاء * وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء * ثم اعتلق كلّ منّا بذيله * وفلذ له فلذةً من نيله * فابى قبول فلذتي * وقال لست ارزأ تلامذتي * فقلت له كن ابا زيد على شحوب سحنتك * ونضوب ماء وجنتك * فقال انا هو على نحولي وقحولي * وقشف محولي * فاخذت في تثريبه * على تشريقه وتغريبه * فحوقل واسترجع * ثم انشد من قلب موجع * نظم

سلّ الزمان عليّ عضبه * ليروعني واحدّ غربه

واستلّ من جفني كرا * ه مراغما واسال غربه

واجالني في الافق اطـ * ـوي شرقه واجوب غربه

فبكل جوّ طلعة * في كل يوم لي وغربه

وكذا المغرّب شخصه * متغرّب ونواه غربه

ثم ولّى يجرّ عطفيه * ويخطر بيديه * ونحن بين متلفّت اليه * ومتهافت عليه * ثم لم نلبث ان حللنا الحُبا * وتفرّقنا ايادي سبا *

المقامة الثامنة عشرة السنجارية

حكى الحارث بن همام قال قفلت ذات مرة من الشام * انحو

مدينة السلام * في رَكْب من بني نُمير * و رُفقة اولي خير و مَير * و معنا ابو زيد السروجي عُقْلة العَجْلان * و سَلْوةُ الثَكلان * و أُعجوبة الزمان * و المشار اليه بالبنان في البيان * فصادف نُزولُنا سِنْجار * ان أولم بها احدُ التجار * فدعا الى مأدُبَته الجفلى * من اهل الحضارة و الفلا * حتى عَمّت دعوتُه الى القافلة * و جمع فيها بين الفريضة و النافلة * فلما اجبنا مناديَه * و حللنا ناديه * احضر من اطعمة اليد و اليدين * ما حلى في الفم و حلي بالعين * ثم قدّم جاما كأنما جُمّد من الهواء * او جُمع من الهباء * او صيغ من نور الفضاء * او قُشر من الدُرّة البيضاء * و قد أُودع لفائف النعيم * و ضُمّخ بالطيب العميم * و سيق اليه شربٌ من تسنيم * و سفر عن مرأى وسيم * و أرج نسيم * فلما اضطرمت بحضرة الشهوات * و قرمت الى مخبره اللهوات * و شارف ان تُشنّ على سربه الغارات * و نُنادىَ عند نهبه يا للثارات * نشز ابو زيد كالمجنون * و تباعد عنه تباعُدَ الضبّ من النون * فراودناه على ان يعود * و لا يكون كُقدارٍ في ثمودَ * فقال و الذي يُنشر الاموات من الرِجام * لا عُدتُّ دون رفع الجام * فلم نجد بدا من تألّفه * و ابرار حلفه * فاشلناه و العقول معه شائلة * و الدموع عليه سائلة * فلما فاء الى مجثمه * و خلص من مأثمه * سألناه لم قام * و لايّ معنىً استرفع الجام * فقال ان الزجاج نمّام * و اني آليتُ مذ اعوام * ان لا يُضمّني و نَموما مقام * فقلنا ما سبب يمينك الصرّى * و اليّتك الحرّى * فقال كان لي جار لسانه يتقرّب * و قلبه عقرب * و لفظه شهد يَنقَع * و خبأه سم مُنقعَ * وملتُ لمجاورته ـ الى محاورته * و اغتررتُ بمكاشرته ـ في معاشرته *

واستهوتني خضرة دمنته - لمنادمته * واغرتني خدعة سمته - بمفاسمته * فمازجته و عندي انه جار مكاسر * فبان انه عقاب كاسر * و آنسته على انه حب موانس * فوضح انه حباب موالس * و مالحته و لا اعلم انه عند نقده * ممن يفرح بفقده * و عاقرته ولم ادر انه بعد فره * ممن يطرب لمفره * و كانت عندي جارية * لا يوجد لها في الكمال مجارية * ان سفرت خجل الذيران * و صليت القلوب بالنيران * و ان بسمت ازرت بالجمان * و بيع المرجان بالمجان * وان رنت هيجت البلابل * و حققت سحر بابل * و ان نطقت عقلت لب العاقل * و استنزلت العصم من المعاقل * و ان قرأت شفت المفؤود * و احيت الموءود * و خلتها ارتيت من مزامير آل داؤد * و ان غنت ظل معبد لها عبدا * و قيل سحقا لاسحاق و بعدا * و ان زمرت اضحى زنام عندها زنيما * بعد ان كان لجيله زعيما * و بالاطراب زعيما * و ان رقصت امالت العمائم عن الرؤس * و استنك رقص الحبب في الكؤس * فكنت ازدري معها حمر النعم * و احلي بتمليها جيد النعم * و احجب مرآها عن الشمس و القمر * و اذود ذكراها عن شرائع السمر * و انا مع ذلك اليم * من ان تسري بريّاها ريح * او يكهن بها سطيح * او ينم عليها برق مليح * فاتفق لوشك الحظ المبخوس * و نكد الطالع المنحوس * ان انطقتني بوصفها حميا المدام * عند الجار النمام * ثم ثاب الفهم * بعد ان صرد السهم * فاحسست الخبال و الوبال * و ضيعة ما اودع ذلك الغربال * بيد اني عاهدته * على عكم ما لفظته * و ان يحفظ السر و لو احفظته * فزعم انه يخزن الاسرار * كما يخزن اللئيم الدينار * و انه لا يهتك الاستار *

و لو عُرِّضَ لان يلجَ الذار * فما غبر على ذلك الزمان * الا يوم او يومان * حتى بدا لامير تلك المَدَرة * و واليها ذى المقدرة * ان يقصد باب قيله * مجدّدا عرض خيله * و مستمطرا عارض نيله * و اراد ان يصحبه تحفة تلائم هواه * ليقدّمها بين يدي نجواه * وجعل يبذلُ الجعائل لروّاده * يُسنّي المراغبَ لمن يظفره بمراده * فاسفّ ذلك الجار الختّار الى بذوله * و عصى في ادّراع العار عذلَ عُذوله * فاتى الوالي ناشرا اُذنيه * و ابتّه ما كنتُ اسررتهُ اليه * فما راعني الا انسياب صاغيته اليّ * و انثيال حفدته عليّ * يسومني ايثاره بالدرة اليتيمة * على ان اتحكمّ عليه فى القيمَة * فغشيني من الغم * ما غشي فرعون و جنوده من اليم * و لم ازل اُدافع عنها و لا يغنى الدّفاع * و استشفع اليه و لا يُجدى الاستشفاع * و كلما رأى منى ازدياد الاعتياص * و ارتياد المناص * تجرّم و تضرّم * و حرّق عليّ الاُرّم * و نفسي مع ذلك لاتسمَح بمفارقة بدري * و لا بان انزع قلبي من صدري * حتى آل الوعيد ايقاعا * والتقريع قراعا * فقادني الاشفاق من الحين * الى ان قضته سواد العين * بصفرة العين * و لم يحظ الواشي بغير الاثم و الشين * فعاهدتُ الله تعالى منذ ذلك العهد * ان لا احاضر نمّاما من بعد * و الزجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمة * و به يضرب المثل فى النميمة * فقد جرى عليه سيلُ يميني * و لذلكم السبب لم تمتدّ اليه يميني * نظم

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته * على ان حُرمتم بي اقتطاف القطائف
فقد بان عذري في صنيعي واذني * سارتق فتقي من تليدي و طارف
على ان ما زوّدتكم من فُكاهة * الذ من الحلوا لدى كل عارف

قال الحارث بن همّام فقبلنا إعتذاره * و قبّلنا عذاره * و قلنا له قِدْماً وَ قَدْتِ النميمةُ خيرَ البشر * حتى انتشر عن حمّالة الحَطَب ما انتشر * ثم سألناه عما احدث جاره القتّات * و دُخُلُله المقتات * بعد ان راش له نبلُ السّعاية * و جذم حبْلَ الرعاية * فقال أخَذ في الاستخذاء و الاستكانة * و الاستشفاع اليَّ بذوى المكانة * و كنت جرّجت على نفسي * ان لا يسترجعَه أنسي * او يرجعَ اليَّ امسي * فلم يكن له مني سوى الرد * و الاصرار على الصدّ * و هو لا يكتئب من النجه * و لا يتّئُب من وقاحة الوجه * بل يُلظّ بالوسائل * و يُلحّ في المسائل * فما انقذني من ابرامه * و لا ابعد عليه نيل مرامه * الا أبيّات نفث بها الصدر المَوْتور * و الخاطر المبتور * فانها كانت مَدحَرةً لشيطانه * و مسجنةً له في اوطانه * و عند انتشارها بتّ طلاق الحبور * و دعا بالويل و الثُّبور * و يئس من نشرِ وصلي المقبور * كما يئس الكفارُ من اصحاب القبور * فناشّدناه انْ ينشدَنا اياها * و يُنشقنا ريّاها * فقال اجَلْ * خُلق الانسان من عَجَل * ثم انشد لا يزويه خجَل * و لا يُثنيه وجَل * نظم

و نديم محضتّه صدقَ وُدّي * اذ توهّمتُــه صَديقاً حميما
ثم اوليتـه قطيعــةَ قالٍ * حين أَلفيتُه صديدا حميما
خلتُــه قبلَ ان يجرِّبَ إلفاً * ذا ذِمام فبان جِلْفاً ذميما
و تخيّــرْتُه كليما فامسى * منه قلبي بما جناه كليما
و تظنّيتـه معينـا رحيما * فتبيّنتُه لعينـا رجيمـا
و ترأيتـــه مُريدا فجلّى * عنه سَبْكي له مَريدا لئيما
و توسّمتُ ان يهبَّ نسيمـــا * فابى ان يهبَّ الّا سَمـوما
بتّ من لسعه الذي اعجز الرا * قي سليما و بات مني سليما

وغدا امرُه غداةَ افترقنا * مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن رائعا خضيبا ولكن * كان بالشرّ رائعا لي خصيما
قلت لما بلوتُه ليته كا * ن عديما ولم يكن لي نديما
بغضَ الصبح حين نمّ الى قلـ * ـبي لان الصباح يُلفي نَموما
ودعاني الى هوى الليل اذ كا * ن سواد الدجى رقيبا كَتُوما
وكفى مَن يشي ولو فاه بالصد * ق آثاما فيما اتاه ولُوما

قال فلما سمع رب المنزل قريضه وسجعه * واستملح تقريضه وسبعه * بوّاه مهاد كرامته * وصدّره على تكرمته * ثم استحضر عشر صحاف من العرب * فيها حلواء القند والضَّرَب * وقال له لا يستوي اصحابُ النار واصحابُ الجنة * ولا يسعُ ان يُجعَل البَريّ كذي الظِّنّة * وهذه الآنية تتنزّل منزلة الابرار * في صون الاسرار * فلا تُولِّها الابعاد * ولا تُلحِقْ هُودًا بعادٍ * ثم امر خادمه بنقلها الى مثواه * ليحكم فيها بما يهواه * فاقبل علينا ابوزيد وقال اقرؤا سورة الفتح * وابشروا باندمال القَرْح * فقد جَبَر اللهُ كُلْمَكم وسنى أُكُلَكم * وجمَع في ظل الحَلواء شمَلكم * وعسى ان تكرَهوا شيأ وهو خيرٌ لكم * ولما همّ بالانصراف * مال الى استهداء الصِّحاف * فقال للآدب ان من دلائل الظرف * سماحةَ المُهدي بالظَّرف * فقال كلاهما والغلام * فاحذفِ الكلام * وانهَضْ بسلام * فوثب في الجواب * وشكَره شُكرَ الروضِ للسحاب * ثم اقتادنا ابو زيد الى حوانته * وحكّمنا في حلوائه * وجعل يقلّبُ الاواني بيده * ويُفضّ عددَها على عدده * ثم قال لستُ ادري اشكو ذلك الذمام ام اشكر (†) * وأتناسى فعلتَه ام اذكُر * فانه وان كان اسلف

(†) لست ادري اشكر ذلك الذمام ام اكفر

الجريمة * و نمذم الذميمة * فمن غيمه انهلّت هذه الدِّيمة * و بسيفه انحازت لي هذه الغنيمة * و قد خطر ببالي * ان ارجعَ الى اشبالي * و اقنع بما تسنَّى لي * و لا أُتعبَ نفسي و لا أَجمالي * و انا اودّعكم وَداع محافظ * و استودعُكم خيرَ حافظ * ثم استوى على راحلته * راجعا في حافرته * و لاويا الى زافرته * فغادرنا بعد ان وخدَتْ عنسُه * و زايلَنا أُنسه * كَدَسْتٍ غاب صدره * او ليل أفَلَ بدره *

المقامة التاسعة عشرة النصيبية

روى الحارث بن همام قال امحل العراق ذات العُوَيْم * لاختلاف انواء الغيم * و تحدَّثَ الركبانُ بريفِ نَصيبِينَ * و بُلَهْنِيَةِ اهلها المُخصِبِيْنَ * فاقتعدتُ مهريًا * و اعتقلتُ سَمْهَرِيًا * و سرت تلفظُني ارضٌ الى ارض * و يجذبُني رفع من خفض * حتى بلغتُها نِقضًا على نِقْضٍ * فلما انخْتُ بمغناها الخصيب * و ضربتُ في مرعاها بنصيب * نويت ان أُلقيَ بها جراني * و اتَّخذَ اهلَها جيراني * الى ان تحيى السنةُ الجماد * و يتعهّد ارضَ قومي العِهاد * فوالله ما تمضمضتْ مُقلتي بنومها * و لا تمخَّضتْ ليلتي عن يومها * او الفيتُ ابا زيد السروجي يجول في أَرجاء نصيبِيْن * و يخبِطُ بها خبط المُصابين والمُصيبين * و هو ينثُر من فيه الدُّرَر * و يحتلبُ بكيفه الدِّرَر * فوجدت جهادي قد حاز مغنما * و قِدْحي الفذَّ قدصار توأمًا * و لم ازل اتبعُ ظلَّه اينما انبعث * و التقطُ لفظَه كُلَّما نفَث * الى ان عراه مرض امتّد مداه * و عرقَتْه مُداه * حتى كاد يسلُبُه ثوبَ المَحيا * و يسلِّمه الى ابي يحيى * فوجدتُ لفوت لُقياه *

و انقطاع سُقياه * ما يجده المُبعدُ عن مرامه * و المُرضَعُ عند فِطامه *
ثم أُرجِفَ بأنّ رَهنَهُ قد غَلِق * و مِخلبَ الحِمام به قد عَلِق * فقلِق
صحبُهُ لارجاف المُرجفين * و انثالوا الى عَقْوته مُوجِفين * نظم

جيارى يميد بهم شجوهم * كأنَّهُمُ ارتضعوا الخندريسا
اسالوا الغروبَ و عطّوا الجيوب * و صكّوا الخدودَ و شجّوا الرؤوسا
يودّون لو سالمتْه المنونُ * و غالت نفائسهم و النفوسا

قال الراوي و كنت فيمن التفَّ باصحابه * و اغذَّ الى بابه * فلما انتهَيْنا الى فنائه * و تصدّينا لاستنشاء انبائه * برز الينا فتاهُ * مُفْتَرَّةً شفتاه * فاستطلعناه طِلْعَ الشيخ في شكاته * و كُنهِ قوى حركاته * فقال قد كان في قبضة المرضة * و عَركة الوعكة * الى ان شفَّه الدنف * و استشفَّه التلف * ثم منَّ الله بتقوية ذَمائه * فافاق من اغمائه * فارجعوا ادراجكم * و انضوا انزعاجكم * فكأنْ قد غدا و راح * و ساقاكُمُ الراح * فاعظمنا بُشراه * و اقترحنا ان نراه * فدخل مؤذنا بنا * ثم خرج آذنا لنا * فالفيْنا منه لَقًى * و لسانا طُلْقا * و جلسنا مُحْدِقين بسريره * مُحدِّقين الى اساريره * فقلّب طرفه في الجماعة *
ثم قال اجتلوها بنتَ الساعة * و انشد * نظم

عافاني الله و شكرا له * من علّة كادت تُعفّيني
و منَّ بالبُرء على انه * لابدَّ من حتفٍ سيَبْريني
ما يتناساني و لكنّه * الى تقضّي الاُكْل يُنسيني
انْ حُمَّ لم يغنِ حميمٌ و لا * حمى كُلَيْب منه يَحميني
و ما اُبالي اذنا يومه * ام اُخّرَ الحينُ الى حين
فايّ فخر في حياة ارى * فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الاجَل * و ارتداد الوَجَل * ثم تداعينا الى

القيام * لاتّقاء الابرام * فقال كلاّ بل ابذوا بياض يومكم عندي * لتشفوا بالمفاكهة وجدي * فان مناجاتكم قُوتُ نفسي * و مَغْناطيسُ أنسي * فتحرّينا مرضاته * و تحامَينا معاصاته * ثم اقبلنا على الحديث نمخض زُبَدَه * و نُلْغي زَبَدَه * الى ان حان وقتُ المقيل * و كلّت الالسُنُ من القال و القيل * و كان يوما حاميَ الوديقة * يانعَ الحديقة * فقال ان النُّعاسَ قد امال الاعناق * و راود الآماق * و هو خصمُ ألدُّ * و خطْبُ لا يُرَدُّ * فصلوا حبْلَه بالقيلوله * و اقتدوا فيه بالآثار المنقولة * قال الراوي فاتَّبعْنا ما قال * و قلنا و قال * فضرب الله على الآذان * و افرغ السنّة في الاجفان * حتى خرجنا من حكم الوجود * و صُرفنا بالهُجود عن السُّجود * فما استيقظنا الا و الحرُّ قد باخ * و اليومُ قد شاخ * فتكرّعنا لصلوة العجماوين * و ادَّينا ما حلّ من الدين * ثم تحدّثنا للارتحال * الى مُلقَى الرِحال * فالتفتَ ابو زيد الى شِبْله * و كان طبق شاكلته و شكْله * و قال اني لاِخالُ ابو عمرة * قد اضرم في احشائهم الجمرة * فاستدع ابا جامع * فانه بُشرى كلّ جائع * و اردفه بابي نُعَيم * الصابر على كل ضَيْم * ثم عزّزْ بابي حَبيب * المُحبَّب الى كلّ لبيب * المقلّب بينَ احراقٍ و تعذيب * و اَهِبْ بابي ثَقيف * فحبّذا هو من اليف * و هَلُمْ بابي عَون * فما مثله من عَون * و لو استحضرتَ ابا جَمِيل * لجَمَّلَ(†) ايَّ تجميل * و حَيِّ هل بام القِرى * المُذَكِّرة بكِسرى * و لا تتناسَ أمَّ جابر * فكم لها من ذاكر * و نادِ امَّ الفَرَج * ثم افتكْ بها و لاحَرَج * و اختمْ بابي رزين * فهو مسلاة كل حزين * و ان تقرِن به ابا العلاء * فمع

(†) فجمل *

اسمك من البخلاء * و اياك و استدناء المرجفين * قبل استقلال حمول البين * و اذا نزع القومُ عن المراس * و صافحوا ابا اياس * فاطف عليهم ابا السرو * فانهّ عنوانُ السّرْو * قال فَفَقهَ ابنُهُ لطائف رموزه * بلطافة تمييزه * فطاف علينا بالطيّبات و الطيب * الى ان دنت الشمسُ بالمغيب * فلما اجمعنا على التوديع * قلنا له الم ترالى هذا اليوم البديع * كيف بدا صُبحه قمطريرا * و مُشيه مُستنيرا * فسجد حتى اطال * ثم رفع رأسه وقال * نظم

لا تَيأسَنْ عندَ النُّوبْ * من فَرْجةٍ تجلو الكُرَبْ
فلكم سَمُومٍ هبَّ ثُم * جرى نسيما فانقلب
و سحاب مكروه تنشّا فاضمحلَّ و ما سكب
ودُخانِ خَطْبٍ خيف منه فما استبان له لهب
و لطالما طلع الاسى * و على تفيئته غرب
فاصبر اذا ما ذاب روع فالزمانُ ابو العجب
و ترجَّ من رَوْح الله لطائفاً لا تُحتسب

قال فاستملينا ابياته الغُرّ * و رالينا لله تعالى الشكر * و ودعناهُ مسرورين ببُرئه * مغمورين ببرّه *

تفسير ما تضمنته هذه المقامة من الفاظ لغوية وكنى طفيلية وكنايات صوفية

قوله ذات العويم يعني به الزمان المتقادم * و مثله ذات الزُّمين * و السمهريّة الرماح * في تسميتها بذلك قولان * احدهما انها سُمّيت به لصلابتها من قولهم اسمهرَّ الشي اذا اشتد * و قيل انها منسوبة الى سمهر زوج رُدينة و كان جميعا يقوّمانِ الرماح

فنسبت اليهما * و قوله نِقْضا على نقض اي مهزولا على مهزول * و قوله و الجران باطن العنق و قيل ان السِياط تعمل منه * و قوله فضرب الله على الآذان اي انامنا و منه قوله عز و جل فضربنا على آذانهم في الكهف اي انمناهم و قيل في تفسيره منعناهم السمع * و قوله تكرعنا لصلاة العجماوين اي غسلنا اكارعنا و هو كناية عن الوضوء * و العَجْماوان صلاة الظهر و العصر سُمّيتا بذلك لاسرار القراءة فيهما و منه الحديث صلاةُ النهار عَجْماء * و قوله هَلُمْ اي قل له هَلُمَّ و هي بمعنى هاتِ و بمعنى اقبلْ * و الافصحُ ان يوحَّدَ لفظُها مع المذكر و المؤنث و الاثنين و الجمع و به نطَق القرآن في قوله تعالى و القائلين لاخوانهم هَلُمَّ الينا * و من العرب من يقول للمذكر الواحد هلُمَّ و للاثنين هلُمَّا و للجمع هَلمُّوا و المؤنث الواحدة هلُمّي و للاثنتين هلما و للجمع هلْمُمْنَ * و قوله حيَّ هَلْ اي عجِّلْ يقال حيَّ هل بفلان بتسكين اللام و فتحها و تنوينها و باثبات النون معها و منه قول ابن مسعود في عمر رضي الله عنهما اذا ذُكر الصالحون فحيَّ هلاً بعُمَرَ و في حيَّ هلَ لغات آخر اضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضعَ استيفاء شرحها *

فهذا تفسير الفاظ اللغوية * و اما تفسير الكُنى الطفيليَّة و الكنايات الصوفية فابو يحيى كنية ملك الموت * و ابو عَمْرةَ كنية الجوع و يُكنى ايضا ابا مالك * و ابو جامع الخوان * و ابو نعيم الخُبزُ الحُوّارى * و ابو حبيب الجدي * و ابو ثقيف الخَلُّ * و ابو عَوْنٍ الملح * و ابو جَميل البقل * و أُمُّ القِرى السكباج * و أُم جابر الهريسة * و أم الفرج الجُوذابة * و ابو رزين الخبيص * و ابوالعلاء

الفالوذج * و ابو اياس العسول * والمُرجفانِ الطشتُ والابريق * و ابوالسّروِ البخور *

المقامة العشرون الميافارقينية

حكى الحارث بن همام قال يمَّمتُ ميّافارقين * مع رُفقة موافقين * لا يُمارون في المناجاة * و لايدرون ما طَعمُ المداجاة * فكنتُ بهم كمَن لم يبرم عن وجاره * و لا ظعن عن اليفه و جاره * فلما انخنا بها مطايا التسيار * و انتقلنا عن الاكوار الى الاوكار * تواصينا بتذكار الصحبة * و تناهينا عن التقاطع في الغربة * و اتخذنا ناديا نعتمره طرفي النهار * و نتهادى فيه طرف الاخبار * فبينا نحن فيه في بعض الايام * و قد انتظمنا في سلك التيام * وقف علينا ذو مقولٍ جريٍّ * و جَرْسٍ جهوريّ * فحيّى تحيّة نفّاثٍ في العُقَد * قنّاصٍ للاسد و النقد * ثم قال * نظم

عندي يا قوم حديث عجيب * فيه اعتبارٌ للبيب الاريب
رأيت في رَيعانِ عمري اخا * بأسٍ له حدُّ الحسام القضيب
يُقْدم في المَعرك اقدام من * يُوقن بالفتك و لا يستريب
فيفرج الضيق بكرّاته * حتى يرى ما كان ضنكاً رحيب
ما بارزَ الاقرانَ الا انثنى * عن مَوقف الطعن برمح خضيب
و لا سما يفتح مُستصعبا * مستغلقَ الباب منيعا مهيب
الّا و نودي حين يسمو له * نصر من الله و فتح قريب
هذا و كم من ليلة باتها * يَميس في بُرد الشباب القشيب
يرتشف الغيد و يرشُفنه * وهولدى الكل المُفدّى الحبيب
فلم يزل يبتزُّ دهرُه * ما فيه من بطشٍ و عودٍ صليب

حتى اصارته الليالي لقىً * يعافه من كان منه قريب
قد اعجز الراقيَ تحليل ما * به من الداء و اعيى الطبيب
و صارمَ البيض و صار مُنَّه * من بعد ما كان المجابَ المجيب
و آض كالمنكوس في خلقه * ومن يعش يلق دواهي المشيب
و ها هو اليوم مسجّى فمن * يرغب في تكفين ميْت غريب
ثم اعلن بالنحيب * و بكى بكاء المحب على الحبيب * و لما رقأت دمعته * و انفثأت لوعته * قال يا نُجْعَة الرواد * و قدوة الاجواد * و الله ما نطقتُ ببهتان * و لا اخبرتكم الّا عن عيان * و لو كان في عصاي سير * و لغيمي مُطَير * لاستأثرتُ بما دعوتكم اليه * و لما وقفت موقف الدال عليه * و لكن كيف الطيران بلا جناح * و هل على من لا يجد من جُناح * قال الراوي فطفق القومُ يأتمرون فيما يأمرون * و يتخافتون فيما يأتون * فتوهم انهم على صرفه بحرمان * او مطالبته ببرهان * ففرط منه ان قال يا يلامعَ القاع * و يرامعَ البقاع * ما هذا الارتياء * الذي يا باه الحياء * حتى كانكم كُلّفتم مشقة * لا شُقّة * او استوهبتم بلدةً * لا بُردةً * او هُزِزتم لكسوة البيت * لا لتكفين الميْت * أفّ لمن لا تندى صَفاته * و لا ترشحُ حَصاته * فلما بصرت الجماعة بذلاقته * و مرارة مذاقته * رفأه كلٌّ منهم بذيله * و احتمل طلّه خوفَ سيله * قال الحارث بن همّام و كان هذا السائل واقفا خلفي * و مستجبا بظهري عن طرفي * فلما ارضاه القومُ بسيبهم * و حقّ عليَّ التأسّي بهم * خلعتُ خاتمي من خنصري * و لفتُّ اليه بصري * فاذا هو شيخنا السروجي بلا فرية * و لا مرية * فايقنتُ انها اُكذوبة تكذّبها * و اُحبولةٌ نصبها * الا انني طويته على غرّه * و صُنتُ شغاه عن فرّه *

فحصَبْتُهُ بالخاتَم * و قلتُ ارصدهُ لنفقة المأتَم * فقال واهاً لك * فما اضرَمَ شُعلتك * و اكرَمَ فعلتك * ثم انطلق يسعى قُدما * و يُهَروِلُ هرولته قدما * فنزعتُ الى عرفان ميّته * و امتحان دعوى حميّته * فقرعتُ ظُنْبُوبي * و اتبعتُ أُلهوبي * حتى ادركته على غَلوة * و اجتليته في خلوة * فاخذتُ بجُمع اردانه * و عقّتُه عن سَنَن ميدانه * و قلت و الله ما لك مني ملجأ و لا منجا * او تُريني ميتك المُسجّى * فكشف عن سراويله * و اشار الى غُرموله * فقلت له قاتلك الله فما العبك بالنُّهى * و احيالك على اللُّهى * ثم عدتُ الى اصحابي عودَ الرائد الذي لا يكذب اهلَه * و لا يُبرقِشُ قولَه * و اخبرتُهم بالذي رأيت * و ما ورّيت و لا رأأيت * فقهقهوا من كيتَ و كيتَ * و لعنوا ذلك الميتَ *

المقامة الحادية والعشرون الرازية

حكى الحارث بن همام قال عُنيتُ مذ احكمتُ تدبيري * و عرفتُ قبيلي من دبيري * بان أصغي الى العظات * و أُلغي الكلام المُحفظات * لانحلّى بمحاسن الأخلاق * و انخلّى مما يَسِمُ بالاخلاق * و ما زلتُ آخُذُ بهذا الادب * و أَخمِدُ به جمرةَ الغضَب * حتى صار التطبّعُ فيه طباعا * و التكلّفُ له هوىً مُطاعا * فلما حللتُ بالري * و قد حللتُ حُبَى الغي * و عرفتُ الحيَّ من اللّيّ * رأيت بها ذاتَ بُكرةٍ * زُمرةً اثرَ زُمرة * و هم منتشرون انتشار الجَراد * و مستنُّون استنان الجياد * و متواصفون واعظا يقصدونه * و يُحلّون ابن سمعونَ دونه * فلم يتكادني لاستماع المواعظ * و اختبار الواعظ * ان آواسيَ اللاغظ * و احتمل الضاغط * فاصحبتُ

إصحاب المطواعة * وانخرطتُ في سلك الجماعة * حتّى افضينا الى نادٍ جمَع الامير والمأمور * وحشَدَ النبيهَ والمغمور * وفي وسْط هالته * ووَسْط اهلّته * شيخٌ قد تقوَّس واقعنسس * وتقلنس وتطلَّس * وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور * ويُليّن الصُّخور * فسمعته يقول * وقد افتتنت به العقول * ابنَ آدمَ ما اغراك بما يغُرُّك * واضراك بمايَضُرُّك * واهجك بما يُطغيك * والهجك بمن يُطريك * تعنى بما يُعنّيك * وتُهمِل ما يعنيك * وتنزع في قوس تعدّيك * وترتدي الحرص يرديك * لا بالكفاف تقتنع * ولا من الحرام تمتنع * ولا للعظات تستمع * ولا بالوعيد ترتدع * دأبك ان تتقلَّبَ مع الاهواء * وتخبطَ خبْطَ العشواء * وهمُّك ان تدأبَ في الاحتراث * وتجمع التُّراثَ للوُرَّاث * يُعجبك التكاثُرُ بما لديك * ولا تذكُرُ ما بين يديك * وتسعى ابداً لغاريك * ولا تبالي الك ام عليك * اتظُنُّ ان تُتترك سدًى * وان لا تُحاسَب غداً * ام تحسُبُ ان الموت يقبَلُ الرُّشا * او يميّزُ بين الاسد والرَّشا * كلاَّ والله يدفع المنون * مال ولا بنُون * ولا ينفعُ اهلَ القبور * سوى العمل المبرور * فطوبى لمن سمع ووعى * وحقّق ما ادَّعى * ونهى النفْسَ عن الهوى * وعلِم انَّ الفائز من ارعوى * وان ليس للانسان الا ما سعى * وان سعيَه سوف يُرى * ثم انشد انشادَ وجِلٍ * بصوت زجِلٍ * نظم

لعمرك ما تُغني المغاني ولا الغنى * اذا سكن المثرى الثرى وثوى به
فجُدْ في مراضي الله بالمال راضياً * بما تقتني من اجره وثوابه
وبادر به صرفَ الزَّمان فانـه * بمخلبه الاشغى يغـول ونابه
ولا تامن الدهرَ الخؤونَ ومكرهَ * فكم خاملٍ اخنى عليه ونابه

وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه * اخو ضلّة الا هوى من عقابه
و حافظ على تقوى الاله و خوفه * لتنجو مما يتّقى من عقابه
و لا تلهُ عن تذكار ذنبك و ابكه * بدمعٍ يضاهي الوبل حال مصابه
و مثّل لعينيك الحمامَ و وقعهُ * و روعة ملقاه و مطعم صابه
و انّ قصارى مسكن الحي حفرة * سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواهًا لعبد ساءه سوء فعله * و ابدى التلافي قبل اغلاق بابه

و قال فظل القوم بين عبرة يذرونها * و توبة يظهرونها * حتى كادت الشمس تزول * و الفريضة تعول * فلما خشعت الاصوات * و التأم الانصات * و استكفّت العبرات * و العبارات * استصرخ مستصرخ بالامير الحاضر * و جعل يتجار اليه من عامله الجائر * و الامير صاغٍ الى خصمه * لاهٍ عن كشف ظلمه * فلما ايس من روحه * استنهض الواعظ لنصحه * فنهض نهضة الشمير * و انشد معرضا بالامير * نظم

عجبًا لراجٍ ان ينال ولايةً * حتى اذا ما نال بغيته بغى
يسدي و يُلحم في المظالم والعنا * في وردها طورا و طورا مولغا
ما ان يُبالي حين يتّبع الهوى * فيها ا اصلح دينه ام اوتغا
يا ويحهُ لو كان يوقن انّه * ما حالة الّا تحول لما طغا
او لو تبيّن ما ندامة من صغا * سمعًا الى افك الوشاة لما صغا
فانقذ لمن اضحى الزمام بكفه * و تغاض ان الغى الرعاية او لغا
وارعَ المرارَ اذا دعاك لرعيه * و رد اتجاج اذا حماك السيّغا
و احمل اذاه و لو امضّك مسّه * و اسالَ غرب الدمع منك و افرغا
فليضحكنك الدهر منه اذا نبا * عنه و شبّ لكيده نار الوغى
و لينزلنّ به الشمات اذا بدا * متخلبا من شغله متفرغا

و لتَـــاوِيَنَّ له اذا ما خـــدَّه * اضحى على تُرب الهَوان مُمرَّغا
هذا له و لسوف يُوقَف مَوقفا * فيه يرى ربُّ الفصاحة الثغا
و ليحشرنَّ اذلَّ من فقْع الفلا * و يحاسِبنَّ على النقيصة و الشَّغا
و يُواخَذنَّ بما اجتذى ومن اجتبى * و يطالبنَّ بما احتسى و بما ارتغى
و يناقَشنَّ على الدقائق مثلَ ما * قد كان يفعَل بالورى بل ابلغا
حتى يعـــضَّ على الولاية كفَّهٗ * و يودَّ او لم يبغ منهـــا ما بغى

ثم قال ايها المتوشّحُ بالولاية * المتوشّح للمرعاية * دع الادلال بدولتك * و الاغترار بصولتك * فان الدولة ريحٌ قُلَّب * و القدرةَ برقُ خُلَّب * و انَّ اسعد الرعاة من سعدت به رعيَّتهُ * و اشقاهم فى الداربن من ساءت رعايتُه * فلاتكُ ممن يذَر الاخرةَ و يلغيها * و يُحبُّ العاجلة و يبتغيها * و يظلمُ الرعيةَ و يؤذيها * و اذا تولّى سعى فى الارض ليُفسدَ فيها * فوالله ما يغفُل الديّان * و لا تُهمَلُ يا انسان * [و لا يلغى الاساءة و الاحسان] (†) * بل سيُوضَعُ لك الميزان * و كما تَدين تُدان * قال فوجم الوالي لما سمع * و امتقَعَ لونهُ و انتقَع * وجعل يتأفَّف من الامرة * و يُردِفُ الزفرة بالزَّفرة * ثم عمَد الى الشاكي فاشكاه * و الى المَشكُوّ فاشجاه * و الطف الواعظَ و حَباه * و عزَم عليه ان يغشاه * فانقلَب عنه المظلوم منصورا * و الظالم محصورا * و برز الواعظ يتّهادى بين رفقته * و يتباهى بفوز صفقتهٗ * و اعتقبته اخطُو متقاصرا * و أريه لمحا باصرا * فلماَّ استشفَّ ما اُخفيه * و فطَن لتقلُّب وجهي فيه * قال خيرُ دليلَيْك مَن ارشد * ثم اقترب مني و انشد * نظم

انا الذي تعـرِفه يا حارثُ * حِدثُ ملوكٍ نَكِـهٌ منافثُ

(†) في بعض النسخ

أطرب ما لا تُطرب المثالثُ * طورا اخو جدٍّ و طورا عابثُ
ما غيَّرتني بعدك الحوادثُ * و لا التحى عودي خطبٌ كارثُ
و لا فرى نابيَّ حدٌّ فارثُ * بل مخلبي بكل صيدٍ ضابثُ
و كلَّ سرحٍ فيه ذئبي عائثُ * حتى كأني للانام وارثُ
* سامُهم و حامُهم و يافثُ *

قال الحارث بن همّام * فقلتُ تالله انك لابو زيد * و لقد قمتَ لله و لا عمرو بنَ عُبيدٍ * فهشَّ هشاشة (†) الكريم اذا أُمَّ * و قال اسمع يا ابنَ أُمَّ * نظم

عليك بالصدق و لو انه * احرقك الصدقُ بنار الوعيد
و ابغِ رضا الله فاغبى الورى * من اسخط المولى و ارضى العبيد

ثم انه ودَّع اخدانَه * و انطلق يسحب اردانَه * فطلبناه من بعدُ بالرّيّ * و استنشرنا خبره من مدارج الطيّ * فما فينا من عرف قراره * و لا درى ايُّ الجراد عاره *

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

حكى الحارث بن همام قال آويتُ في بعض الفترات * الى سقي الفُرات * فلقيت بها كُتّابا ابرع من بني الفُرات * و اعذبَ اخلاقا من الماء الفُرات * فاطفتُ بهم لتهذُّبهم * لا لذهبهم * و كاثرتُهم لادبهم * لا لمآدبهم * فجالستُ منهم اضراب القَعْقاع بن شَوْر * و وصلتُ بهم الى الكَوْر بعدَ الحَوْر * حتى انهم اشركوني في المرتع و المربَع * و احلّوني محلّ الانملة من الاصبع * و اتخذوني ابنَ أنسهم عهد الولاية و العَزْل * و خازنَ سرّهم في الجِدّ و الهزل * فاتفق

(†) فتهلل تهلل الكريم

ان نُدِبوا في بعض الاوقات * لاستقراء مزارع الرُّداقات * فاختاروا من الجواري المُنشآت * جاريةً حالكة الشِّيات * تحسبُها جامدةً وهي تَمرُّ مَرَّ السحاب * وتنسابُ في الحَبَاب كالحُباب * ثم دعَوني الى الموافقة * واستدعَوني للمرافقة * فلما توركّنا على المطيّة الدهماء * وتبطَّنّا الوليّة الماشية على الماء * ألفَينا بها شيخا عليه سَحْقُ سربال * وسِبُّ بال * فعافت الجماعة محضره * وعنَّفتْ من احضره * وهمّت بابرازه من السفينة * لولا ما ثاب اليها من السكينة * فلّما لم منّا استثقال ظلّه * واستبراد طَلّه * تعرّض للمنافثة نصُمّتَ * وحملَّ بعد أن عطس فما شُمِّت * فاخرد ينظر فيما آلت حاله اليه * وينتظر نصرة المَبغيّ عليه * وجلنا نحن في شجون * من جدٍّ ومُجون * الى ان اعترض ذكر الكتابتين وفضلهما * وتبيان افضلهما * فقال قائل أنّ كتبة الانشاء انبلُ الكتاب * ومال مائل الى تفضيل الحُسّاب * واحتدَّ الحجاج * وامتد اللجاج * [واشتد الضجاج] (†) * حتى اذا لم يبقَ للجدال مطرح * ولا للمراء مسرح * قال الشيخ لقد اكثرتم يا قوم اللغط * واترتُم الصواب والغلط * وان جليّة الحكم عندي * فارتضوا بنقدي * ولاتستفتوا احدا بعدي * اعلموا ان صناعة الانشاء ارفع * وصناعة الحساب انفع * وقلم المكاتبة خاطب * وقلم المحاسبة حاطب * واساطير البلاغات تنسخ لتُدْرَس * ودساتير الحُسبانات تُنْسخ وتُدرس * والمنشئ جُهَينة الاخبار * وحقيبة الاسرار * ونجيّ العظماء * وكبير الندماء * وقلمه لسان الدولة * وفارس الجولة * ولقمان الحكمة * وترجمان الهمة * وهو البشير والنذير *

(†) في بعض النسخ

و الشفيع و السفير * به تُستخلص الصياصي * و تُملك النواصي * و يقتاد العاصي * و يستدني القاصي * صاحبه برئ من التبعات * آمنٌ كيدَ السُّعاة * مقرَّظ بين الجماعات * غير معرَّض لنظم الجماعات * فلما انتهى في الفصل * الى هذا الفصل * لحظ من لمحات القوم انه ازدرع حبا و بغضا * وارضى بعضا و احفظ بعضا * فعقّب كلامه بان قال إلَّا انَّ صناعة الحساب موضوعة على التحقيق * و صناعة الانشاء مبنية على التلفيق * و قلم الحاسب ضابط * و قلم المنشئ خابط * و بين إنارة توظيف المعاملات * و تلاوة طوامير السجلّات * بون لايدركه قياس * و لايعتوره التباس * اذ الاتاوة تملأ الاكياس * و التلاوة تُفرّع الرأس * و خَراجُ الاوارج يُغني الناظر * و استخراج المدارج يعني الناظر * ثم ان الحَسَبَة حفظةُ الاموال * و حملة الاثقال * و النقلة الاثبات * و السفرة الثقات * و اعلام الانصاف و الانتصاف * و الشهودُ المقانع في الاختلاف * [عند اشتجار الرجال * و اشتغار الجدال] (‡) * و منهم المتوفي الذي هو يد السلطان * و قطب الديوان * و قسطاسُ الاعمال * و المهيمنُ على العمال * و اليه المآب في السلم و الهرْج * و عليه المدارُ في الدَّخل و الخرْج * و به مناطُ الضر و النفع * و في يده رباط الاعطاء و المنع * و لولا قلم الحساب * لاودتْ ثمرة الاكتساب * و لاتصَّل التغابن الى يوم الحساب * و لكان نظام المعاملات محلولا * و جرح الظلامات مطلولا * و جيد التناصف مغلولا * و سيف التظالم مسلولا * على ان يراع الانشاء متقوّل * و يراع الحساب متاوّل * و المحاسب مُناقش * و المنشئ ابو براقش * و لكليهما حُمةٌ حين يرقى * الى ان يلقى

(‡) في نسخة

و يُرقى * و اِعذاتُ فيمايُنشى * حتى يُغشى و يُرشى * الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ماهم * قال الحارث بن همام فلما امتع الاسماع * بما راق و راع * استنسبناه فاستراب * و ابى الانتساب * و لو وجد منسابا لانساب * فحصلت من لبسه على غمة * حتى ادّكرتُ بعد اُمّة * فقلت و الذي سخّر الفلك الدوار * و الفُلك السيّار * اني لاجد ريحَ ابي زيد * و ان كنتُ اعهده ذا رواء و ايد * فتبسّم ضاحكا من قولي * و قال انا هو على استحالة حالي و حولي * فقلت لاصحابي هذا الذي لايُفْرى فريُّه * و لا يُبارى عبقريه * فخطبوا منه الود * و بذلوا له الوُجد * فرغِبَ عن الاُلفة * و لم يرغب في التحفة * و قال اما بعد ان سحقتم حقي * لاجل سحقي * و كسفتم بالي * لاخلاق سربالي * فما اراكم الا بالعين السخينة * و لا لكم مني الا صحبة السفينة * ثم انشد * نظم

اسمع اخيَّ وصيةً من ناصحٍ * ما شاب محضَ النُّصح منه بغشّه
لا تعجلَنْ بقضيَّةٍ مبتوتةٍ * في مدح من لم تبله او خدشه
وقِفِ القضيةَ فيه حتى تجتلي * وصفَيه في حالَي رضاه و بطشه
و يبينَ خُلَّبُ برقه من صدقه * للشائمين و وبله من طشّه
فهناك ان تَرَما يشينُ فواره * كرما و ان تَرَما يزينُ فافشه
و من استحق الارتقاء فرقّه * و من استحطَّ فحطّه في حشّه
و اعلَم بان التبر في عِرق الثّرى * خافٍ الى ان يستثار بنبشه
و فضيلةُ الدينار يظهر سرها * من حكّه لا من ملاحة نقشه
و من الغباوة ان تُعظّم جاهلا * لصقال ملبسه و رَونق رقشه
او ان تُهين مهذَّبا في نفسه * لدروس بزّته و رثّة فرشه
و لَكَمْ اخي طمرين هِيبَ لفضله * و مفوّف البردين عِيبَ لفحشه

و اذا الفتى لم يغش عارا لم تكن * اسمالُهُ الا مراقي عرشه
ما ان يضُرُّ العضب كونُ قرابه * خلقا و لا البازي حقارة عُشّه
ثم ما عتّم ان استوقف الملّاح * و صعد من السفينة و ساح * فندم
كل منا على ما فرّط في ذاته * و اغضى جفنه على قذاته * و
تعاهدنا على ان لا نحتقر شخصا لرثاثة بُرده * و ان لا نزدري سيفا
مخبوًا في غمده *

المقامة الثالثة والعشرون الحريمية

حكى الحارث بن همام قال نبا بي مألفُ الوطن * في شرخ الزمن *
لخطب خشي * و خوف غشي * فارقت كأس الكرى * و
نصصتُ ركاب السُّرى * و جُبْت في سيري وُعُورا لم تدمثها
الخُطا * و لا اهتدت اليه القطا * حتى وردت حِمى الخلافة *
الحرَمَ العاصم من المخافة * فسروت اهجاس الرَّوع و استشعارَهُ *
و تسربلتُ لباسَ الامن و شعارَهُ * وقصرتُ هَمّي على لذة اجتنيها *
و مُلحة اجتليها * فبرزتُ يوما الى الحريم لاروض طرفي * و
أجيل في طُرفه طَرفي * فاذا فرسانٌ متتالون * و رجال مُتدالون *
و شيخ طويل اللسان * قصيرُ الطيلسان * قد لبّب فتىً جديدَ
الشباب * خلَق الجلباب * فركضت إثر النظّارة * حتى وافينا
باب الامارة * و هناك صاحب المعونة متربّعا في دَسْته * و
مُروِّعاً بسَمْته * فقال له الشيخُ اعز اللهُ الوالي * و جعل كعبَهُ
العالي * اني كفلتُ هذا الغلامَ فطيما * و ربّيتُه يتيما * ثم لم آلُهُ
تعليما * فلما مهر و بهر * جرّد سيفَ العُدوان و شهر * و لم أخَلْهُ
يلتوي عليّ و ينفحج * حين يرتوي مني و يلتقح * فقال له الفتى

عَلامَ عثرتَ مني * حتى تنشُر هذا الخزي عني * فوالله ما سترتُ وجه برك * و لا هتكتُ حجاب سرك * و لا شققتُ عصا امرك * و لا الغيبُ تلاوةَ شكرك * فقال له الشيخ ويلك و ايُّ ريب اخزى من ريبك * و هل عيب افحشُ من عيبك * و قد ادَّعيت سِحري و استلحقته * و انتحلتَ شعري و استرقته * و استراق الشعر عند الشعراء * افظع من سرقة البيضاء و الصفراء * و غيرتُهم على بنات الافكار * كغيرتهم على البنات الابكار * فقال الوالي للشيخ و هل حين سرق سلخ * ام مسخ ام نسخ * فقال و الذي جعل الشعر ديوان العرب * و تُرجمانَ الادب * ما احدث سوى ان بتّر شملَ شرحه * و اغار على ثلثي سرحه * فقال انشد ابياتك برمَّتها * ليضح ما احتازه من جملتها * فانشد * نظم

يا خاطبَ الدنيا الدنية إنها * شرَكُ الردى و قرارةُ الاكدار
دارٌ متى ما اضحكتْ في يومها * ابكتْ غداً بعداً لها من دار
و اذا اظلَّ سحابُها لم ينتقع * منه صدًى لجهامه الغرَّار
غاراتُها ما تنقضي و اسيرها * لا يفتدى بجلائل الاخطار
كم مُزدهًى بغرورها حتى بدا * متمرداً متجاوزَ المقدار
قلَبَتْ له ظهرَ المجنّ و اَولغَتْ * فيه المدى و نزتْ لاخذ الثار
فاربأ بعمرك ان يمرَّ مضيَّعاً * فيها سُدًى من غير ما استظهار
و اقطع علائق حبها و طلابها * تلقَ الهدى و رفاهةَ الاسرار
و ارقبْ اذا ما سالمتْ من كيدها * حربَ العدى و توثُّب الغدار
و اعلم بانَّ خطوبَها تفجا و لو * طال المدى و ونتْ سُرى الاقدار

فقال له الوالي ثم ماذا * صنع هذا * قال اقدم للؤمه في الجزاء * على ابياتي السُّداسيَّة الاجزاء * فحذف منها جزئين * و نقص

من اوزانها وزنين * حتى صار الوزء فيها رُزئين * فقال بين ما اخذ * و من اين فاذ * فقال أرْعني سمعك * و أخلِ للتفهُّم عني ذرعك * حتى تتبين كيف اصلتَّ عليَّ * و تقدِّر قدر اجترامه اليَّ * ثم انشد * و انفاسه تتصعّد * نظم

يا خاطبَ الدنيا الدنيـ*ـة انها شَرَك الرَّدى
دارٌ متى ما اضحكتْ * في يومها ابكتْ غدا
وإذا اظـلَّ سحـابُها * لم ينتقع منه صدى
غاراتُهـا ما تنقضـي * و اسيرها لا يُفتدى
كم مُزدهى بغـرورها * حتى بدا متمـرِّدا
قلبَـتْ له ظهر المجـ*ـنِّ و اولغتْ فيه المدى
فاربأ بعُمـرك ان يمـ*ـرُّ مضيَّعا فيها سُدى
و اقطع عـلائقَ حُبِّها * و طلابها تـلْقَ الهُدى
و ارقبْ اذا ما سالمَتْ * من كيدها حرب العدى
و اعلـم بان خطوبها * تفجا و لو طال المدى

فالتفت الوالي الى الغلام * و قال تبًّا لك من خرِّيج مارق * و تلميذ سارق * فقال الفتى برئتُ من الادب و بنيه * و لَحِقت بمن يناويه * و يقوِّض مبانيه * ان كانت ابياته نمتْ الى علمي * قبل ان الفت نظمي * و انما اتفق توارد الخواطر * كما قد يقع الحافر على الحافر * قال فكأَنَّ الوالي جوَّزك صدق زعمه * فندم على بادرة ذمّه * وظلَّ يُفكِّر فيما يكشف له عن الحقائق * و يُميِّز به الفائق من المائق * فلم ير الا اخذهما بالمناضلة * و لزّهما في قرن المساجلة * فقال لهما ان اردتما افتضاح العاطل * و اتضاح الحق من الباطل * فتراسلا في النظم و تباريا * و تجاريا

في حلبة الاجازة و تجاريا * ليهلك من هلك عن بينة * و يحيى من حيّ عن بيّنة * فقال له بلسان واحد * و جواب متوارد * قد رضينا بسبرك * فمُرنا بامرك * فقال اني مولَع من انواع البلاغة بالتجنيس * و اراه لها كالرَّئيس * فانظما الان عشرة ابيات تلحمانها بوشيه * و ترصّعانها بحَلْيه * و ضمّناها شرحَ حالي * مع إلف لي * بديع الصفة * ألْمَي الشفَة * مليح التثنّي * كثير التيه و التجنّي * مُغرًى بتناسي العهد * و إطالة الصدّ * و اخلاف الوعد * و انا له كالعبد * قال فبرز الشيخ مجلّيا * و تلاه الفتى مُصلّيا * و تجاريا بيتا فبيتا على هذا النَسق * الى ان كمُل نظم الابيات و اتّسق * و هي * نظم

و احوى حوى رِقّي برقّة لفظه * و غادرني إلفَ السُّهاد بغَدره
تصدّى لقتلي بالصدود و انني * لفي أسره مذ حاز قلبي باسره
أُصدّق منه الزورَ خوفَ ازوراره * و ارضى استماعَ الهُجر خشيةَ هجره
و استعذب التعذيب منه و كلما * اجد عذابي جدّ بي حبُّ برّه
تناسى ذِمامي و التناسي مذمّة * و احفَظ قلبي و هوَ حافظُ سرّه
واعجب ما فيه التباهي بعجبه * و اكبـــرهُ عن ان افوهَ بكبـــره
له مني المدحُ الذي طاب نشرهُ * و لي منه طيّ الود من بعد نشره
و لو كان عدلا ما تجنّى و قد جنى * عليّ و غيري يجتني رشف ثغره
و لولا تثنّيه ثنيتُ اعنّتي * بدارا الى من اجتلي نُور بدره
و اني على تصريف امرى و امره * ارى المُرّ حلوا في انقيادي لامره

فلما انشداها الوالي مترا سلين * بُهتَ لذكائهما المتعادلين * و قال اشهد بالله انكما فرقدا سماء * و كزنَدين في وعاء * و ان هذا الحدث لينفِقُ مما آتاه الله * و يستغني بوُجده عمن سواه * فتب

ايها الشيخ من اتهامه * وثب الى اكرامه * فقال الشيخ هيهات ان تراجعه مقتي * او تعلق به ثقتي * وقد بلوت كفرانه للصنيع * ومنيت منه بالعقوق الشنيع * فاعترضه الفتى وقال يا هذا ان اللجاج شؤم * والحنق لؤم * وتحقيق الظنة اثم * واعنات البرئ ظلم * وهبني اقترفت جريرة * او اجترحت كبيرة * اما تذكر ان انشدتني لنفسك * في ابان انسك * نظم

سامح اخاك اذا خلط * منه الاصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه * ان زاغ يوما او قسط
واحفظ صنيعك عنده * شكر الصنيعة ام غمط
واطعه ان عاصى وهن * ان عز وادن اذا شحط
واقن الوفاء ولو اخـ * ـل بما اشترطت وما اشترط
واعلم بانك ان طلبـ * ـت مهذبا رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قـ * ـط ومن له الحسنى فقط
او ما ترى المحبوب والمـ * ـكروه لزا في نمط
كالشوك يبدو في الغصو * ن مع الجني الملتقط
ولذاذة العمر الطو * يل يشوبها نغص الشمط
ولو انتقدت بني الزما * ن وجدت اكثرهم سقط

قال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصل * ويحملق حملقة البازي المطل * ثم قال والذي زين السماء بالشهب * وانزل الماء من السحب * ما روغي عن الاصطلاح * الا لتوقي الافتضاح * فان هذا الفتى اعتاد ان اموّنه * واراعي شؤونه * وقد كان الدهر يسح فلم اكن اشح * فاما الان فالوقت عبوس * وحشو العيش بؤس * حتى ان بزتي هذه عارة * وبيتي لا تطور به فارة * قال فرق لمقالهما

قلب الوالي * و اوى لهما من غير الليالي * و صبا الى استخلاصهما بالاسعاف * و امر النظارة بالانصراف * قال الراوي و كنت متشوفا الى مرأى الشيخ لعلّي اعلم علمه * اذا عاينت وَسْمه * و لم يكن الزحامُ يسفر عنه * و لا يفرُجَ لي فادنو منه * فلما تقوَّضت الصفوف * و اجفل الوقوف * توسمتهُ * فاذا هو ابو زيد و الفتى فتاه * فعرفتُ حينئذ مَغْزاه فيما اتاه * و كدتُ انقضُّ عليه * لاستعرفَ اليه * فزجرني بايماض طرفه * و استوقفني بايماء كفه * فلزمت موقفي * و اخرتُ مُنصرَفي * فقال الوالي ما مرامك * و لايما سبب مقامك * فابتدره الشيخُ و قال انه انيسي * و صاحب ملبوسي * فتسمَّح عند هذا القول بتانيسي * و رخَّص في جلوسي * ثم افاض عليهما خلعتين * و وصلهما بنصاب من العين * و استعهدهما ان يتعاشرا بالمعروف * الى اظلال اليوم المخوف * فنهضا من ناديه * مُشيدَيْن بشكر اياديه * و تبعتهما لاعرف مثواهما * و اتزوَّد من نجواهما * فلما اجزنا حمى الوالي * و افضينا الى الفضاء الخالي * ادركني احد جلاوزته * مهيبا الى حوزته * فقلت لابي زيد ما اظنُّه استحضرني * الا ليستخبرني * فما ذا اقول * و في اي واد اجول * فقال بيّن له غباوة قلبه * و تلعابي بلُبّه * ليعلم ان ريحه لاقت اعصارا * و جدوله صادف تيّارا * فقلت اخاف ان يتّقدَ غضبه * فيلفحك لهبه * او يستشري طيشه * فيسري اليك بطشه * فقال اني ارحل الان الى الرُّها * و انى يلتقي سهيل و السها * فلما حضرتُ الوالي و قد خلا مجلسه * و انجلى تعبُّسه * اخذ يصف ابا زيد و فضله * و يذم الدهر له ثم قال نشدتك الله الست * الذي اعاره الدست * فقلت

لا و الذي اجلسك في هذا الدست * ما انا بصاحب ذلك الدست * بل انت الذي تم عليه الدست * فازورت مقلتاه * و احمرت وجنتاه * و قال و الله ما اعجزني قط فضح مريب * و لا تكشيف معيب * لكن ما سمعت بان شخصا دلس * بعد ما تطلس * فبهذا تم له ان لبس فما * كنية ذلك القرنبد * فقلت ابو زيد * فقال انه بابي كيد * اليق منه بابي زيد * افتدري اين سكع * ذلك الكع * قلت اشفق منك لتعدي طوره * فظعن عن بغداذ من فوره * فقال لا قرب الله له نوى * و لا كلأه اين ثوى * فما زاولت اشد من نكره * و لا ذقت امر من مكره * و لو لا حرمة ادبه * لاوغلت في طلبه * الى ان يقع فاوقع به * و اني لاكره ان تشيع فعلته * بمدينة السلام * فافتضح بين الانام * و تحبط مكانتي عند الامام * و اصير ضحكة الخاص و العام * فعاهدني على ان لا اتفوه بما اعتمد * ما دمت حلاً بهذا البلد * قال الحارث بن همام فعاهدته معاهدة من لا يتاول * و وفيت له كما وفى السموئل *

المقامة الرابعة و العشرون القطيعية

حكى الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع * في ابان الربيع * فتية وجوههم ابهج من انواره * و اخلاقهم ابهج من ازهاره * و الفاظهم ارق من نسيم اسحاره * فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر * و يغني عن رنات المزاهر * و كنا تقاسمنا على حفظ الوداد * و حظر الاستبداد * و ان لا ينفرد احدنا بالتذاذ * و يستاثر و لو برذاذ *

فاجمعنا في يوم سما تَجْنُه * ونما حسنُه * و حكم بالاصطباح مُزنه * على ان نلتهي بالخروج * الى بعض المُروج * لنسرح النواظر * في الرياض النواضر * و نصقُلَ الخواطر * بشَيم المواطر * فبرزنا و نحن كالشهور عدَّة * و كُندماني جَذيمة مودَّة * الى حديقة اخذت زُخرُفَها و ازَّينت * و تنوَّعت ازاهيرها و تلوَّنت * و معنا الكُميت الشَّموس * و السُّقاة الشُّموس * و الشادي الذي يُطرِبُ السامعَ و يلهيه * و يَقرِي كلَّ سمع ما يشتهيه * فلما اطمأنَّ بنا الجلوس * و دارت علينا الكؤس * وَغَلَ علينا ذِمْر * عليه طِمْر * فتجهَّمناه تجهُّم الغيد الشَّيب * و وجدنا صفوَ يومنا قد شِيب * الا انه سلَّم تسليم أولى الفهم * و جلس يفضّ لطائم النثر و النظم * و نحن نزوي من انبساطه * و نبري لطيِّ بساطه * الى ان غنَّى شادينا المُغرب * و مُغرِّدنا المطرب * نظم

إلامَ سعادُ لا تصلين حبلي * و لا تأوين لي مما أُلاقي

صبرت عليكِ حتى عِيلَ صبري * و كادت تبلُغ الروحُ التراقي

و هاانا قد عزمت على انتصافٍ * أُساقي فيه خِلّي ما يُساقي

فان وَصْـلاً أَلَـذُّ به فوصلٌ * و ان صُرْماً فَصُرمٌ كالطلاق

قال فاستفهمنا العابث بالمثاني * لم نصب الوصل الاول و رفع الثاني * فاقسم بتربة ابويه * لقد نطق بما اختاره سِيبَويْه * فتشعَّبت حينئذ آراء الجمع * في تجويز النصب و الرفع * فقالت فرقة رفعُهما هو الصواب * و قالت طائفة لا يجوز فيهما الا الانتصاب * و استبهم على آخرين الجواب * و استعر بينهم الاصطخاب * و ذلك الواغل يُبدي ابتسام ذي معرفة * و ان لم يفه ببنت شَفَة * حتى اذا سكنت الزماجر * و صمَتَ المزجورُ و الزاجر * قال يا قوم

انا أُنَبِّئكم بتأويله * و أميّز صحيح القول من عليله * انه لا يجوز رفعُ الوصلين و نصبهما * و المغايرة فى الاعراب بينهما * و ذلكم بحسب اختلاف الاضمار * والتقدير المحذوف في هذا المضمار * قال ففَرط من الجماعة إفراط في مُماراته * و انخراطُ الى مباراته * فقال اما اذا دعوتم نزال * و تلبّبتم للنضال * فما كلمة هي ان شئتم حرف محبوب * او اسم لما فيه حرف حلوب * و اي اسم يتردّد بين فرد حازم * و جمع ملازم * و أيّة هاء اذا التحقت اماطت الثقل * و اطلقت المعتقل * و اين تدخل السين فتعزل العامل * من غير ان تجامل * و ما منصوب ابدا على الظرف * لا يخفضُه سوى حرف * و اي مضاف اخلّ من عُرَي الاضافة بعُروة * و اختلاف حكمه بين مساء و غُدوة * و ما العامل الذي يتّصل آخره باوله * و يعمل معكوسُه مثل عمله * و اي عامل نائبه ارحبُ منه وكرا * و اعظم مكرا * و اكثر لله تعالى ذكرا * و في اي موطن يلبَس الذُّكران * براقع النسوان * و تبرُزُ ربّاتُ الحجال * بعمائم الرجال * و اين يجب حفظ المراتب * على المضروب و الضارب * و ما اسم لا يُفهم الا باستضافة كلمتين * او الاقتصار منه على حرفين * و في وضعه الاول التزام * و فى الثاني الزام * و ما وَصْف اذا رُدِفَ بالنُّون * نقَص صاحبه فى العُيون * و قُوّمَ بالدُّون * و خرج من الزبون * و تعرض للهُون * فهذه ثنتاعشرة مسئلة وفق عددكم * و زنة لددكم * و لو زدتم زدنا * و ان عدتم عدنا * قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا من احاجيه اللاتي هالت * لما انهالت * ما حارت له الافكار و حالت * فلما اعجزنا العومُ في بحره * و استسلمت تمائمنا لسحره * عدلنا من استثقال الرؤية

له الى استنزال الرواية عنه * و من بغي التبرّم به الى ابتغاء
التعلّم منه * فقال و الذي نزّل النحو في الكلام * منزلة الملح
في الطعام * و حجب مطالعه عن بصائر الطغام * لا انلتكم
مراما * و لا شفيت لكم غراما * او تخوّلني كلّ يد * و يختصّني
كل منكم بيد * فلم يبق في الجماعة الا من اذعن لحكمه *
و نبذ اليه خبأة كمّه * فلما حصله تحت وكائه * اغرم
شعلة ذكائه * فكشف حينئذ من اسرار الغازه * و بدائع اعجازه
ما جلا به صدأ الاذهان * و جلّى مطلعه بنور البرهان * قال
الراوي فهمنا * حين فهّمنا * و عجبنا * اذ اجبنا * و ندمنا * على
ما ندّ منا * و اخذنا نعتذر اليه اعتذار الاكياس * و نعرض عليه
ارتضاع الكاس * فقال مأرب لا حفاوة * و مشرب لم يبق له عندي
حلاوة * ثم شمخ بانفه صلفا * و نأى بجانبه انفا * و انشد * نظم

نهاني الشيب عما فيه افراحي * فكيف اجمع بين الراح والراح
و هل يجوز اصطباحي من معتّقة * وقد انار مشيب الرأس اصباحي
آليت لا خامرتني الخمر ما علقت * روحي بجسمي والفاظي بافصاحي
ولا اكتست لي بكاسات السلاف يد * و لا اجلت قداحي بين اقداح
و لا صرفت الى صرف مشعشعة * همّي و لا رحت مرتاحا الى راح
و لا نظمت على مشمولة ابدا * شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاح
محا المشيب مراحي حين خطّ على * رأسي فابغض به من كاتب ماح
و لاح يلحى على جري العنان الى * ملهى فسحقا له من لائح لاحي
و لو لهوت و فودي شائب لخبا * بين المصابيح من غسّان مصباحي
قوم سجاياهم توقير ضيفهم * والشيب ضيف له التوقير يا صاح

قال ثم انه انساب انسياب الايم * و اجفل اجفال الغيم * فعلمت انه

سراج سروج * و بدر الادب الذي يجتابُ البروج * و كان قُصارانا التحرّق لبعْدِه * و التفرّق من بَعْدِه *

تفسير ما اودع هذه المقامة من النكت الغريبة
و الاحاجي النحوية *

اما صدر البيت الاخير من الاغنية الذي هو فان وصلاً الذ به فوصل فانه نظير قولهم المرء مَجزيٌّ بعمله ان خيرا فخير و ان شرا فشر * و هذه المسئلة اودعها سيبَوَيْهِ كتابه و جوّز في إعرابها اربعة اوجه * احدها و هو اجودها ان تنصبَ خيرا الاولَ و ترفَع الثاني و تنصِبَ شرا الاول و ترفعَ الثاني و يكون تقديره ان كان عملُه خيرا فجزاءه خير و ان كان عمله شرا فجزاءه شر فينتصب الاول على انه خبرُ كان و يرتفع الثاني على انه خبر مبتدأ محذوف و قد حذفتَ في هذا الوجه كان و اسمَها لدلالة حرف الشرط الذي هو ان على تقديرهما و حذفتَ ايضا المبتدأ لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقُع بعدها * و الوجه الثاني ان تنصبَهما جميعا و يكون تقديرُ الكلام ان كان عملُه خيرا فهو يُجزى خيرا و ان كان عمله شرا فهو يُجزى شرا فينتصب الاول على انه خبر كان و ينتصب الثاني انتصابَ المفعول به * و الوجه الثالث ان ترفعهما جميعا و يكون تقدير الكلام ان كان في عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خيرُ الاول على انه اسم كان و يرتفع خيرُ الثاني لانه خبرُ مبتدأ محذوف على ما بُيِّنَ في شرح الوجه الاول و قد يجوز ان يرتفع خيرُ الاول على انه فاعل كان و تَجعل كان المقدَّرة ههنا هي التامة التي تاتي بمعنى حدَث و وقَع فلا تحتاج الى خبَرٍ كقوله تعالى و ان كان ذو عُسرةٍ *

و يكون التقدير في المسئلة ان كان خيرٌ فجزاءه خيرٌ اي ان حدث خير فجزاءه خير * و الوجه الرابع و هو اضعفها أن ترفع الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث و تنصب الثاني على ما بُيِّنَ ذكره في الوجه الثاني و يكون التقدير ان كان في عمله خير فهو يجزى خيرا و على حسب هذا التفسير و المقدرات المحذوفات فيه يجري اعراب البيت الذي غُنِّيَ به و مما ينتظم في هذا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف و ان خنجرا فخنجر * و اما الكلمة التي هي حرفٌ محبوبٌ او اسم لما فيه حرف طرب فهي نعم ان اردتَّ بها تصديقَ الاخبار او العدة عند السؤال فهي حرف و ان عنيتَ بها الابل فهي اسم * و النعم تُذكَّرُ وتُؤنَّثُ و تنطلق على الابل و على كلّ ماشية فيها إبل و في الابل الحرف و هي الناقة الضامرة سمّيتْ حرفا تشبيها لها بحرف السيف و قيل انها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل * و اما الاسم المتردّد بين فرد حازم و جمع ملازم فهو سراويلُ قال بعضهم هو واحد و جمعه سراويلات فعلى هذا القول هو نوَّنٌ و كنى عن ضمّة الخَصْرُ بانه حازم و قال آخرون بل هو جمع و واحده سروال مثل شِمْلالٍ و شماليلَ فهو على هذا القول جمع و معنى قوله ملازم اى لا ينصرف و انما لم ينصرف هذا النوع من الجمع و هو كل جمع ثالثه الف بعدها حرف مشدد او حرفان او ثلثة اوسطها ساكن لثقله و تفرُّده دون غيره من الجُموع بان لا نظير له في الاسماء الاحاد و قد كنى في هذه الأُحجيّة عما لاينصرف بالملازم * و اما الهاء التي اذا الحقتْ اماطت الثقلَ و أطلقت المعتقَل فهي الهاء اللاحقة بالجمع المقدَّم ذكرُه مثل صيارفةٍ و

صياقلة فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء به لانها قد اصارته الى مثال الاحاد نحو رفاهية و كراهية فخف بهذا السبب و صرف لهذه العلة و قد كنى في هذه الاحجية عما لاينصرف بالمعتقل كما كنى في التي قبلها عما لاينصرف بالملازم * و اما السين التي تعزل العامل من غير ان تجامل فهي التي اذا دخلت على الفعل المستقبل و فصلت بينه و بين أن التي كانت قبل دخولها من ادوات النصب فيرتفع حينئذ الفعل و ينتقل ان عن كونها الناصبة للفعل الى ان تصير المخففة من الثقيلة و ذلك كقوله سبحانه علم أنْ سيكون منكم مرضى و تقديره علم انّه سيكون * و اما المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف فهو عند اذ لا يجرّه غيرُ من خاصّة و قول العامة ذهبتُ الى عنده لحنٌ * و اما المضافُ الذي اخلّ من عُرى الاضافة بعُروة * و اختلف حكمه بين مساء و غُدوة * فهو لَدُن و لَدُن من الاسماء الملازمة للاضافة و كل ما ياتي بعدها مجرور بها الا غُدوةً فان العرب نصبتْها بلَدُنْ لكثرة استعمالهم أياها فى الكلام ثم نوّنتها ايضا لتبيّن بذلك انها منصوبة لا انها من نوع المجرورات التي لا تنصرف * و عند بعض النحويين ان لدن بمعنى عند والصحيح ان بينهما فرقا لطيفا و هو ان عند يشتمل معناها على ما هو في مُلكك و مُكنتك مما دنا منك و بَعُد عنك و لدُنْ يختصّ معناها بما حضرك و قرُب منك * و اما العامل الذي يتّصل آخره باوّله و يعمل معكوسُه مثل عمله فهو يا و معكوسها أيْ و كلتاهما من حروف النداء و عملهما فى الاسم المنادى سيّان و ان كانت يا أجْوَل فى الكلام و اكثر فى الاستعمال و قد اختار بعضهم ان يُنادى بأيْ القريب فقط كالهمزة * و اما

العامل الذي نائبه ارحب منه وَكْرًا و اعظم مكرا و اكثر لله تعالى ذكرا فهو باء القسم * و هذه الباء هي اصلُ حروف القَسَم بدلالة استعمالها مع ظُهور فعل القَسَم في قولك أقسم بالله و لدخولها ايضا على المضمر في قولك بك لافعلنَّ ثم قد أُبدلت الواوُ منها في القسم لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما لان الواو تفيد الجمع و الباء تفيد الالصاق و المعنيان متقاربان ثم صارت الواو المبدَلة من الباء أدْوَرَ في الكلام و اعلق بالاقسام و لهذا الغز بانها اكثر لله تعالى ذكرا ثم ان الواو اكثرُ موطنا من الباء لان الباء لا تدخُلُ الا على الاسم و لا تعمَلُ غير الجر و الواوَ تدخُلُ على الاسم و الفعل و الحرف و تجُرُّ تارة بالقسم و تارة باضمار رُبَّ و تنتظم ايضا مع نواصب الفعل و ادوات العطف فلهذا وصفها بُرحْب الوكر و عُظم المكر * و اما الموطنُ الذي فيه يلبس الذُّكرانُ براقعَ النسوان و تبرُزَ ربَّاتُ الحِجال بعمائم الرجال فهو اول مراتب العدد المضاف و ذلك ما بين الثالثة الى العشرة فانه يكونُ مع المذكَّر بالهاء و مع المؤنث بحذفها كقوله تعالى سخَّرها عليهم سبْعَ ليال و ثمانية ايام حُسُوما * و الهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنَّث مثل قائم و قائمة و عالم و عالمة فقد رأيتَ كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر و المونث حتى انقلب كل منهما في غير (†) قالبه * و برز في بِزَّة صاحبه * و اما الموضع الذي يجبُ فيه حفظُ المراتب على المضروب و الضارب فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الاعراب فيهما او في احدهما و ذلك اذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى او من اسماء

(†) غير

الاشارة نحو ذاك و هذا فيجب حينئذ لازالة اللّبس اقرارُ كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه و المفعول بتاخره * و اما الاسم الذي لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على حرفين فهو مهما و فيها قولان احدهما انها مركبة من مَهْ التي بمعنى اُكْفُفْ و من ما والقول الثاني و هو الصحيح ان الاصل فيها ما فزيدت عليها ما أخرى كما تزاد على ان فصار لفظها ما ما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فابدلوا من الالف الاولى هاء فصارتا مهما و مهما من ادوات الشرط و الجزاء و متى لفظت بها لم يتم الكلام و لا عُقِلَ المعنى الا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل افعل و تكون حينئذ ملتزما للفعل و ان اقتصرت منها على حرفين و هما مه التي بمعنى اكفف فُهِمَ المعنى و كنت ملزما مَنْ خاطبته ان يكفّ * و اما الوصف الذي اذا رُدِفَ بالنون نقص صاحبه في العيون و قُوِّمَ بالدُّون و خرج من الزبون و تعرّض للهون فهو ضيف * اذا لحقته النون استحال الى ضيفنٍ و هو الذي يتبع الضيف * و يتنزّل في النقد منزلة الزيف *

المقامة الخامسة والعشرون

الكرجية

حكى الحارث بن همام قال شتوت بالكَرَجِ لدَيْنٍ اقتضيه * و ارَبٍ اقضيه * فبلوتُ من شتائها الكالح * و صِرِّها النافح * ما عرّفني جَهْد البلاء * و عكف بي على الاصطلاء * فلم اكن أزايل وجاري * و مستوقَد ناري * الا لضرورة أُدفع اليها * او اقامة جماعة احافظ عليها *

فاضطُررتُ في يوم جوه مُزمهرٌّ * و دجنه مُكفهرٌّ * الى ان برزتُ من كذاني * لمُهمٍّ عذاني * فاذا شيخ عاري الجلْدة * بادي الجُرْدة * و قد اعتمّ بريطةٍ * و استثفر بفُويطة * و حوالَيْه جمع كثيف الحواشي * و هو يُنشد و لا يُحاشي * نظم

يا قوم لا ينبئُكم عن فقري * اصدقُ من عُريي اوان القُرّ
فاعتبروا بما بدا من ضُرّي * باطنَ حالي و خفيّ امري
و حاذِروا انقلابَ سِلْم الدهر * فانني كنتُ نبيهَ القدْر
آوي الى وفرٍ و حدٍّ يفري * تُفيض صُفري و تُبيد سَمري
و تشتكي كُومي غداةَ اقري * فجرّد الدهرُ سيوفَ الغدر
و شنّ غاراتِ الرزايا الغُبْر * و لم يزلْ يحتذي و يبري
حتى عفَتْ داري وغاضَ درّي * و بار سعري في الورى و شعري
و صرتُ نضوَ فاقةٍ و عُسْرِ * عاري المطا مجرّدًا من قشْري
كانني المغزلُ في التعرّي * لا دِفْءَ لي في الصِنّ و الصِنَّبْر
غيرُ الضحَي و اصطلاءِ الجمْر * فهل خضمٌّ ذو رداء غَمْر
يستُرني بمُطرَفٍ او طِمْر * طلابَ وجهِ الله لا لشكري

ثم قال يا ارباب الثَّرآء * الرافلين في الفِرآء * من اوتي خيرا فليُنفق * و من استطاع ان يرفق فليرفُق * فان الدنيا غُدُور * و الدهرَ عَثُور * و المكنةُ زَورةُ طَيف * و الفُرصةُ مُزنةُ صَيف * و اني و الله لطالما تلقّيتُ الشتاء بكافاته * و اعددتُ الاُهَبَ له قبل موافاته * و ها انا اليومَ يا سادتي * ساعدي وِسادتي * و جِلدتي * بردتي * و حفنتي * جفنتي * فليعتبر العاقل بحالي * و ليُبادر صرف الليالي * فان السعيد من اتَّعظ بسواه * و استعدّ لمسراه * فقيل له قد جلوت علينا ادبك * فاجلُ لنا نسبَك * فقال تبًّا لمفتخر * بعظم

تُخر * انما الفخر بالتُّقى * و الادب المُنتقى * ثم انشد * نظم

لعمرك ما الانسان الا ابنُ يومه * على ما تجلّى يومُه لا ابنُ امسه

و ما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخارُ الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم انه جلس مُحقوقفا * و اجرنثم مُقفقفا * و قال اللهمّ يا من غمر بنواله * و امر بسؤاله * صلّ على محمد و آله * و اعذني على البرد و اهواله * و اتح لي حُرّا يُؤثر من خصاصة * و يواسي و لو بقصاصة * قال الراوي فلما جلّى عن النفس العصامية * و المُلح الاصمعية * جعلت ملامح عيني تعجمه * و مرامي لحظي ترجمه * حتى استبنت انه ابو زيد * و ان تعرّيه احبولة لصيد * و لمح هو ان عرفاني قد ادركه * و لم يامن ان يهتكه * فقال اقسم بالسمر و القمر * و الزهر و الزُّهُر * انه لن يسترني الا من طاب خيمه * و اشرب ماء المروة اديمه * فعقلت ما عناه * و ان لم يدر القوم معناه * و ساءني ما يعانيه من الرعدة * و اقشعرار الجلدة * فعمدت لفروة هي بالنهار رياشي * و في الليل فراشي * فنضوتها عني * و قلت له اقبلها مني * فما كذّب ان افتراها * و عيني تراها * ثم انشد * نظم

لله من البسني فروةً * اضحت من الرعدة لي جُنّه

البسنيها واقيا مهجتي * وُقي شرَّ الانس و الجِنّه

سيكتسي(†) اليوم ثنائي و في * غد سيكسى سُندس الجَنّه

قال فلما فتن قلوب الجماعة * بافتنانه في البراعة * القوا عليه من الفراء المخشّاة * و الجباب الموشّاة * ما آده ثقله * و لم يكد يقلّه * فانطلق مستبشرا بالفرج * مستسقيا للكرج * و تبعته الى حيث

(†) سيلبس .

ارتفعت التقيَّة * و بدت السماء نقيَّة * فقلت له لشدَّ ما قرسك
البرد * فلا تتعرَّ من بعد * فقال ويْك ليس من العدل *
سرعة العذل * فلا تعجلنَّ بلوم هو ظلم * و لا تقف ما ليس لك
به علم * فو الذي نوَّر الشيبَة * و طيَّب تربة طَيْبة * لو لم اتعرَّ
لرُحْتُ بالخَيبة * و صفر العيبة * ثم نزَع الى الفرار * و تبرقع
بالاِكفهْرار * و قال اما تعلم ان شِنْشِنَتي الانتقال من صيد الى
صيد * و الانعطاف من عمرو الى زيد * و اراك قد عُقتَني *
و عَقْقتَني * و افتنَّي * اضعاف ما افدتَّني * فاعفُني عافاك الله
من لغوك * و اسدُد دوني باب جِدك و لهوك * فجَبَذتُه * جَبْذ
التلعابة * و جَعْجعتُ به للدعابة * و قلت له و الله لو لم
اوارك * و أغطِّ على عوارك * لما وصلت الى صلة * و لا انقلبتَ
اكسى من بصَلة * فجازِني عن احساني اليك * و ستري لك
و عليك * بان تسمح لي بردِّ الفروة * او تعرِّفني كافات الشتوة *
فنظر اليَّ نظر المتعجِّب * و ازمهَرَّ ازمهرار المتغضِّب *
ثم قال اما رد الفروة فابعد من رد امس الدابر * و الميْت الغابر *
و اما كافات الشتوة فسبحان من طبَع على ذهنك * و اوهى وِعاء
خَزْنك * حتى اُنسيتَ ما انشدتك بالدَّسكرة * لابن سُكَّرة * نظم

جاء الشتاء و عندي من حوائجه * سبع اذا القَطْر عن حاجاتنا حبَسا
كِنٌّ و كيسٌ و كانُونٌ و كأسُ طلا * بعد الكباب و كُسٌّ ناعم و كِسا

ثم قال لجواب يشفي * خير من جلباب يدفيء * فاكتفِ * بما
وعيت و انكفِيء * ففارقته و قد ذهبت فروتي لشَقْوتي *
و حصلت على الرعدة طول شتوتي *

المقامة السادسة والعشرون
وتعرف بالرقطاء

حدث الحارث بن همام قال حللت سُوَقِي(†) الأَقْوار * لابسا حُلة الاعوار * فلبثت فيها مدة * أكابد شدة * وأُزجي اياما مسوَدّة * الى ان رأيت تمادي المُقام * من عوادي الانتقام * فرمقتها بعين القالي * وفارقتها مفارقة الطلل البالي * وظعنت عن وَشْلها كميش الازار * راكضا الى (‡) المياه الغزار * حتى اذا سِرتُ منها مرحلتين * وبعدت سُرى ليلتين * تراأتْ لي خيمة مضروبة * ونارٌ مُشْبوبة * فقلت آتيهما لعلّي انقع صَدًى * او اجد على النار هُدًى * فلما انتهيت الى ظل الخيمة * رأيت غلمةً رُوقة * وشارةً مرموقة * وشيخا عليه بِزّة سنيّة * ولديه فاكهة جنيّة * فحيّيته * ثم تحاميته * فضحك اليّ * واحسن الرد عليّ * وقال الا تجلس الى من تروق فاكهته * وتشوقُ مُفاكهته * فجلست لاغتنام محاضرته * لا لالتهام (§) ما بحضرته * فحين سفر عن آدابه * وكشر عن انيابه * عرفت انه ابو زيد بحسن مُلَحه * وقبح قَلَحه * فتعارفنا حينئذ * وحقّت بي فرحتان ساعتئذ * ولم ادر بايّهما انا اصفى فرحا * واوفى مرحا * أ باسفاره * من دُجُنّة اسفاره * ام بخصب رحاله * بعد امحاله * وتاقت نفسي الى ان افُضّ ختم سره * وابطن شعبة بمره * فقلت له من اين إيابك * والى اين انسيابك * وبم امتلأت عِيابك * فقال امّا المَقدم فمن

(†) سوق (‡) راكضا منها الى (§) لالتقام *

طوس * و اما المقصد فالى السوس * و اما الجدة التي اصبتها * فمن رسالة اقتضبتها * فسألته ان يفرشني دخلته * و يسرد علي رسالته * فقال دون مرامك حرب البسوس * او تصحبني الى السوس * فصاحبته اليها قهرا * و عكفت بها عليه شهرا * و هو يعللني كاسات التعليل * و يجرني اعنة التاميل * حتى اذا حرج صدري * و عيل صبري * قلت له انه لم يبق لك علة * و لا لي تعلة * و في غد ازجر غراب البين * و ارحل عنك بخفي حنين * فقال حاش لله ان اخلفك * و اخالفك * و ما ارجأت ان احدثك * الا لالبثك * و اذا كنت قد استربت بعدتي * و اغراك ظن السوء بمباعدتي * فاصغ اقصص سيرتي الممتدة * و اضفها الى اخبار الفرج بعد الشدة * فقلت هات فما اطول طيلك * و اهول حيلك * فقال اعلم ان الدهر العبوس * القاني الى طوس * و انا يومئذ فقير وقير * لا فتيل لي و لا نقير * فالجاني صفر اليدين * الى التطرق بالدين * واذنت لسوء الاتفاق * ممن هو عسر الاخلاق * و توهمت تسني النفاق * فتوسعت في الانفاق * فما انفقت حتى بهظني دين لزمني حقه * و لازمني مستحقه * فحرت في امري * و اطلعت غريمي على عسري * فلم يصدق املاقي * و لا نزع عن ارهاقي * بل جد في التقاضي * و لج في اقتيادي الى القاضي * و كلما خضعت له بالكلام * و استنزلت منه رفق الكرام * و رغبته في ان ينظر لي بمياسرة * او ينظرني الى ميسرة * قال لا تطمع في الانظار * و احتجان النضار * فوحقك ما ترى مسالك الخلاص * او تريني سبائك الخلاص * فلما رأيت احتداد لدده * و ان لا مناص لي من

يده * شاغبته * ثم وانبته * ليرافعني الى والى الجرائم * لا الى الحاكم في المظالم * لما كان بلغني من افضال الوالي و فضله * و تشددالقاضي و بخله * فلما حضرنا باب اميرطوس * آنست أن لا بأس و لا بوس * فاستدعيت دواة و بيضاء† * و انشأت اليه رسالة رقطاء* وهي-اخلاق سيدنا تحب * و بعقوته يلب * و قربه تحف * و نأيه تلف * و خلته نسب * و قطيعته نصب * و غربه ذلق * و شهبه تأتلق * و ظلمه ران * و قوم نهجه بان * و ذهنه قلب و جرب * و نعته شرق وغرب * نظم

سيد قلب سبوق مبر * فطن مغرب عزوف عيوف
مخلف متلف اغرفريد * نابه فاضل ذكي انوف
مغلق ان ابان طب اذا نا * ب هياج و جل خطب مخوف

مناظم شرفه تأتلف * و شؤبوب حبائه يكف * و نائل يديه فاض * و شح قلبه غاض * و خفف سخائه تحتلب * و ذهب عذبه يحترب * من لف لفه فلج و غلب * و تاجر بابه جلب و خلب * كف عن هضم بري * و برى من دنس غوي * و قرن ليانه بعز * ونكب عن مذهب كز * ليس بوثبات عند نهزة شر * بل يعف عفة بر * نظم

فلذا يحب و يستحق عفافه * شغفا به فلبابه خلاب
اخلاقه غر ترف رفوقه * فوق اذا ناضلته غلاب
سمح يهش وذو تلاف ان هفا * خل فليس بحقه يرتاب
لا باخل بل باذل خرق اذا * يعتر برز لا يليه باب
ان عض ازل فلأغرب عضاضه * بمذابه فانحت منه ناب

---

† ( ) قطا •

و جدير بمن لَبَّ وفطن * و قرب و شطن * ان اذعن لقريع زمن * و جابر زمن * مذ رضع ثديَ لبانه * خُصّ بافاضة تهتانه * نعش و فرّج * و ضافر فابهج * و نافر فازعج * و فاء بحق ابلج * اتعب مَنْ سَيَلي * و قُرِظَ اذ هُزَّ وبُلي * و توّج صفاته * بحُبّ عُفاته * نظم

فلا خلا ذا بهجـــة * يمتـدّ ظلّ خصبه
فانه برّ بمَـــن * آنسَ ضوءَ شُهبه
زانَ مزايا ظرفه * بابؤس خوف ربّه

فليهن سيدنا فوزه * بمفاخرَ تاثلت * و جلّت * و فوته بصنائع تمّت * و نمت * و يلائم قُرَب حضرته * غوث رِقه بحظ من حظوته * فانه تليد ندب * و شرد جدب * و جريح نُوَب اثّرت * و ناظم قلائد تسيّرت * اذا جاش بخطبة فلا يوجد قائل * ثم قُسّ ثم باقل * فان حبّر قلت حِبَر نمنمت * و خلتَ رياضا قد نمَتْ * هذا ثم شربه برض * و قوته قرض * و فلقه غسق * و جلبابه خلق * و قد قلق لتوغّر غريم غاشم * يستحثّه بحق لازم * فان منّ سيدنا بكفه * بهبات كفه * توشح بمجد فاق * و باء باجر فكي من وثاق * لا خلت سجايا خُلْقه * ترفد شائم برقه * بمَن رب ازليّ * حيّ ابديّ *

قال فلما استشفّ الامير لآليها * و لمح السرّ المودَع فيها * اوعز في الحال بقضاء ديني * و فصل ما بين خصمي و بيني * ثم استخلصني لمكاثرته * و اختصّني باثرته * فلبثت بِضعَ سنين انعم في ضيافته * و ارتع في رِيف رافته * حتى اذا غمرتني مواهبه * و اطال ذيلي ذهبه * تلطفت في الارتحال * على ما ترى من حسن الحال * قال فقلت له شكرا لمن اتاح لك لقيان السمح الكريم * و انقذك به من ضغطة الغريم * فقال الحمد لله على سعادة الجدّ *

و الخلوص من الخصم الالدّ * ثم قال ايما احَبُّ اليك ان احذيك من العطاء * ام اتحفك بالرسالة الرقطاء * فقلت املاء الرسالة احب اليَّ * فقال و هو وحقك اخفُّ عليَّ * فان نحلة ماياج فى الاذان * اهون من نحلة ما يخرج من الاردان * ثم كانه انف و استحيا * فجمع لي بين الرسالة و الحذيا * ففزت منه بسهمين * و فصلتُ عنه بغنمين * و أبتُ الى وطني قرير العين * بما حزتُ من الرسالة و العين *

المقامة السابعة والعشرون البدوية

حكى الحارث بن همام قال ملت في ريق زماني الذي غبر * الى مجاورة اهل الوبر * لآخذ اخذ نفوسهم الابية * و السنتهم العربية * فشمرت تشمير من لا يالو جهدا * و جعلت اضرب فى الارض غورا و نجدا * الى ان اقتنيت نجمة من الراغية * وثلة من الثاغية * ثم اويت الى عرب ارداف اقيال * و ابناء اقوال * واوطنوني امنع جناب * و فلّوا عني حد كل ناب * فما تاوبني عددهم همّ * و لا قرع صفاتي سهم * الى ان اضللت في ليلة منيرة البدر * لقحة غزيرة الدر * فلم اطب نفسا بالغاء طلبها * و القاء حبلها على غاربها * فتدثرت فرسا محضارا * و اعتقلت لدنا خطّارا * و سريت ليلتي جمعاء * اجوب البيداء * و اقترى كل شجراء و مرداء * الى ان نشر الصبح راياته * و حيعل الداعي الى صلاته * فنزلت عن متن الركوبة * لاداء المكتوبة * ثم حلت في صهوتها * و نزرت عن شحونها * و سرت لا ارى اثرا الا قفوته * و لا نشزا الا علوته * و لا واديا الا جزعته * و لا راكبا الا استطلعته * و جدّي

مع ذلك يذهب هدرا * ولا يجد وِرْده صدرا * الى ان حانت
صكّة عُمَيّ * وقلص هجير يُذهِل غيلانَ عن ميّ * وكان يوما
اطول من ظلّ القناة * واحرّ من دمع المقلات * فايقنت
اني ان لم استكنّ من الوقْدة * و استجمّ بالرقْدة * ادنفني
اللُّغوب * وعاقت بي شَعوب * فعُجتُ الى سرْحةٍ كثيفة
الاغصان * ورَيقة الافنان * لاغوّر تحتها الى المُغيربان * فوالله
ما استروحَ نفسي * ولا استراح فرسي * حتى نظرت الى سانح *
في هيئة سائح * وهو ينتجع نُجعتي * ويشتد الى بقعتي *
فكرهت انعياجه الى معاجي * و استعذت بالله من شر كل
مُفاجي * ثم ترجّيتُ ان يتصدى مُنشدا * او يتبدى مرشدا *
فلما اقترب من سرحتي * وكاد يحُلّ بساحتي * الفيته شيخنا
السروجيّ متّشحا بجرابه * ومُضطغنا اهبة تجوابه * فآنسني
اذ ورَد * وانساني ما شرَد * ثم استوضحته من اين اثره * وكيف
عُجَرُه و بُجَرُه * فانشد بديهاً * ولم يقل اِيهاً * نظم

قل لمستطلع دخيلة امري * لك عندي كرامة وعَزازه
انا ما بين جَوب ارضٍ فارضٍ * وسُرًى في مفازةٍ فمفازه
زادي الصيد والمطية نعلي * وجهازي الجِراب والعُكّازه
فاذا ما هبطتُ مصرا فبيتي * غُرفة الخان والنديم جُزازه
ليس لي ما آساء ان فات او احـ * ـزن ان حاول الزمانُ ابتزازه
غير اني ابيت خلوا من الهـ * ـم ونفسي عن الاسى منحازه
ارقُد الليل ملء جفني وقلبي * بارد من حرارة وحزازة
لا ابالي من اي كاس تفوّقـ * ـت ولا حلاوة من مزازة
لا ولا آستجيز ان اجعل الذُّلّ * مجازا الى تسنّي اِجازه

و اذا مطلب كسا حلة العا * رفبعدا لمن يروم نجازه

و متى اهتز للدناءة نكس * عاف طبعي طباعه و اهتزازه

فالمنايا و لا الدنايا و خير * من ركوب الخنا ركوب الجنازه

ثم رفع الي طرفه * و قال لامر ما جدع قصير انفه * فاخبرته خبر ناقتي السارحة * و عاينته في يومي و البارحة * فقال دع الالتفات * الى ما فات * و الطماح * الى ما طاح * و لا تأس على ما ذهب * و لو انه وادٍ من ذهب * و لا تستمل من مال عن ريحك * و اضرم نار تباريحك * و لو كان ابن بوحك * او شقيق روحك * ثم قال هل لك في ان نقيل * و نتحامى القال و القيل * فان الابدان انضاء تعب * و الهاجرة ذات لهب * و لن يصقل الخاطر * و ينشط الفاتر * كقائلة الهواجر * و خصوصا في شهري ناجر * فقلت ذاك اليك * و ما اريد ان اشق عليك * فافترش الترب و اضطجع * و ظهر ان قد هجع * و ارتفقت على ان احرس * و لا انعس * فاخذتني السنة * لما زمت الالسنة * فلم افق الا و الليل قد تولج * و النجم قد تبلج * و لا السروجي و لا المسرج * فبت بليلة نابغية * و احزان يعقوبية * اساور الوجوم * و اساهر النجوم * افكر تارة في رجلتي * و اخرى في رجعتي * الى ان وضح لي عند افترار ثغر الضوء في وجه الجو * راكب يخد في الدو * فالمعت اليه بثوبي * و رجوت ان يعرج الى صوبي * فلم يعبأ بالماعي * و لا ارى لاتباعي * بل سار على هينته * و اصماني بسهم اهانته * فاوفضت اليه لاستردفه * و احتمل تغطرفه * فلما ادركته بعد الاين * و اجلت فيه مسرح العين * وجدت ناقتي مطيته * و ضالتي لقطته * فما كذبت ان اذريته عن سنامها * و جاذبته طرف

زمامها * فقلت له انا صاحبها و مُضِلُّها * ولي رِسلُها و نسلها * فلا تكن كاشعَب * فتُتعِبَ و تتعَب * فاخذ يلدَغ و يَصدَى * و يتقحّم و لا يستحيي * و بينا هو ينزو و يلين * و يستاسد و يستكين * اذ غشِيَنا ابو زيد لابسا جلد النمر * و هاجما هجوم السيل المُنهمِر * فخفت و الله ان يكون يومه كامسه * و بدره مثل شمسه * فالحق بالقارظين * و اصير خبرا بعد عين * فلم ار الا ان اذكرتُه العُهودَ المنسية * والفعلة الامسية * و ناشدتُه الله أ زارني اليوم للتلافي * ام لما فيه اتلافي * فقال معاذ الله ان اُجهِز على مكلومي * او اصِلَ حروري بسمومي * بل وافيتك لاخبر كنه حالك * و اكون يمينا لشمالك * فسكن عند ذلك جاشي * وانجاب استيحاشي * و اطلعته طِلْعَ اللِقحة * و تبرقَّع صاحبي بالقِحة * فنظر اليه نظَر ليث العرِيسة * الى الفريسة * ثم اشرع قِبله الرمح * و اقسم له بمن انار الصبح * لئن لم ينجُ منجا الذباب * و يرضَ من الغنيمة بالاياب * ليُورِدَنّ سِنانه وريده * و ليفجعنّ به وليدَه و وديدَه * فنبذ زمام الناقة و حاص * و افلَت و له حُصاص * فقال لي ابو زيد تسلّمها * و تسنّمها * فانها احدى الحُسنيين * و ويل اهون من ويلين * قال الحارث بن همام فحِرتُ بين لوم ابي زيد و شكره * و زنة نفعه بضُرّه * فكانه نَجِيَّ بذاتِ صدري * او تكهّن ما خامر سِرّي * فقابلني بوجه طليق (†) * وانشد بلسان ذليق(‡) * نظم

يا اخي الحاملَ ضَيمي * دون اخواني و قومي
ان يكن ساءك امسي * فلقد سرّك يومي
فاغتفر ذاك لهذا * واطّرِح شكري و لومي

(†) - طلق (‡) - ذلق *

ثم قال انا تَدُقُ * وانتَ مَدْقُ * فكيف نتفق * ثم ولّى يفري اديم الارض * و يركُض طرفه ايّما رَكْض * فما عدوتُ ان اقتعدتُ مطيّتي * و عدت لطيّتي * حتى وصلت الى حلّتي * بعد اللتيا والتي *

تفسير ما اودع هذه المقامة من الالفاظ اللغوية و الامثال العربية

قوله ريق زماني - يعني اوله و رايقه و قد يشدد فيقال ريّق * قوله - آخُذ اخذَ نفوسهم الابيّة - يعني اقتدي بهم يقال منه اَخَذ إخذَه و اَخذه بكسر الهمزة و فتحها * والهجمة - نحو المائة من الابل* و الثّلّة - القطيع من الغنم * و الراغيَة - الابل * و الثاغية - الشاء و منه قولهم ما له راغية و لا ثاغية اى لا ناقة و لا شاة * و قوله ارداف اقيال - اى يخلفون الملوك اذا غابوا * و قوله ابناء اقوال - اى فصحاء يقال للمنطيق انه ابن اقوال * و قوله فتدثرت فرسا محضارا - التدثر الوثوب على ظهر الفرس - و المحضار والمحضير الشديد العدو ماخوذ من الحُضر * وقوله اقترى كل شجراء و مرداء - الاقتراء تتبع الارض - و الشجراء ذات الشجر - و المرداء الخالية من النبات و منه اشتقاق الامرد لخلو وجهه من الشعر * و قوله حيعل الداعي الى صلاته - يعني به قول المؤذن حي على الصلاة و حي على الفلاح و المصدر منه الحيعلة - و مثله من المصادر الهيللة و الحمدلة و الحولقة و البسملة و الحسبلة و السبحلة و الجعلفة - فالهيللة حكاية قول لا اله الا الله و الحمدلة حكاية قول الحمد لله و الحولقة حكاية قول لا حول و لا قوة الا بالله و البسملة حكاية قول بسم الله و الحسبلة حكاية قول حسبنا الله و السبحلة حكاية قول سبحان الله و الجعلفة حكاية قول جعلت فداك * وقوله فنزلت عن متن الركوبة -

يعني الركوبة يقال ناقة ركوب و ركوبة و حلوب و حلوبة - و قد قُرِيَ فمنها رَكُوبتهم * و الصهوة - مقعد الفارس * و الشحوة - الخطوة * و الجزع - قطع الوادي عرضا * و قوله صكة عمي - يعني به قائم الظهيرة و قد اختلف في اصله فقيل كان عُمَيٌّ رجلا مغوارا فغزا قوما عند قائم الظهيرة و صكّهم صكّة شديدةً فصار مثلا لكل من جاء ذلك الوقت - و قيل المراد به الظبي لانه يسدر في الهواجر فيصطك بما يستقبله كاصطكاك الاعمى ثم صُغّر الاعمى تصغير الترخيم فقيل عُمَيٌّ كما صغروا اسود و ازهر فقالوا سُوَيد و زُهَير * و قوله و كان يوما اطول من ظل القناة - يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بابهام القطاة - و العرب تزعم ان ظل الرمح اطول ظل و منه قول الشاعر * نظم

و يومٍ كظل الرمح قصَّر طولَه * دَمُ الزِقِّ عنّا و اصطفاقُ المُزاهر

و قوله و احرّ من دمع المِقلات - المقلات هي التي لا يعيش لها ولد فدمعها ابدا حار لحزنها لانه يقال ان دمعة الحزن حارة و دمعة السرور باردة و لهذا قيل للمدعو له اقرّ الله عينه ماخوذ من القُرّ و هو البرد و قيل للمدعو عليه اسخن الله عينه ماخوذ من السُّخنة و هي الحرارة - و قيل ان اقرار العين ماخوذ من القرار فكانه دعا له ان يُرزق ما يُقِرّ عينه حتى لا تطمح الى ما لغيره و كانت الجاهلية تزعُمُ ان المقلات اذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها و الى هذا اشار بِشرُبنُ ابي حازم في قوله * نظم

تظلّ مقاليتُ النساء يطأنَه * يقلن الا يُلْقى على المرء مِئْزَرُ

و قوله علِقَتْ بي شعوب - يعني المنية و لا يدخل هذا الاسم اداة التعريف مثل دِجْلَةَ و عَرَفَةَ * و قوله أغوّر تحتها الى المغير بان -

التغوير النزول للقائلة كما ان التعريس النزولُ آخر الليل للتهويم او الاستراحة و المغيربان تصغير المغرب و كان قياس تصغيره المُغيرِبَ الا ان العربَ الحقت آخره الفا و نونا على طريق الشذوذ * و قوله مُضطَغِنا اهبة نجوابه - الاضطغان ان يحمل الشي تحت حضنه و الاضطبان ان يجعله تحت ضِبنه و الضبن ما بين الابط والكشح و كلاهما متقارب و اول مراتب الحمل الابط ثم الضِبن و هو اسفل الابط ثم الحضن و هو عند الجنب و التَجواب مصدر جاب وجميع المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء الا قولهم تبيان و تلقاء لا غير و قال بعضهم و تنضال ايضا * و قوله عُجري و بُجري - يريد به جميع امري الظاهر و الباطن و اصل العُجر العقد الناتية في العصب و البُجر العقد الناتية في البطن * و قوله لم يقل ايها - اي لم يامرني بالكف يقال للمستزاد ايه و لمن يستكف ايها * و قوله لامر ما جَدع قُصير انفَه - قصير هذا هو مولى جذيمة الابرش و كان جدعَ انفه بيده حين قتلت الزبّاءُ مولاهُ ثم اتاها و اوهمها ان عمر و بن عدي بن اخت جذيمة هو الذي جدَع انفه إتهاما له بانه غش خاله جذيمة اذ اشار عليه بقصدها فحظيَ قُصيرٌ بهذا القول (†) حتى جهزتْهُ مرارا الى العراق فكان ياتيها بالطُّرف منه الى ان استصحب في آخر نوبة الرجالَ في الصناديق و توصّل الى قتلها و الاخذ بثار مولاه منها و قصتها مشهورة * و قوله و لو كان ابنَ بُوحك - يعني ولد الصُّلب اشارةً الى انه ولد في باحة الدار و هي عرصتها و جمعها بوح - و قيل البوح من اسماء الذكر (‡) * و قوله في شهري ناجر - هما شهرا الحر و قيل انهما حزيران و تموز

(†) - القول عندها حتى (‡) - الذكر ايضا *

و انكر ابوبكر بن دُريد هذا القول و قال هما طارع نجمين * و قوله

فبتُّ بليلة نابغية - اومأ به الى قول النابغة * نظم

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلة * من الرُّقش في انيابها السم ناقع

و قوله المعتُ اليه بثوبي - يعني اشرت يقال منه لمع و المع بمعنى (‡) و قوله يلدَغ و يصئي هذا مثل يُضرب لمن يظلمُ و يشكو يقال صات العقرب تصئي صئيا و صِئّيا بفتح الصاد و كسرها اذا صوّتت * و كذلك الفرخْ و ما احسن قول ابن الرومي في هذا المعنى * نظم

تشكى المحبُّ و تشكو وهي ظالمة * كالقوس تُصمي الرمايا وهي مرنان

و قوله يدنو و يلين - هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يَذلُّ و يقال ان اصله الجدئ ينزو و هو صغير فاذا كبُرّلان* و قوله لابسا جلد النمر - هذا المثل يُضرَب لامتّقهِ الجرى لان النمر اجرأ سبُع و اقلّه احتمالا للضيم و من هذا اشتقاق قولهم تنمّر اي صار مثل النمر * و قوله فالحق بالقارظين - الاصلُ في القارظ انه الذي يجني القرَظ و هو النبات المدبوغُ به و القارظان المشار اليهما احدهما من عَنَزَةَ و الاخر من النَّمِر بن قاسط و كانا خرجا يجنيان القرَظ فلم يرجعا و لا عُرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى ايابه و اليهما اشار ابو ذويب في قوله * نظم

و حتى يؤوبَ القارظان كلاهما * و يُنشَر في القتلى كُليبٌ لوائل

و قوله اصلُ حَروري بسَمومي - الحَرور الريح الحارة ليلا و السَّموم الريح الحارة نهارا و قد تقام احديهما مقام الاخرى مجازا * و قوله ليث العريسة - يعني (§) ماوى السباع يقال فيه عريس و عريسة بالتبات

(‡) - بمعني واحد (§) - يعنى به *

الهاء و حذفها كما يقال غاب و غابة و عرين و عرينة فاما الغيل و الخيس فلم يلحقوا بهما الهاء * و قوله افلتَ و له حُصاص - هذا المثل يُضربُ لمن نجا من هلكة اشفى عليها بعد ما كاد يهوي فيها و الحُصاص العدو - و قيل انه الضراط (†) * و قوله ويل اهون من ويلين - هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه و مثله قول الشاعر * نظم

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنـــا
حنانيك بعضُ الشر اهونُ من بعـض

و قوله انا تئق و انت مئق فكيف نتفق - هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق فان التئق هو الممتلئ غيظا ماخوذ من قولهم اتأقت الاناء اذا ملأته و المئق هو الباكي فكأن التئق ينزع الى الشر لغيظه و المئق يضيق ذرعا باحتماله و مثله قول الاخر انا كلف و انت صلف فكيف نأتلف * و قوله لطيتي - يعني لقصدي و وجهتي و قد يُقالُ فيه طية بالتخفيف* و قوله بعد اللتيا و التي - اللتيا تصغير التي و هو على غير قياس التصغير المُطّرد لان القياس ان يضّم اولُ الاسم اذا صغّر و قد اقّر هذا الاسم على فتحته الاصلية عند تصغيره الا ان العرب عوضته عن ضم اوله بان زادت الفا في آخره و اجرت(‡) اسماء الاشارة عند تصغيرها على حكمه فقالت في تصغير الذي و التي اللذيّا و اللتيّا و في تصغير ذا و ذاك ذيّاً و ذيّاك و قد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا و التي فقيل هما من اسماء الداهية و قيل المراد بهما بعد صغير المكروه و كبيره *

(†) - اضراط نكانه لفزعه يعدو و يضرط (‡) - و قد اجرت •

المقامة الثامنة والعشرون

السمرقندية

اخبر الحارث بن همام قال استبضعتُ في بعض اسفارى القند * وقصدت به سَمَرقَنْد * وكنت يومئذ قويم الشَّطاط * جَموم النَّشاط * ارمي عن قوس المِراح * الى غرض الافراح * واستعين بماء الشباب * على ملامع السَّراب * فوافيتُها بُكرة عَروبة * بعد ان كابدت الصعوبة * فسعيتُ وما ونيت * الى ان حصل البيت * فلما نقلت اليه قَنْدي * وملكت قولَ عندي * عُجْتُ الى الحمَّام على الاثر * فاماطت عني وَعثاء السفر * واخذت في غسل الجمعة بالاثر * ثم بادرت في هئية الخاشع * الى مسجدها الجامع * لالحق بمن يقرُبُ من الامام * ويقرِّبُ افضل الانعام * فحظيت بان جلَّيت في الحلبة * وتخيرت المركز لاستماع الخطبة * ولم يزل الناس يدخلون في دين الله افواجا * ويَردون فُرادى وازواجا * حتى اذا اكتظَّ الجامعُ بحَفْلِه * واظلَّ تساوى الشخص وظلّه * برز الخطيب في أهبته * مُتهاديا خلف عَصبته * فارتقى في منبر الدعوة * الى ان مَثَّلَ بالذُّروة * فسلَّم مشيرا باليمين * ثم جلَس حتى خُتِمَ نظمُ التاذين * ثم قام وقال — الحمد لله الممدوح الاسماء * المحمود الآلاء * الواسع العطاء * المدعوِّ لحَسْم اللَّاواء * مَالك الامم * ومصوِّر الرمم * ومُكْرِم اهل السماح والكرم * ومُهلك عادٍ وإرَم * ادرك كلَّ سِرٍّ علمهُ * ووسع كلّ مُصِرٍّ حلمه * وعمَّ كل عالَم طَوله * وهدَّ كل مارد حوله * احمده حمد موحِّد مُسْلِم * وادعوه دعاء مؤمل مُسَلِّم * وهو الله لا اله

الا هو الواحد الاحد * العادل الصمد * لا ولد له و لا والد * و لا ردء معه و لا مساعد * ارسل محمدا للاسلام ممهدا * و للملة موطدا * و لادلة الرسل مؤكدا * و للاسود و الاحمر مُسَدّدا * وصل الارحام * و علّم الاحكام * و وسم الحلال و الحرام * و رسم الاحلال و الاحرام * كرّم الله محله * وكمّل الصلاة والسلام له * و رحم آله الكُرَماء * و اهله الرحماء * ما همر ركام * و هدر حمام * وسرح سوام * و سطا حُسام * اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء * و اكدحوا لمعادكم كدح الاصحاء * و اردعوا اهواءكم ردع الاعداء * و اعدّوا للرحلة وعداد السعداء * و ادّرعوا حلل الورع * و داوُوا علل الطمع * و سوّوا أَوَدَ العمل * و عاصوا وساوس الامل * و صوروا لاوهامكم حُؤُول الاحوال * و حلول الاهوال * و مسارّة الاعلال * و مصارمة المال و الآل * و ادّكروا الحمامَ و سكرة مصرعه * و الرمس و هول مطّلعه * و اللحد و وحدة مُودعه * و الملك و روعة سؤاله و مُطّلعه * و المحوا الدهر و لؤم كره * و سوء محاله و مكره * كم طمس معلما * و امرّ مطعما * و طحطح عرمرما * و دمّر ملكا مكرما * همه سك المسامع * و سح المدامع * و إكداء المطامع * و ارداء المسمع السامع * عمّ حكمه الملوك و الرعاع * و المسود و المطاع * و المحسود و الحُسّاد * و الاساود و الآساد * ما مؤمّل الآمال * رعكس الآمال * و لا وصل الا رصال * و كلم الارمال * و لا سرّ الا وساء * و لؤم و اساء * و لا اصحّ الا ولّد الداء * و روّع الاوداء * الله الله * رعاكم لله * الام مداومة اللهو * و مواصلة السهو * و طول الاصرار * و حمل الآصار * و اطّراحُ كلام الحكماء * و معاصاةُ إله السماء * اما الهرمُ حصادكم * و المدر مهادكم * و اما الحمام مُدركم * و الصراط مسلككم * اما

الساعةُ موعدكم * و الساهرة موردكم * اما اهوال الطامّة لكم
مُرصدة * اما دار العصاة الحُطمة الموصَدة * حارسهم مالك *
و وراءهم حالك * و طعامهم السموم * و هواءهم السموم * لا مال
اسعدهم و لا ولد * و لا عدد حماهم و لا عدد * الا رحِمَ الله امرأ ملَكَ
هواه * و أمَّ مسالك هُداه * و احكم طاعة مولاه * و كدَّ (†) لروح
مأواه * و عمل ما دام العمر مطاوعا * و الدهر موادعا * و الصحة
كاملة * و السلامة حاصلة * و الا دهمه عدمُ المرام * و حصَرُ الكلام *
و اِلمامُ الآلام * و حموم الحِمام * و هُدُوُّ الحواسّ * و مِراسُ
الأَرماس * آهًا لها حسرةً آلمها مؤكّد * و امدها سرمد * و ممارسها
مُكْمَد * ما لولَهِه حاسم * و لا لسدمه راحم * و لا له مما عراه
عاصم * الهمكم الله احمدَ الالهام * و ردَّاكم رداء الاكرام * و احلّكم
دارالسلام * و اسأله الرحمة لكم و لاهل ملة الاسلام * و هو اسمح
الكرام * و المسلم و السِّلام * قال الحارث بن همام فلما رأيت
الخطبة نخبةً بلا سقَط * و عروسا بغير نُقَط * دعاني الاعجاب بنمطها
العجيب * الى استجلاء وجه الخطيب * فاخذت اتوسّمه جدا *
و اُقلّب الطرف فيه مجدا * الى ان وضح لي بصدق العلامات * انه
شيخنا ذو المقامات * و لم يكن بُدٌّ من الصمت * في ذلك الوقت *
فامسكت حتى تحلل من النفل و الفرض * و حل الانتشار في
الارض * ثم واجهت تلقاءه * و ابتدرت لقاءه * فلما لحظني خفّ
في القيام * و احفى في الاكرام * ثم استصحبني الى داره * و اودعني
خصائص اسراره * و حين انتشر جناح الظلام * و حان ميقات
المنام * احضر اباريق المدام * معكومةً بالفِدام * فقلت اتحسوها

(†) - كدح *

امام الذوم * و انت امام القوم * فقال مه انا بالنهار خطيب * و فى الليل اطيب * فقلت و الله ما ادري أ اعجب من تسليك عن آناسك * و مسقط رأسك * ام من خطابتك مع آدناسك * و مدار كأسك * فأشاح بوجهه عني * ثم قال اسمع مني * نظم

لا تَبْك إلْفا نأى و لادارا * و دُر مع الدهر كيفما دارا
و اتخذ الناس كلهم سكناً * و مثِّل الارض كلهـا دارا
و اصبر على خُلق من تُعاشره * و داره فاللبيب من دارا
و لا تُضع فرصة السرور فما * تدري أ يوما تعيش ام دارا
و اعلم بان المنون جائلة * وقد ادارت على الورى دارا
و اقسمَتْ لا تزال قانصة * ما كرَّ عصرا المحيا و ما دارا
فكيف ترجى النجاة من شَرَك * لم ينجُ منه كسرى و لا دارا

قال فلما اعتورتنا الكُؤوس * و طربت النفوس * جرَّعني اليمين الغَموس * على ان احفَظ عليه الناموس * فاتبعت مَرامه * و رعيت ذِمامه * و نزَّلته بين الملاء منزلة الفُضيل * و سدلت الذيل على مخازى الليل * و لم يزل ذلك دأبه و دأبى * الى ان تهيا إيابي * فودّعته و هو مُصِرّ على التدليس * ومُسِرٌّ حسوَ الخندريس *

المقامة التاسعة والعشرون

الواسطية

حكى الحارث بن همام * قال الجاني حكم دهرٍ قاسط * الى ان انتجع ارضَ واسط * فقصدتها و انا لا اعرف بها سكنا * و لا املك فيها مسكنا * و لما حللتُها حلولَ الحوت بالبَيداء * و الشعرة

البيضاء في اللّمّة السوداء * فادني الحظُّ الناقص * و الجدُّ الناكص * الى خانٍ ينزله شُذّاذُ الآفاق * و اخلاطُ الرفاق * وهو لنظافة مكانه * و ظرافة سكانه * يرغّبُ الغريب في ايطانه * و ينسيه هوى اوطانه * فاستفردت منه بحجرة * و لم أنافس في اجرة * فما كان الا كلمح طرف * او خطّ حرف * حتى سمعتُ جاري بيتَ بيتَ * يقول لنزيله في البيت * قم يا بني لا قَعَدَ جدُّك * و لا قام ضِدُّك * و استصحبْ ذا الوجه البدري * و اللون الدُّرّي * و الاصل النقي * و الجسم الشقي * الذي قُبِض و نُشِر * وسُجِن و شُهِر * و سُقِي و فطِم * و أُدخل النار بعد ما لُطِم * ثم اركُضْ الى السُّوق * ركض المشوق * فقايض به اللاقح المُلقِح * المفسد المصلح * المُكمِد المفرّح * المعنّي المروّح * ذا الزفير المحرِّق * و الحنين المشرِّق * و اللفظ المُقنِع * والذَّيل المُمتع * الذي اذا طُرِق * رعَد و برِق * و باح بالحُرَق * و نفَث في الخرَق * قال فلما قرَتْ شِقشِقةُ الهادر * و لم يبقَ الأ صدر الصادر * بوز فتىً يَميس * و ما معه انيس * فرأيتها عُضلة تلعَبُ بالعقول * و تغري بالدخول في الفضول * فانطلقت في إِثر الغلام * لاخبُرَ فَحوى الكلام * فلم يزل يسعى سعي العفاريت * و يتفقد نضائد الحوانيت * حتى انتهى عند الرواح * الى حجارة القداح * فناول بائعها رغيفا * و تناول منه حجرا لطيفا * فعجبت من فطانة المرسِل والمرسَل * و علمت انها سروجية و ان لم اسل * و ما كذَبتُ ان بادرتُ الى الخان * مُنطلق العنان * لانظر كنه فهمي * و هل قرطَسَ في التكهن سهمي * فاذا انا في الفراسة فارس * و ابو زيد بوصيد الخان جالس * فتهادينا بُشرى الالتقاء * و تقارضنا تحية

الاصدقاء * ثم قال ما الذي نابك * حتى زايلتَ جنابك * فقلت دهرٌ هاض * و جور فاض * فقال و الذي انزل المطَر من الغمام * و اخرج الثمرَ من الاكمام * لقد فسد الزمان * و عم العُدوان * و عُدم المِعوان * و الله المستعان * فكيف افلتَّ * و على اي وصفيك اجفلت * فقلت اتّخذت الليل قميصا * و ادلجت فيه خميصا * فاطرق ينكُتُ في الارض * و يفكر في ارتياد القرض و الفرض * ثم اهتزّ هزّةً من اكثبه قنَص * او بدت له فُرص * و قال قد علق بقلبي ان تصاهر من ياسو جراحك * و يريش جناحك * فقلت و كيف اجمع بين غُلٍّ وقُلٍّ * و من الذي يرغب في ضُلِّ ابن ضُلّ * فقال انا المشير بك و اليك * و الوكيل لك و عليك * مع ان دين القوم جبرُ الكسير * و فكُّ الاسير * و احترام العشير * و استنصاح المشير * الا انهم لو خطَب اليهم ابراهيمُ بنُ ادهم * او جَبَلة بن الاَيْهم * لما زوجوه الا على خمس مائة درهم * اقتداء بما مَهَر الرسول زوجاته * و عقد به انكحَةَ بناته * على انك لن تُطالَب بصَداق * و لن تُلجأ الى طلاق * ثم انى ساخطُبُ في موقف عقدك * و مجمع حَشْدك * خطبةً لم تفتُق رتق سمع * و لا خُطِب بمثلها في جمع * قال الحارث بن همام * فازدهاني بوصف الخُطبة المتلوة * دون الخطبة المجلوة * حتى قلت له قد وكلت اليك هذا الخَطْب * فدبره تدبير من طبّ لمن حب * فنهض مُهرولا * ثم عاد متهللا * و قال ابشر باعتاب الدهر * و احتلاب الدر * فقد ولّيتُ العقد * و اكفلتُ النقد * و كانْ قدْ * ثم اخذ في مُواعَدة اهل الخان * و اعداد حلواء الخوان * فلما مدّ الليل اطنابه * و اغلق كلُّ ذي باب بابه * اذّن في الجماعة * الا احضروا في هذه

الساعة * فلم يبق فيهم الا من لبى صوته * و حضر بيته * فلما اصطفوا لديه * واجتمع الشاهد والمشهود عليه * جعل يرفع الاصطرلاب ويضعه * و يلحظ التقويم و يدعه * الى ان نعس القوم * و غشي النوم * فقلت له يا هذا ضع الفاس في الراس * و خلص الناس * فنظر نظرة في النجوم * ثم انتشط من عقلة الوجوم * و اقسم بالطور * والكتاب المسطور * لينكشفن سر هذا الامر المستور * و لينتشرن ذكره الى يوم النشور * ثم انه جثى على ركبته * و استرعى الاسماع لخطبته * و قال الحمد لله الملك المحمود * المالك الودود * مصور كل مولود * و مآل كل مطرود * ساطح المهاد * و موطد الاطواد * و مرسل الامطار * و مسهل الاوطار * عالم الاسرار و مدركها * و مدمر الاملاك و مهلكها * و مكور الدهور و مكررها * و مورد الامور و مصدرها * عم سماحه و كمل * و هطل ركامه و همل * و طاوع السؤل و الامل * و اوسع المرمل * و الارمل * احمده حمدا ممدودا مداه * و اوحده كما وحده الاواه * و هو الله لا اله للامم سواه * و لا صادع لما عدله و سواه * ارسل محمدا علما للاسلام * و اماما للحكام * و مسددا للرعاع * و معطلا احكام ود و سواع * اعلم و علم * و حكم و احكم * و اصل الاصول و مهد * و اكد الوعود و اوعد * واصل الله له الاكرام * و اودع روحه دار السلام * و رحم آله و اهله الكرام * ما لمع آل * و ملع رال * و طلع هلال * و سمع اهلال * اعملوا رعاكم الله اصلح الاعمال * و اسلكوا مسالك الحلال * و اطرحوا الحرام و دعوه * و اسمعوا امر الله و عوه * و صلوا الارحام و راعوها * و عاصوا الاهواء و اردعوها * و صاهروا لحم الصلاح و الورع * و صارموا رهط اللهو و الطمع * و مصاهركم اطهر الاحرار مولدا * و اسراهم سوددا * و احلاهم موردا *

و اصحّتم موددا * وها هو أمّكم * و حلّ حريمكم * مُملكا عروسكم المكرّمة * و ماهرا لها كما مهر الرسولُ أمّ سلمة * و هو اكرم صهرٍ اودع الاولاد * و مُملّك ما اراد * و ما سّها مُملكه و لا وهم * و لا وكِس مُلاحمهُ و لا وُصِم * اسأل الله لكم احماد وصاله * و دوام إسعاده * و الهم كلًّا اصلاح حاله * و الاعداد لمعاده * و له الحمد السرمد * والمدح لرسوله محمد * فلما فرغ من خطبته البديعة النظام * العرّية من الاعجام * عقَد العقد على الخمس المئين * و قال بالرفاء و البنين * ثم احضر الحلواء التي كان اعدها * ابدي الآبدة عندها * فاقبلتُ اقبال الجماعة عليها * و كدت أهوي بيدي اليها * فزجرني عن المواكلة * و انهضني للمناولة * فوالله ما كان باسرع من تصافح الاجفان * حتى خرَّ القومُ للاذقان * فلما رأيتهم كاعجار نخلٍ خاوية * او صرعى بنت خابية * علمت انها احدى الكُبر * و ام العبر * فقلت له ياعُدَيَّ نفسه * و عُبيد فلسه * اعددتَ للقوم حاوي * ام باوي * فقال لم اعد خبيص(§) البنج * في صحاف الخلنج * فقلت أقسم بمن اطلعها زُهرا * و هدى بها السارين طُرًّا * لقد جئت شيأً نُكرا * و ابقيت لك في المُخزيات ذكرا * ثم حرت فكرةً في صَيُّور امره * وخيفةً من عَدوى عرّه * حتى طارت نفسي شَعاعا * و أُرعدت فرائصي ارتياعا * فلما رأي اسطارة فرقي * و استشاطة قلقي * قال ما هذا الفكر المُرمض * و الرّوع المومض * فان يكن فكرك في اجلي * من اجلي * فانا الان ارتع و اطفر * و أقوي هذه البقعة مني و اقفر * وكم مثلها فارقتُها وهي تصفِر * و ان يكن نظرا لنفسك * و حذرا من حبسك * فتناوَلْ فضالة الخبيص * و طب نفسا عن القميص *

(§) لم اعد الا خبيص *

حتى تأمن المُستعدي و المُعدي * و يتمهَّد لك المقامُ بعدي *
و الا فالفرار المفر * قبل ان تُسحَب و تُجرّ * ثم عمد لاستخراج ما
في البيوت * من الاكياس و التخوت * و جعل يستخلص خالصة
كل مخزون * و نخبة كل مذروع و موزون * حتى غادرما النفاه
فحُه * كعظم استخرج مُخّه * فلما همَّ ما اصطفاه و رزَّم * و شمر
عن ذراعيه و تحزَّم * اقبل عليَّ اقبال من لبس الصفاقة * و خلع
الصداقة * و قال هل لك في المصاحبة الي البطيحة * لاصلك
باخرى مليحة * فاقسمت بالذي جعله مباركا اينما كان * و
لم يجعله ممن خان في خان * انه لا قبل لي بنكاح حرتين * و معاشرة
ضرَّتين * ثم قلت له قولَ المتطبِّع بطباعه * المكايل له بصاعه *
قد كفتني الاولى فخرا * فاطلُب آخر الأخرى * فتبسم من كلامي *
و دلف لالتزامي * فلويتُ عنه عذاري * و ابديت له ازوراري *
فلما بصُر بانقباضي * و تجلَّى له اعراضي * انشد * نظم

يا صارفا عني المودةَ و الزمانُ له صُروفْ
و مُعنِّفي في فضحِ من * جاورتُ تعنيفَ العَسوفْ
لا تلحني فيما اتيتُ فانني بهمُ عَروفْ
و لقد نزلت بهم فلم * ارهم يراعون الضُيوفْ
و بلوتُهم فوجدتهم * لما سبكتهُمُ زُيوفْ
ما فيهمُ الا مخيف ان تمكّن او مخوفْ
لا بالصفي و لا الوفي * و لا الحفيّ و لا العَطوفْ
فوثبت فيهم وثبة الذئب الضري على الخَروفْ
و تركتهم صرعى كأنهم سقوا كاس الحُتوفْ
و تحكمت فيما اقتنو * ه يدي وهم رُغم الأنوفْ

ثم انثنيت بمغذم * حلو المجاني و القطوف
و لطالما خلفت مكلوم الحشا خلفي يطوف
و وترت ارباب الارا * ئك والارائك والشجوف
و لكم بلغت بحيلتي * ما ليس يبلغ بالسيوف
و وقفت في هول ترا * ع الاسد فيه من الوقوف
و لكم سفكت و كم فتكت وكم هتكت حمى انوف
و كم ارتكاض موبق * لي في الذنوب وكم خفوف
لكنني اعددت حسن الظن بالمولي الرؤف

قال فلما انتهى الى هذا البيت لج في الاستعبار * و الظ بالاستغفار * حتى استمال رضا قلبي المنحرف * و رجوت له ما يرجى للمقترف المعترف * ثم انه غيض دمعه المنهل * و تأبط جرابه و انسل * و قال لابنه احتمل الباقي * و الله الواقي * قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت انسياب الحية * و الاحجية * و انتهاء الداء لى الكية * علمت ان تربثي بالخان * مجلبة للهوان * فضممت رحيلي * و جمعت للرحلة ذيلي * و بت ليلتي اسري الى الطيب * و احتسب الله على الخطيب *

المقامة الثلثون الصورية

حكى الحارث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور * الى بلدة صور * فلما حصلت بها ذا رفعة و خفض * و مالك رفع و خفض * تقت الى مصر توقان السقيم الى الاساة * و الكريم الى المواساة * فرفضت علائق الاستقامة * و نفضت عوائق الاقامة * و اعرورريت ظهر ابن النعامة * و اجفلت نحوها اجفال النعامة * فلما دخلتها بعد

معاناة الاينّ * و مداناة الحين * كلفت بها كلف النشوان بالاصطباح * والحيران بتنفس الصباح * فبينما انا يوما بها اطوف * وتحتي فرس قطوف * اذ رأيت على جرد من الخيل * عصبة كمصابيح الليل * فسألت لانتجاع النزهة * عن العصبة و الوجهة * فقيل اما القوم فشهود * و اما المقصد فاملاك مشهود * فحدتني ميعة النشاط * على ان سرت مع الفراط * لافوز بحلاوة اللقاط * و احوز حلواء السماط * فانضينا بعد مكابدة العذاء * الى دار رفيعة البناء * وسيعة الفناء * تشهد لبانيها بالثراء والسناء * فلما نزلنا عن صهوات الخيول * قدمنا الاقدام للدخول * رأيت دهليزها سجلا باطمار مخرقة * و مكللا بمخارف معلقة * و هناك شخص على قطيفة * فوق دكة لطيفة فرابني * عنوان الصحيفة * و مرأى هذه الطريفة * و دعاني التطير بتلك المناحس * الى ان عمدت لذلك الجالس * فعزمت عليه بمصرف الاقدار * ليعرفني من رب هذه الدار * فقال ما لها مالك معين * ولا صاحب مبين * انما هو مصطبة المقيفين و المدروزين * و ربيجة المشقشقين و المجاوزين * فقلت في نفسي انا لله على ضلة المسعى * و امحال المرعى * و هممت في الحال بالرجعى * لكني استهجنت العود من فوري * والقهقهرة دون غيري * فولجت الدار متجرعا الغصص * كما يلج العصفور القفص * فاذا فيها ارائك منقوشة * و طنافس مفروشة * و نمارق مصفوفة * وسجوف مرصوفة * و قد اقبل المملك يميس في بردته * ويتبهنس بين حفدته * فحين جلس كانه ابن ماء السماء * نادى مناد من قبل الاحماء * و حرمة ساسان استاذ الاستاذين * و قدوة الشحاذين * لا عقد هذا العقد المبجل * في هذا اليوم الاغر

المعجّل * الا الذي جال و جاب * و شبّ في الكُدْية و شابَ * فاعجب رهط الصّهر ما اشاروا اليه * و آذنوا في احضار المنصوص عليه * فبرز حينئذ شيخ قد امال الملوان قامته * و نوّر القتيان ثغامته * فتباشرت الجماعة باقباله * و تبادرت الى استقباله * فلما جلس على زربيّته * و سكنت الضوضاء لهيبته * ازدلف الى مسنده * و مسح سبلته بيده * ثم قال الحمد لله المبتدئ بالافضال * المبتدع للنوال * المتقرّب اليه بالسؤال * المؤمّل لتحقيق الامال * الذي شرع الزكاة في الاموال * و زجر عن نهر السُّوّال * و ندب الى مواساة المضطر * و امر باطعام القانع و المعترّ * و وصف عباده المقرّبين * في كتابه المبين * فقال وهو اصدق القائلين * و الذين في اموالهم حق معلوم * للسائل و المحروم * احمده على ما رزق من طُعمةٍ هنيّة * و اعوذ به من استماع دعوة بلا نية * و اشهد ان لا اله الا الله وحده * لاشريك له * إلهٌ يجزي المتصدّقين و المتصدقات * و يمحق الرّبا ويُربي الصدقات * و اشهد ان محمدا عبده الرحيم * و رسوله الكريم * ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء * و ينتصف الفقراء من الاغنياء * فرفق صلى الله عليه و سلم بالمسكين * و خفض جناحه للمستكين * و فرض الحقوق في اموال المُثرين * و بيّن ما يجب للمقلّين على المكثرين * صلى الله عليه صلاة تحظيه بالزُّلفة * و على اصفيائه اهل الصُّفّة * اما بعد فان الله تعالى شرع النكاح لتعفّفوا * و سن التناسل لكي تتضاعفوا * فقال سبحانه لتعرفّوا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكَر و أنثى و جعلناكم شُعوبا و قبائل لتعارفوا * و هذا ابو الدُّرّاج * ولّاج بن خرّاج * ذو الوجه الوقاح * و الافك الصُّراح * و الهرير و

الصياح * و الابرام والالحاح * يخطب سليطة اهلها * و شريطة بعلها * قنبس * بنت ابي العنبس * لما بلغه من التحافها بالحافها * و اسرافها في اسفافها * و انكماشها على معاشها * و انتعاشها عند هواشها * و قد بذل لها من الصداق شلاقا وعكازا * و صقاعا و كرازا * فانكحوه انكاح مثله * و صلوا حبلكم بحبله * و ان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله * اقول قولي هذا و استغفر الله العظيم لي و لكم * و اساله ان يكثر في المصاطب نسلكم * و يحرس من المعاطب شملكم * فلما فرغ الشيخ من خطبته * و ابرم للختن عقد خطبته * تساقط من الدثار * ما استغرق حد الاكثار * و اغرى الشحيح بالايثار * ثم نهض الشيخ يسحب ذلاذله * و يقدم اراذله * قال الحارث بن همام فتبعته لانظر عرجة القوم * واكمل بهجة اليوم * فعاج بهم الى سماط زينته طهاته * و تناصفت في الحسن جهاته * فحين ربع كل شخص في ربضته * و طفق يرتع في روضته * انسللت من الصف * و فررت من الزحف * فحانت من الشيخ لفتة الي * و نظرة هجم بها طرفه علي * فقال الى اين يا برم * هلا عاشرت معاشرة من فيه كرم * فقلت و الذي خلقها طباقا * و طبقها اشراقا * لا ذقت لماقا * و لا لست رقاقا * او تخبرني اين مدب صباك * و من اين مهب صباك * فتنفس الصعداء مرارا * و ارسل البكاء مدرارا * حتى اذا استنزف الدمع * و استنصت الجمع * قال لي ارعني السمع * نظم

مسقط الرأس سروج * و بها كنت اموج
بلدة يوجد فيها * كل شيء و يروج
ورد ها من سلسبيل * و صحاريها مروج

و بنوها و مَغَانيهم * نجوم و بُروجُ
حبذا نفحة ريّا * ها و مرآها البهيجُ
و ازاهير رباها * حين تنجاب الثلوجُ
من رآها قال مرسى * جنة الدنيا سروجُ
و لمن ينزاحُ عنها * زَفرات و نشيجُ
مثلَ ما لاقيتُ مذ زحْزحني عنها العُلوجُ
عبرة تَهْمي و شَجْو * كلما قَرَّ يهيجُ
و هموم كل يوم * خطبها خطب مريجُ
و مساع في الترجّي * قاصراتُ الخطو عُوجُ
ليت يومي حُمَّ لَمَّا * حُمَّ لي منها الخروجُ

قال فلما بيَّن بلده * و وَعَيتُ ما انشده * ايقنت انه علامتنا ابو زيد * و ان كان الهرم قد اوثقه بقيد * فبادرت الى مُصافحته * و اغتنمت مواكلته من صحفته * و ظلت مدة مقامي بمصر اعشو الى شُواظه * و احشو صدفتي من دُرر الفاظه * الى ان نعب بيننا غراب البين * ففارقته مفارقة الجفن للعين *

المقامة الحادية و الثلثون الرمليه

حدث الحارث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب * و ريْعان العيش اللّباب * اقالي الاكتنان بالغاب * آهوى الاندلاق من القراب * لعلمي أن السَّفر * ينفج السُّفر * و يُنتج الظفر * و معاقرة الوطن * تعفر الفطن * و تحقر من قطن * فاجلت قِداح الاستشارة * و اقتدحت زِناد الاستخارة * ثم استجْشَت جاشا اثبت من الحجارة * و اصعدت الى ساحل الشام للتجارة * فلما خيَّمت

بالرملة * و القيت بها عصا الرحلة * صادفت بها ركابا تُعَدُّ للسُّرى * و رحالا تُشَدُّ الى أمّ القرى * فعصفت بي ريح الغَرام * و اهتاجَ لي شوق الى البيت الحرام * فزمَّمْتُ ناقتي * و نَبَذتُ عُلَقي و علاقتي * نظم

و قلت للائمي اَقْصِرْ فاني * ساختارُ المقام على المقام

و أنفق ما جمعت بارض جمع * و أسلو بالحطيم عن الحُطام

ثم انتظمتُ مع رُفقة كنجوم الليل * لهم في السير جرية السيل * و الى الخير جري الخيل * فلم نزل بين ادلاج و تأويب * و ايجاف و تقريب * الى أن حبتنا أيدي المطايا بالتحفة * في ايصالنا الى الجحفة * فحللناها متاهبين للاحرام * متباشرين بادراك المرام * فلم يكُ الا ان انخنا الركائب * و حططنا الحقائب * حتى طلَع علينا من بين الهضاب * شخص ضاحي الاهاب * و هو يُنادي * يا اهل ذا النادي * هلُمَّ الى ما ينجي يوم التنادي * فانخرط اليه الحجيج و انصلتوا * و احتفوا به و انصتوا * فلما رأى تأنفهم حوله * واستطاعهم(†) قوله * تسنَّم احدى الاكام * ثم تنحنح مُستفتحا للكلام * و قال يا معشر الحُجّاج * الناسلين من الفجاج * اتعقلون ما تُواجهون * و الى من تتوجّهون * ام تدرون على مَنْ تقدَمون * و عَلامَ تُقدمون * اتخالون ان الحجَّ هو اختيار الرّواحل * وقطع المَراحل * و اتخاذُ المَحامل * و ايقار الزوامل * ام تظنون ان النُّسُك هو نضو الأرْدان * و انضاءُ الابدان * و مفارقة الولدان * و التنائي عن البُلدان * كلّا والله بل هو اجتناب الخطيئة * قبل اجتلاب المَطيّة * و اخلاص النيّة * في قصد

(†) استعظامهم *

تلك البنية * و امحاض الطاعة * عند وجدان الاستطاعة * و اصلاح المعاملات * امام اعمال اليعملات * فو الذي شرع المناسك * للناسك * و ارشد السالك * في الليل الحالك * ما ينقي الاغتسال بالذنوب * من الانغماس في الذنوب * و لا تعدل تعرية الاجسام * بتعبية الاجرام * و لا تغني لبسة الاحرام * عن المتلبس بالحرام * و لا ينفع الاضطباع بالازار * مع الاضطلاع بالاوزار * و لا يجدي التقرب بالحلق * مع التقلب في ظلم الخلق * و لا يرحض التنسك بالتقصير * درن التمسك بالتقصير * و لا يسعد بعرفة * غير اهل المعرفة * و لا يزكو بالخيف * من يرغب في الحيف * و لا يشهد المقام * الا من استقام * و لا يحظى بقبول الحجة * من زاغ عن المحجة * فرحم الله امرأ صفا * قبل مسعاه الى الصفا * و ورد شريعة الرضا * قبل شروعه في الاضا * و نزع عن تلبيسه * قبل نزع ملبوسه * و فاض بمعروفه * قبل الافاضة من تعريفه * ثم رفع عقيرته بصوت اسمع الصم * و كاد يزعزع الجبال الشم * و انشد * نظم

ما الحج سيرك تأويبا و ادلاجا * و لا اعتيامك اجمالا و احداجا
الحج ان تقصد البيت الحرام على * تجريدك الحج لا تقضي به حاجا
و تمتطي كاهل الانصاف متخذا * ردع الهوى هاديا و الحق منهاجا
و ان تواسي ما اوتيت مقدرة * من مد كفا الى جدواك محتاجا
فهذه ان حوتها حجة كملت * و ان خلا الحج منها كان اخداجا
حسب المرائين غبنا انهم غرسوا * و ما جنوا و لقوا كدا و ازعاجا
و انهم حرموا اجرا و محمدة * و الحموا عرضهم من غاب او هاجا
اخي فابغ بما تبديه من قرب * وجه المهيمن ولاجا و خراجا
فليس تخفى على الرحمن خافية * ان اخلص العبد في الطاعات او داجا

و بادر الموت بالحسنى تقدمها * فما يُنَهْنِهُهُ داعي الموت ان فاجا
و اقنَ التواضعَ خلقــا لا تزايله * عنك الليالي ولو البسنك التاجا
و لا تشمْ كلَّ حال لاح بارقه * و لو ترآءى هتون السكب ثجّاجا
ما كل داع باهل ان يُصاخ له * كم قد اصمَّ بنعي بعض من ناجا
و ما المشيب سوى من بات مقتنعا * ببلغة يُدرج الايام ادراجا
فكل كثرٍ الى قلٍّ مغبّتــهُ * و كل نازٍ الى لين و انْ هاجا

قال الراوي فلما القح عقم الافهام * بسحر الكلام * استروحت ريحَ ابي زيد * و ماد بيَ الارتياح اليه ايَّ ميد * فمكثت حتى استوعبَ نثَّ حكمته * و انحدرَ من اكَمته * ثم دلفتُ اليه لانصفح صفحات محيّاه * و استشفَّ جوهرَ حلاه * فاذا هو الضالة التي انشُدها * و ناظم القلائد اللاتي انشدُها * فعانقته عناقَ اللام للالف * ونزّلته منزلة البرء عند الدنف * و سألته ان يلازمني فابى * او يزاملني فنبا * و قال آليت في حجّتي هذه ان لا احتقب * و لا اعتقب * و لا اكتسب * و لا انتسب * و لا ارتفق * و لا أرافق * و لا آوافق * من يُنافق * ثم ذهب يُهرول * و غادرني اُولوِل * فلم ازل اقربه نظري * و اودّ لو يمشي على ناظري * حتى توقّل احدَ الاطواد * و وقف للحجيج بالمرصاد * فحين شاهد ايضاع الرُكبان * في الكثبان * وقّع بالبَنان * على البنَان * و اندفع ينشد * نظم

ليس مَنْ زار راكبا * مثلَ ساعٍ على القدمْ
لا و لا خادم اطا * ع كعاصٍ من الخَدمْ
كيف يا قوم يستـوي * سعيُ بانٍ و من هدمْ
سيُقيـم المفـرّطو * ن غدا مأتم النـدمْ
و يقـول الذي تقـرَّ * ب طوبى لمـن خدمْ

ويك يا نفس قدمي * صالحا عند ذي القدم
وازدري زخرف الحيا * ة فموجوده عدم
واذكري مصرع الحما * م اذا خطبه صدم
واندبي فعلك القبيـ * ـح وسحي له بدم
وادبغيه بتوبة * قبل ان يحلم الادم
فعسى الله ان يقيـ * ـك المصير الذي احتدم
يوم لا عثرة تقا * ل ولا ينفع الندم

ثم انه اغمد عضب لسانه * وانطلق لشانه * فما زلت في كل مورد نرده * ومعرس نتوسده * اتفقده فافتقده * واستنجد بمن ينشده فلا يجده * حتى خلت ان الجن اختطفته * والارض انتطفته * فما كابدت في الغربة * كهذه الكربة * ولا منيت في سفرة * بمثلها من زفرة *

المقامة الثانية والثلثون الحربية

حكى الحارث بن همام * قال اجمعت حين قضيت مناسك الحج * واقمت وظائف النحر والثج * ان اقصد طيبة * مع رفقة من بني شيبة * لازور قبر المصطفى * واخرج من قبيل من حج وجفا * فارجف بان المسالك شاغرة * وعرب الحرمين متشاجرة * فحرت بين اشفاق يثبطني * واشواق ينشطني * الى ان ألقي في روعي الاستسلام * وتغليب زيارة قبره عليه السلام * فاعتمت القعدة * واعددت العدة * وسرت والرفقة لا تلوي على عرجة * ولا تني في دلجة * حتى وافينا بني حرب * وقد آبوا من حرب * فارمعنا ان نقضي ذلك اليوم * في حلة القوم * وبينما نحن نتخير

المَناخ * و نرود الورد النُّقاخ * اذ رأيناهم يركضون * كأنهم الى نصب يُوفضون * فرابنا انثيالهم * و سألنا ما بالهم * فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب * فاهرعهم لهذا السبب * فقلت لرفقتي الا نشهد مجمع الحيّ * لَنتبيَّن الرشد من الغيّ * فقالوا لقد اسمعت اذ دعوتَ * و نصحتَ و ما الوتَ * ثم نهضنا نتّبع الهادي * و نؤمّ النادي * حتى اذا اظللنا عليه * و استشرفنا الفقيه المنهودَ اليه * الفيناه ابا زيد ذا الشُّقَر و البُقَر * و الفواقر والفقَر * وقد اعتم القفداء * و اشتمل الصمّاء * و قعد القُرفصاء * و أعيانُ الحي به مُحتفّون * و اخلاطهم عليه مُلتفّون * و هو يقول سلوني عن المُعضلات * واستوضحوا مني المشكلات * فوالذي فطَر السماء * و علّم آدم الاسماء * اني لَفقيه العرب العَرْباء * و اعلم مَنْ تحت الجَرْباء * فصمَد له فتىً فتيق اللسان * جريُّ الجَنان * و قال انّي حاضرت فقهاء الدنيا * حتى انتخلتُ منهم مائة فُتيا * فان كنتَ ممن يرغب عن بنات غير * و يرغب منا في مَيْر * فاستمع و أجبْ * لتُقابَل بما يجب * فقال الله اكبر * سيبين المخبر * و ينكشف المُضمر * فاصدعْ بما تؤمَر *

قال ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهْرَ نعله * قال انتقض وضوءه بفعْله * النعل الزوجة * قال فان توضأ ثم اتكأه البرد * قال يُجدد الوضوء من بعد * البرد النوم * قال ايمسح المتوضي أنثَيَيْه * قال قد نُدب اليه و لم يجب عليه * الانثيان الأُذُنان * قال ا يجوز الوضوءُ مما يقذفه الثعبان * قال و هل انظف منه للعُرْيان * الثعبان جمع ثَعب و هو مَسيل الوادي * قال ايُستباح ماء الضرير * قال نعم و يُجتنب ماء البصير * الضرير حرف الوادي و البصير الكلب *

قال أ يحل الطوف في الربيع * قال يكره ذلك للحدث الشنيع * الطوف التغوط و الربيع النهر الصغير * قال أ يجب الغسل على من أمذى * قال لا و لو تذى * امذى نزل منيٌّ * يقال منه مذى و امذى و امتذى * قال فهل يجب على الجنب غسل فروته * قال اجل و غسل إبرته * الفروة جلد الرأس و الابرة عظم المرفق * قال فان اخل بغسل فأسه * قال هو كما لو الغى غسل رأسه * الفأس العظم المشرف على نقرة القفا * قال ما تقول فيمن تيمم ثم رأى روضا * قال بطل تيممه فليتوضأ * الروض ههنا جمع روضة و هي الصبابة تبقى في الحوض * قال أ يجوز ان يسجد الرجل في العذرة * قال نعم و ليجانب القذرة * العذرة فناء الدار * قال فهل له السجود على الخلاف * قال لا و لا على احد الاطراف * الخلاف الكم * قال فان سجد على شماله * قال لا بأس بفعاله * الشمال جمع شملة * قال فهل يجوز السجود على الكراع * قال نعم دون الذراع * الكراع ما استطال من الحرة * قال أ يصلي على رأس الكلب * قال نعم كسائر الهضب * رأس الكلب ثنية معروفة * قال ما تقول فيمن صلى و عانته بارزة * قال صلاته جائزة * العانة الجماعة من حمر الوحش * قال فان صلى و عليه صوم * قال يعيد و لو صلى مائة يوم * الصوم ذرق النعام * قال فان حمل جروا و صلى * قال هو كما لو حمل باقلى * الجرو الصغار من القثاء و الرمان * قال أ تصح صلاة حامل القروة * قال لا و لو صلى فوق المروة * القروة ميلغة الكلب * قال فان قطر على ثوب المصلي نجو * قال يمضي في صلاته و لا غرو * النجو السحاب الذي قد هراق ماءه * قال أ يجوز ان يؤم الرجال مقنع * قال نعم و مدرع * المقنع لابس المغفر و المدرع لابس الدرع *

قال فان أمّهم مَن في يده وقف * قال يُعيدون و لو انهم الف * الوقف السوار من العاج او الذَّبل * و اراد به انه لا يجوز للرجال الايتمامُ بالنساء * قال فان أمَّهم مَنْ فخذه بادية * قال صلاته وصلاتهم ماضية * الفخذ العشيرة و بادية يسكنون البَدْو و اختار بعضهم تسكين الخاء من هذه الفخذ ليحصل الفرق بينها و بين الفخذ من الاعضاء * قال فان امّهم الثور الاجمّ * قال صَلِّ و خلاك ذمٌّ * الثور السيد و الاجم الذي لا رمح معه * قال ايدخُل العصرُ في صلاة الشاهد * قال لا و الغائب الشاهد * صلاةُ الشاهد صلاة المغرب سميت بذلك لاقامتها عند طلوع النجم لان النجم يسمى الشاهد * قال أ يجوز للمعذور ان يُفطر في شهر رَمَضان * قال ما رُخِّص فيه الا للصبيان * المعذور المختون و هو ايضا المُعذَر * قال فهل للمُعرِّس ان ياكل فيه * قال نعم بملإِ فيه * المُعرِّس المسافر الذي ينزِل في آخر الليلة ليستريح ثم يرتحل * قال فان افطر فيه العُراة * قال لاتُذكر عليهم الوُلاة * العراة الذين تاخذهم العرواء و هي الحُمّى برعدة * قال فان اكل الصائم بعد ما اصبح * قال هو احوط له و اصلح * اصبح اى استصبح بالمصباح * قال فان عمد لانْ اكل ليلا * قال ليشمّر للقضاء ذيلا * الليل ولد الحبارى و قيل هو ولد الكروان (؟) قال فان اكل قبل ان تتوارى البيضاء * قال يلزمه و الله القضاء * البيضاء من اسماء الشمس * قال فان استثار الصائمُ الكيد * قال افطرَ و من احلَّ الصيد * الكيد القيءُ و استثاره استدعاه * قال أ له ان يُفطر بالحاج الطابخ * قال نعم لا بطاهى المطابخ * الطابخ الحُمّى الصالب * قال فان ضحكت المرأة في صومها * قال بطلَ صوم يومها * ضحكت

(؟) الليل الانثى من فرخ الحبارى على ما ذكره ابن دريد و قيل هو ولد الكروان و النهار ولد الحبارى •

فهذا اي حاضت و منه قوله تعالى فضحكت فبشّرناها باسحاق * قال فان ظهر الجدريّ على غرتها * قال تفطر ان آذن بمضرتها * الضرة اصل الابهام و اصل الثدي ايضا * قال ما يجب في مائة مصباح * قال حقتان يا صاح * المصباح الناقة التي تصبح في المبرك * قال فان ملك عشر خناجر * قال يخرج شاتين ولا يشاجر * الخناجر النوق الغزار واحدتها خنجر و خنجور * قال فان سمح للساعي بحميمته * قال يا بشرى له يوم قيامته * الساعي جابي الصدقة و الحميمة خيار المال * قال ا يستحق حملة الاوزار من الزكاة جزءا * قال نعم اذا كانوا غزّى * الاوزار السلاح و غزّى جمع غاز * قال ا يجوز للحاج ان يعتمر * قال لا ولا ان يختمر * الاعتمار لبس العمارة و هي العمامة * و الاختمار لبس الخمار * قال فهل له ان يقتل الشجاع * قال نعم كما يقتل السباع * الشجاع الحية * قال فان قتل زمارة في الحرم * قال عليه بدنة من النعم * الزمارة النعامة و اسم صوتها الزمار * قال فان رمى ساق حر بجداه * قال يخرج شاة بدله * ساق حر ذكر القماري * قال فان قتل امّ عوف بعد الاحرام * قال يتصدق بقبضة من طعام * ام عوف الجرادة * قال ا يجب على الحاج استصحاب القارب * قال نعم ليسوقهم الى المشارب * الحاج اسم للجمع و الواحد و القارب طالب الماء بالليل * قال ما تقول في الحرام بعد السبت * قال قد حل في ذاك الوقت * الحرام المحرم و السبت حلق الرأس و حل من تحليل الحج * قال ما تقول في بيع الكميت * قال حرام كبيع الميت * الكميت الخمر * قال ا يجوز بيع الخل بلحم الجمل * قال لا و لا بلحم الحمل * الخل ابن المخاض و لا يحل بيع اللحم بالحيوان

سواء كان من جنسه او من غير جنسه * قال أيحلّ بيع الهديّة *
قال لا ولا بيع السبيّة * الهديّة بالتشديد ما يُهدى الى الكعبة و يقال
فيها هَدْية بتسكين الدال و تخفيف الياء و السبيّة الخمر * قال
ما تقول في بيع العقيقة * قال محظور على الحقيقة * العقيقة ما
يذبح عن المولود في اليوم السابع من ولادته * قال أيجوز بيع
الداعي على الراعي * قال لا ولا على الساعي * الداعي بقية
اللبن في الضرع و الساعي جابي الصدقة * قال أيباع الصقر
بالتمر * قال لا ومالك الخلق و الامر * الصقر الدِبس * قال
أيَشْتري المسلمُ سَلَب المسلمات * قال نعم و يُورث عنه اذا مات *
السَلَبُ لِحاءُ الشجر وهو ايضا خُوص الثُمام * قال فهل يجوز
ان يُبتاع الشافع * قال ما لجوازه من دافع * الشافع الشاة التي معها
سَخْلها * قال أيُباع الابريق على بني الاصفر * قال يكره كبيع
المِغفر * الابريق السيف الصقيل الكثير الماء و بنو الاصفر الروم *
قال أيجوز ان يبيع الرجل صَيفيّه * قال لا ولكن ليبع صَفيّه *
الصيفيُّ الولد على الكبَر * و الصفيُّ الناقة الغزيرة الدرّ * قال
فان اشترى عبدا فبان بأمّه جراح * قال ما في ردّه جُناح * الأمّ
مجتَمَع الدماغ * قال أتثبت الشُفعة للشريك في الصحراء * قال
لا ولا للشريك في الصفراء * الصحراء الاتان التي تُمازج بياضَها
غُبرة * قال أيحلّ ان يُحمى ماء البذر و الخلا * قال ان كانا في الفلا
فلا * يُحمى يمنع و الخلا الكلأ * قال ما تقول في ميتة الكافر * قال
حِلّ للمقيم و المسافر * الكافر البحر و ميتته السمك الطافي فوق
مائه * قال أيجوز ان يُضحّى بالحُول * قال هو أجْدَر بالقبول *
الحول جمع حائل * قال فهل يُضحّى بالطالق * قال نعم و يقري

منها الطارق * الطالق الناقة تُرسَل تَرعى حيث شاءت * قال فان ضحّى قبل ظهور الغزالة * قال شاة لحم بلا مُحالة * الغزالةُ الشمس و قال بعضهم يقال طلَعَت الغزالة و لا يقال غربت * قال ايحل الكسب بالطَّرْق * قال هو كالقمار بلا فرق * الطرق الضرب بالحصى و هو من افعال الكهنة * قال ايُسلِّم القائم على القاعد * قال محظور فيما بين الاباعد * القاعد التي قعدت عن الحيض و عن الازواج * قال اينام العاقل تحت الرقيع * قال أُحْبِبْ به فى البقيع * الرقيع السماء و عنى بالبقيع بقيعَ المدينة * قال ايمنَع الذمّيُّ من قتل العجوز * قال معارضته فى العجوز لا تجوز * العجوز الخمر و قتلها مَزْجها * قال ا يجوز ان ينتقل الرجل عن عمارة ابيه * قال ما جُوِّز لخامل و لا نبيه * العمارة القبيلة * قال ما تقول فى التّهود * قال هو مفتاح التزهّد * التَّهوّد التوبة و منه قوله تعالى إنّا هُدْنَا اليك * قال ما تقول في صبر البليّة * قال أَعْظِمْ به من خطيّة * الصبر الحبس و البليّة الناقة تُحبَس عند قبر صاحبها فلا تُسقى و لا تُعلف الى ان تموت و كانت الجاهلية تزعم ان صاحبها يُحْشَر عليها * قال ايحل ضرب السفير * قال نعم و الحَمْل على المُستشير * السفير ما تساقطَ من ورق الشجر و المستشير الجمل السَّمين و هو ايضا الجمل الذي يَعرِف اللاقحَ من الحائل * قال ايُعزِّر الرجل اباه * قال يفعله البَرُّ و لا ياباه * التعزير التعظيم و النصرة * قال ما تقول فيمن افقر اخاه * قال حبَّذا ما توخّاه * افقره اعاره ناقة يركب فقارها * قال فان اعرى ولده * قال يا حُسن ما اعتمده * اعراه اعطاه ثمرة نخله عاما * قال فان اصلى مملوكه الذار * قال لا إثم عليه و لا عار * المملوك العجين الذي قد اجيد عجنه حتى قوي *

قال أ يجوز للمرأة ان تصرم بعلها * قال ما حظر احد فعلها * البعل
النخل الذي يشرب بعروقه من الارض * قال فهل تؤدب المرأة
على الخجل * قال اجل * الخجل سوء احتمال الغنى (§)
قال ما تقول فيمن نحت أثلة اخيه * قال أثم و لو اذن له فيه *
نحت اثلته اذا اغتابه و قدح في عرضه * قال أ يحجر الحاكم على
صاحب الثور * قال نعم ليأمن غائلة الجور * الثور المجنون * قال
فهل له ان يضرب على يد اليتيم * قال نعم الى ان يرشد و يستقيم *
يقال ضرب على يده اذا حجر عليه * قال فهل يجوز ان يتخذ له ربضا *
قال لا و لوكان له رضا * الربض الزوجة * قال فمتى يبيع بدن السفيه *
قال حين يرى له الحظ فيه * البدن الدرع القصيرة * قال فهل
يجوز ان يبتاع له حشا * قال نعم اذا لم يكن مغشيا * الحش
النخل المجتمع * قال أ يجوز ان يكون الحاكم ظالما * قال نعم
اذا كان عالما * الظالم الذي يشرب اللبن قبل ان يروب و يخرج
زبده * قال أ يستقضى من ليست له بصيرة * قال نعم اذا حسنت
منه السيرة * البصيرة ههنا الترس * قال فان تعرى من العقل * قال
ذاك عنوان الفضل * العقل ضرب من الوشي * قال فان كان له
زهو جبار * قال لا إنكار و لا اكبار * الزهو البسر المتلون و الجبار
النخل الذي فات اليد و ضده القاعد (†) * قال أ يجوز
ان يكون الشاهد مريبا * قال نعم اذا كان أريبا * المريب
الذي يكثر عنده اللبن الرائب * قال فان بان انه لاط * قال
هو كما لو خاط * لاط الحوض اذا طينه * قال فان عثر على

(§) الغنى و منه قوله عليه السلام للنساء انكن اذا جعتن دقعتن و اذا شبعتن خجلتن *

(†) فات اليد و القاعد من النخل ضدها *

انه غُربَل * قال تُردُّ شهادته ولاتُقبَل * غربل اى قَتَل * (§)
قال فان وَضح انه مائِن * قال هو وصف له زائِن *
المائن ههنا الذي يعول و يكفى المؤنة من مانَ يَمُون * قال
ما يجب على عابد الحق * قال يُحلَّف بالله الخلق * العابد ههنا
الجاحد و الحق الدَّين * قال ما تقول في من فَقَأَ عينَ بلبل عامدا *
قال تُفقَأ عينُه قولا واحدا * البلبلُ الرجل الخفيف * قال فان جرح
قطاةَ امرأة فماتت * قال النَّفس بالنَّفس اذا فاتت * القطاة
مابين الوَرِكَيْن * قال فان ألقت الحامل حشيشا من ضربه * قال
ليُكفِّر بالاعتاق عن ذنبه * الحشيش الجنين المُلقى مَيتا * قال
ما يجب على المختفي فى الشرع * قال القطع لاقامة الردع *
المختفي نَبَّاش القبور * قال فان سرق ثمينا من ذهب *قال لاقطع
كما لو غَصَب * الثمين الثُّمُن كما يقال فى النصف نصيف و فى
السُّدُس سَدِيس* قال فان بان على المرأة السرق * قال لاحرج عليها
ولافرق * السرق الحرير الابيض * قال ا ينعقد نكاح لم تشهده القَواري *
قال لا و الخالق الباري * القَواري الشُّهود لانهم يقرون الاشياء اى
يتتبَّعونها * قال ما تقول في عَرُوس باتت بليلة حُرَّة * ثم رُدَّت في
حافرتها (†) بسُحْرة * قال يجب لها نصف الصَّداق * و لا تلزمها عِدَّة
الطلاق * يقال باتت العروس بليلة حُرَّة اذا امتنعت على زوجها
فان افتضَّها قيل باتت بليلة شَيباء و الرد فى الحافرة بمعنى الرجوع
في الطريق الاول و كُنِي به عن طلاقها و ردها الى اهلها * فقال له
السائل لله دُرُّك من بَحر لايُغضغِضُه الماتح * و حِبْر لايبلغ مَدْحه

(§) قتل و منه قول الراجز * ترى الملوك حوله مغربلة *

(†) ثم ردت على حافرتها - ثم عادت على حافرتها *

المادح * ثم أطرق اطراق الحيي * و ارمّ ارمام العيّ * فقال له ابو زيد ايهٍ يا فتى * فالى متى و الى متى * فقال انه لم يبق في كنانتي مرماة * و لا بعد اشراق صبحك مماراة * فبالله اىّ ابن ارضٍ انتَ * فما احسن ما أبنتَ * فانشد بلسان ذَلِق * و صوتٍ صَهصَلِق * نظم

أنا في العالم مُثلَه * و لاهل العلم قِبلَه
غير أنّي كلّ يوم * بين تعريسٍ و رحلَه
و الغريب الدار لو حلّ بطوبى لم تطب له

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هُدِيَ و يهدي * فاجعلهم ممن يهتدي و يُهدي * فساق اليه القوم نَزْدًا مع قَيْنة * و سألوه ان يزورهم الفَيْنَة بعد الفَيْنَة * فنهض يُمنّيهم العود * و يُرجّي الامة و الذّود * قال الحارث بن همام فاعترضته و قلت له عهدي بك سفيها * فمتى صرت فقيها * فظلّ هُنَيّةً يجول * ثم انشأ يقول * نظم

لبستُ لكل زمان لَبُوسا * و لابستُ صرفَيْه نُعمى و بُوسا
و عاشرت كل جليس بما * يلائمه لاروق الجليسا
فعند الرواة أُدير الكلام * و بين السقاة أُدير الكؤسا
و طورا بوعظي أُسيل الدموع * و طورا بلهوي أَسُرُّ النفوسا
و اقرى المَسامع إمّا نطقت * بيانا يقود الحرونَ الشموسا
و ان شئتُ أُرعِف كفّي اليراع * فساقط دُرًّا يُحلّي الطروسا
و كم مشكلات حكَين السُها * خفاءً فصرن بكشفي شموسا
و كم مُلَحٍ لي خلبن العقول * و آسرنَ في كل قلب رسيسا
و عذراءَ فُهتُ بها فانثنى * عليها الثناء طليقا حبيسا
على انني من زماني خُصِصْتُ * بكيدٍ و لا كيدِ فرعونَ موسى

يُسعّر لي كل يوم وغًى * اطا من اطاها وطيسا وطيسا
و يطرقني بالخطوب التي * يُذبن القُرى و يُشبن الروسا
و يُدني الىّ البعيدَ البغيضَ * و يبعد عني القريب الانيسا
و لولا خساسةُ اخلاقه * لما كان حَظّي منه خسيسا

فقلت له خفّض الاحزان * ولا تلُم الزمان * و اشكر لمن نقلك عن مذهب ابليس * الى مذهب ابن اِدريس * فقال دع الهِذار * ولا تهتك الاستار * و انهض بنا لنضرب * الى مسجد يثرب * فعسى ان نرحض بالمزار * درن الاوزار * فقلت هيهات ان اسير * او أفقه التفسير * فقال تالله لقد اوجبت ذِمَما * و طلبت اذ طلبت أَمَما * نهاكَ ما يشفي النفس * و يذهب اللّبس * قال فلما اوضح ليَ المُعمّى * و كشف عني الغُمّى * شددنا الاكوار * وسِرت و سار * ولم ازل من مُسامرته * مدة مُسايرته * فيما انساني طعم المَشقّة * و وَدِدتُ معه بُعدَ الشُّقّة * حتى اذا دخلنا مدينة الرسول * و فُزْنا من الزيارة بالمسؤول * اشأمَ و اعرقتُ * و غرّب و شرّقتُ *

المقامة الثالثة و الثلثون التفليسية

اخبر الحارث بن همام * قال عاهدتُ الله تعالى مذ يَفَعت * ان لا أُؤخِر الصلاة ما ستطعت * فكنت مع جَوب الفَلوات * و لهو الخلَوات * أُراعي اوقات الصلوات * و أُحاذر من مأثم الفوات * و اذا رافقت في رِحلة * او حللت بحِلّة * مَرَحَبْت بصوت الداعى اليها * و اقتديت بمن يُحافِظ عليها * فاتفق حين دخلت تفليس * ان صلّيت مع عُصبة مَفاليسَ * فلما قضينا

الصلاة * و آزمعنا الانفلات * برز شيخ بادي اللقوة * بالي الكسوة و القوة * فقال عزمت على من خُلق من طينة الحُرِّيَّة * و تفوَّق دَرَّ العصَبية * إلّا ما تكلف لي لُبثة * و استمع مني نَفثة * ثم له الخيار من بعد * و بيده البذل و الرد * فعقد له القوم الحُبا * و رسوا امثال الربا * فلما آنس حسنَ انصاتهم * و رزانةَ حصاتهم * قال يا أولي الابصار الرامقة * و البصائر الرائقة * اما يغني عن الخبر العيان * و ينبئ عن النار الدخان * شَيْب لائح * و ضعف بائح * و وهن فادح * و داء واضح * و الباطن فاضح * و لقد كنت و الله ممن مَلك و مالَ * و ولِي و آلَ * و رفد و نال * و وصل و صال * فلم تزل الجوائح تُسحِتُ * و النوائب تنحتُ * حتى الوَكر قَفْر * و الكف صفر * و الشعار ضُرّ * و العيش مُرّ * و الصبيَة يتضاغون من الطَّوى * و يتمنّون مُصاصَةَ النَّوى * و لم اقُم هذا المقامَ الشائن * و اَكْشف لكم الدفائن * الا بعد ما شقِيت * و لقِيت * و شِبتُ مُما لقِيت * فليتني لم اكُن بقِيت * ثم تأوّهَ تأوُّهَ الاسِيف * و انشد بصوت ضعيف * نظم

اشكُو الى الرحمٰن سبحانه * تقلُّبَ الدهر و عُدوانه

و حادثات قرَعتْ مروَتي * و قوَّضت مجدي و بُنيانه

واهتصرت عودي يا ويل من * تهتصِر الاحداثُ اغصانه

و امحلت ربعي حتى جلت * من ربعي المُمحِل جرذانه

و غادرتني حائرا بائرا * أكابد الفقر و اشجانه

من بعد ما كنت اخا ثروة * يسحب في النعمة اردانه

يختبِط العافون اوراقه * و يحمد السارون نيرانه

فاصبح اليوم كأن لم يكن * اعانه الدهر الذي عانه

و ازورّ من كان له زائرا * و عاف عافي العُرف عرفانه
فهل فتىً يحزنه ما يرى * من ضرّ شيخ دهره خانه
فيفرج الهمّ الذي همّه * و يصلح الشان الذي شانه

قال الراوي فصبت الجماعة الى ان تستثبته * لتستنجش خبأته * و تستنفض حقيبته * فقالت له قد عرفنا قدر زنتك * و رأينا درّ مزنتك * فعرّفنا دوحة شعبتك * واحسر اللثام عن نسبتك * فاعرض اعراض من مُني بالاعنات * او بُشّر بالبنات * و جعل يلعن الضرورات * و يتأفّف من تغيّض المروّات * ثم انشد بلفظ صادع * و جرس خادع * نظم

لَعَمرك ما كل فرع يدلّ * جناه اللذيذ على اصله
فكل ما حلا حين توتى به * و لا تسأل الشهد عن نحله
وميّز اذا ما اعتصرت الكروم * سلافة عصرك من خلّه
لتغلي و ترخص عن خبرة * و تشري كلاً شرى مثله
فعارٌ على الفطن اللوذعي * دخول الغميزة في عقله

قال فازدهى القوم بذكائه و دهائه * و اختلبهم بحسن ادائه مع دائه * حتى جمعوا له خبايا الخبن * و خفايا الثبن * و قالوا له يا هذا انك حمت على ركيّة بكيّة * و تعرضت لخليّة خليّة * فخذ هذه الصبابة * و هبها لا خطأ و لا اصابة * فنزل قلّهم منزلة الكثر * و وصل قبوله بالشكر * ثم تولى يجرّ شقّه * و يذهب بالخبط طرقه * قال المخبر بهذه الحكاية * فصوّر لي انه معيل لحليته * متصنّع في مشيته * فنهضت انهج منهاجه * و اقفوا دراجه * و هو يلحظني شزرا * و يوسعني هجرا * حتى اذا خلا الطريق * و امكن التحقيق * نظر اليّ نظر من هشّ و بشّ *

و ماحض بعد ما غشّ * و قال اني لأخالك اخا غُربة * و رائد صحبة * فهل لك في رفيق يرفُق بك و يرفق * و ينفق عليك و يُنفق * فقلت له لو اتاني هذا الرفيق * لَوَاتاني التوفيق * فقال لي قد وجدتَ فاغتبط * و استكرمتَ فارتبط * ثم ضحك مَليًّا * و تمثّل لي بشرا سويًّا * فاذا هو شيخنا السروجي لا قلبة بجسمه * و لا شُبهة في وَسمه * ففرِحت بلُقيته * و كَذب لَقوته * و همَمت بملامته على سوء مقامته * فشحا فاه * و انشد قبل أن أنحاه * نظم

ظهرتُ برثّ لكيما يقال * فقير يُزجّي الزمانَ المُزجّى
و اظهرتُ للناس ان قد فُلجتُ * فكم نال قلبي به ما ترجّى
و لو لا الرثاثة لم يُرثَ لي * و لو لا التفالُج لم الق فُلجا

ثم قال انه لم يبق بهذه الارض مَرتع * و لا في اهلها مَطمع * فان كنت الرفيق * فالطريقَ الطريقَ * فسرنا منها متجرّدَين * و رافقته عامين اجرَدَين * و كنت على ان اصحبه ما عشتُ * فابى الدهر المُشتّ *

المقامة الرابعة و الثلثون الزبيدية

حكى الحارث بن همام * قال لما جبتُ البيدَ * الى زَبيدَ * صحبني غلام كنت ربّيتُه الى ان بلغ اَشُدّه * و ثقّفته حتى اكمل رُشده * و كان قد اَنِس باخلاقي * و خَبر مجالب وِفاقي * فلم يكن يتخطى مَرامي * و لا يُخطِئ في المرامي * لاجرم ان قُربه التاطَت بصفري * و اخلصته لحضري و سفري * فالوى به الدهر المُبيد * حين ضمّتنا زَبيد * فلما شالت نعامته * و سكنت نامته * بقيت

عاما * لا أسيغ طعاما * و لا أريغ غلاما * حتى الجأتني شوائب الوحدة * و متاعب القومة و القعدة * الى ان اعتاض عن الدر الخرز * و ارتاد من هو سداد من عوز * فقصدت من يبيع العبيد * بسوق زبيد * و قلت اريد عبدا يعجب اذا قلب * و يحمد اذا جرب * و ليكن ممن خرجه الاكياس * و اخرجه الى السوق الافلاس * فاهتز كل منهم لطلبي و وثب * و بذل تحصيله عن كثب * ثم دارت الاهلة دورها * و تنقلبت كورها و حورها * و ما نجز من وعدهم وعد * و لا سح لها رعد * فلما رأيت النخاسين * ناسين او متناسين * علمت ان ليس كل من خلق يفري * و ان لن يحك جلدي مثل ظفري * فرفضت مذهب التفويض * و برزت الى السوق بالصفر و البيض * فاني لاستعرض الغلمان * و استعرف الاثمان * اذ عارضني رجل قد اختطم بلثام * و قبض على زند غلام * و قال * نظم

من يشتري مني غلاما صنعا * في خلقه و خلقه قد برعا
يكل ما نطت به مضطلعا * يشفيك ان قال و ان قلت وعى
و ان تصبك عثرة يقل لعا * و ان تسمه السعي في النار سعى
و ان تصاحبه و لو يوما رعى * و ان تقذعه بظلف قذعا
هو على الكيس الذي قد جمعا * ما فاه قط كاذبا و لا ادعى
و لا اجاب مطمعا حين دعا * و لا استجاز نث سر اودعا
و طالما ابدع فيما صنعا * و فاق في النثر و في النظم معا
و الله لولا ضنك عيش صدعا * و صبية اضحوا عراة جوعا
ما بعته بملك كسرى اجمعا

قال فلما تاملت خلقه القويم * و حسنه الصميم * خلته من

ولدان جنة النعيم * و قلت ما هذا بشرا إن هذا الا مَلَك كريم *
ثم استنطقتُه عن اسمه * لا لرغبة في علمه * بل لانظر اين فصاحته
من صباحته * و كيف لهجته من بهجته * فلم ينطق بحُلوة
ولا مُرّة * و لا فاه فوهة ابن أمة و لا حُرّة * فضربت عنه صفحا *
و قلتُ قُبحا لعيك و شُقحا * فغار في الضحك و انجدّ *
ثم انغض رأسه اليّ وانشد * نظم

يامن تلهّبَ غيظه أنْ لم ابُحْ * باسمي له ما هكذا مَن يُنصِفُ
ان كان لا يُرضيك الا كشفه * فاصخْ له انا يُوسُف انا يوسفُ
ولقد كشفتُ لك الغطاء فان تكن * فَطِنًا عرفتَ و ما اخالك تعرفُ

قال فسرى عنّي بشعره * واستبى لُبّي بسحره * حتى شدهت
عن التحقيق * و أُنسيتُ قصة يوسف الصدّيق * و لم يكن لي هم
الا مُساومة مولاه فيه * و استطلاع طلع الثمن لأوفيه * و كنت
احسب انه سينظر شزرًا اليّ * و يُغلي السيمة عليّ * فما حلّق
الى حيث حلقتُ * و لا اعتلق بما به اعتلقت * بل قال ان
العبد اذا نزُرَ ثمنه * و خفتْ مؤنته * تبرّك به مولاه * و التحف
عليه هواه * و اني لأوثر تحبيبَ هذا الغلام اليك * بان أخفف
ثمنه عليك * فزِنْ مائتي درهم ان شئت * و اشكر لي ما حبيتُ *
فنقدته المبلغ في الحال * كما ينقد في الرخيص الحلال * و لم
يخطر لي ببال * ان كل مُرخص غال * فلما تحققت الصفقة *
وحقّت الفرقة * هملت عينا الغلام * ولا همول دمع الغمام * ثم
اقبل علي صاحبه وقال * نظم

لحاك اللـــهُ هل مثلي يُباع * لكيمــــا تشبعَ الكَرِشُ الجياع
و هل في شِرْعة الانصاف اني * أكلّـف خُطّـةً لا تُستطاع

وان آبلى بروع بعد روع * و مثلى حين يبلى لا يراع
اما جربتني فخبرت مني * نصائح لم يمازجها خداع
وكم ارصدتني شركا لصيد * فعدت و في حبائلي السباع
ونطت بي المصاعب فاستقادت * مطاوعة وكان بها امتناع
و آي كريهة لم آبل فيها * و غنم لم يكن لي فيه باع
وما ابدت لي الايام جرما * فيكشف في مصارمتي القناع
و لم تعثر بحمد الله مني * على عيب يكتم او يذاع
فاني ساغ عندك نبذ عهدي * كما نبذت برايتها الصناع
ولم سمحت قرونك بامتهاني * و ان اشرى كما يشرى المتاع
و هلا صنت عرضي عنه صوني * حديثك يوم جد بنا الوداع
و قلت لمن يساوم في هذا * سكاب فما يعار و لا يباع
فما انا دون ذاك الطرف لكن * طباعك فوقها تلك الطباع
على اني سانشد عند بيعي * اضاعوني و اي فتى اضاعوا

قال فلما وعى الشيخ ابياته * و عقل مغاغاته * تنفس الصعداء * وبكى حتى ابكى البعداء * ثم قال لي إني أحل هذا الغلام محل ولدي * ولا أميزه عن افلاذ كبدي * ولولا خلو مراحي * و خبو مصباحي * لما درج عن عشي * الى ان يشيع نعشي * و قد رأيت ما نزل به من لوعة البين * و المومن هين لين * فهل لك في تسلية قلبه * و تسرية كربه * بان تعاهدني على الاقالة فيه متى استقلت * وان لا تستثقلني اذا ثقلت * ففي الاثار المنتقاة * المدونة عن الثقات * من اقال نادما بيعته * اقاله الله عثرته * قال الحارث بن همام فوعدته وعدا ابرزه الحياء * و في القلب اشياء * فاستدناني حينئذ الغلام اليه * و قبل مابين عينيه *

و انشد والدمع يرفض من جفنيه * نظم

خفض فدتك النفس ما تلاقي * من برحاء الوجد و الاشفاق
فما تطـول مـدة الفـراق * ولا تني ركائب التلاقي
بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال له استودعك من هو نعم المولى * و شمر ذيله وولى * فلبث الغلام في زفير و عويل * ريثما يقطع مدى ميل * فلما استفاق * و كفكف دمعه المهراق * قال اتدري لم اعولت * و علام عولت * فقلت اظن فراق مولاك * هو الذي ابكاك * فقال انك لفي واد * و انا في واد * ولكم بين مريد و مراد * ثم انشد * نظم

لم ابك والله على الف نزح * ولا على فوت نعيم و فرح
و انما مدمع اجفاني سفح * على غبي لحظه حين طمح
ورطه حتى تعدى و افتضح * وضيع المنقوشة البيض الوضح
ويك اما جاتك هاتيك الملح * بانني حر و بيعي لم يبح
اذ كان في يوسف معنى قد وضح

قال فتمثلت مقاله في مرأة المداعب * و معرض الملاعب * فتصلب تصلب المحق * و تبرأ من طينة الرق * فجلنا في مخاصمة اتصلت بملاكمة * و افضت الى محاكمة * فلما اوضحنا للقاضي الصورة * و تلونا عليه السورة * قال الا ان من انذر * فقد اعذر * و من حذر * كمن بشر * و من بصر فما قصر * و ان فيما شرحتماه لدليلا على ان هذا الغلام قد نبهك فما ارعويت * و نصح لك فما وعيت * فاستر داء بلهك واكتمه * ولم نفسك ولا تلمه * و حذار من اعتلاقه * والطمع في استرقاقه * فانه حر الاديم *

غير معرَّض للتقويم * و قد كان ابوه احضره امس * قُبيل اُفول الشمس * و اعترف بانه فرعه الذي انشاه * و انْ لا وارث له سواه * فقلت للقاضي او تعرف اباه * اخزاه الله * فقال و هل يُجهَل ابو زيد الذي جُرحهُ جُبار * و عند كل قاضٍ له إخْبار و أخْبار * فتحرَّقتُ حينئذ و حَولقتُ * و افقْتُ و لكن حين فات الوقت * و ايقَنْت ان لئامه كان شَرك مَكيدته * و بيت قصيدته * فنكّس طرفي ما لقيت * و آليت ان لا اُعامل متلثّما ما بقيتُ * و لم ازل اتأوه لخُسر صفقتي * و الافتضاح بين رُفقتي * فقال لي القاضي * حين راى امتعاضي * و تبيّن حرّ ارتماضي * يا هذا ما ذهب من مالك ما وعظك * و لا أجْرم اليك من ايقَظك * فاتّعظ بما نابك * و كاتِم اصحابك ما اصابك * و تذكَّر ابدا ما دَهمك * لتقيَ الذكرى دراهمك * و تخلَّقْ بخُلق من ابتُلي فصبَر * و تجلَّت له العبَر فاعتبر * فودَّعتُه لابسا ثوب الخَجَل و الحزَن * ساحبا ذيلَ الغَبْن و الغَبَن * و نويتُ مكاشفة ابي زيد بالهَجر * و مُصارمته يدَ (†) الدهر * فجعلت انكّب عن ذراه * واتجنّب ان اراه * الى ان غشِيَني في طريق ضيّق * فحيَّاني تحيّة شَيِّق * فما زدتُّ على ان عبَست * و ما نبَست * فقال ما بالك شامخا (§) بانفك * على إلفك * فقلت انسيتَ انك احتلْتَ و ختَلْتَ * و فعلت فعلتك التي فعلت * فاَضرَط بي مُتهازيا * ثم انشد مُتلافيا * نظم

يا من بدا منه صُدود * مُوحِش و تجهُّم
و غدا يريش مُلاوِما * من دونهِن الاسهُم

(†) مدى (§) بالك شمخت بانفك *

ويقول هل حُرٌّ يُباع * كما يُباع الادْهم

أَقصِرْ فما انا فيه بِدْ * عاً مثلَ ما تتوهم

قد باعت الاسباط قبلي يوسفا وهُمُ هُمْ

هذا وأُقسم بالتي * يُسْرى اليها المُنْتِم

والطائفين بها وهم * شُعْثُ النواصي سُهَّم

ماقمت ذاك الموقف المخزي وعندي درهم

فاعذِرْ اخاك وكُفَّ عنه ملام من لا يفهم

ثم قال اما معذرتي فقد لاحت * واما دراهمك فقد طاحت * فان كان اَفْشعرارك مني * وازْورارك عني * لفرط شَفقتك * على عُبْر نفقتك * فلست ممن يلسع مرتين * و يوطِئ (‡) على جمرتَيْن * و ان كنت طويت كشْحك * واطعت شُحَّك * لتستنقذ ما علِق باَشراكي * فلتبْك على عقلك البواكي * قال الحارث بن همام فاضطَّرني بلفظه الخالب * وسحره الغالب * الى ان عُدتُ له صفِياً * وبه حفِيًّا * ونبذت فعلتَهُ ظِهْرِيًّا * و ان كانت شياً فريًّا *

المقامة الخامسة والثلثون

الشيرازية

روي الحارث بن همام قال مررت في تَطْوافي بشيراز * على نادٍ يستوقف المُجتاز * و لو كان على اوفاز * فلم اَسطع تعدّيه * ولاخَطْتُ قدمي في تخطّيه * فعُجْت اليه لاَسْبك (§) سرَّ جوهره * وانظر

(‡) ممن يسلع من جحر مرتين * و يوطا على جمرتين * وفي بعض النسخ ولا يوطي * (§) لاسبر *

كيف ثمره من زهره * فاذا اهله أفراد * و العائج اليهم مُفاد * و بينما
نحن في فكاهة اطرب من الاغاريد * و اطيب من حلب العناقيد *
اذ احتف (†) بنا ذو طِمْرين * قد كاد يناهز العُمُرين * فحيّى بلسان
طليق * و ابان إبانة منطيق * ثم احتبى حَبْوة المنتدين * و قال
اجعلنا اللهم من المهتدين * فازدراه القوم لطمريه * و نسوا ان
المرء باصغريه * و اخذوا يتداعون فصلَ الخطاب * و يعتدّون عوده
من الاحطاب * و هو لا يُفيض (‡) بكلمة * و لا يُبين عن سمة *
الى انَ سبر قرائحهم * و خبر شائلهم و راجحهم * فحين استخرج
دفائنهم * و استنثل كنائنهم * قال يا قوم لو علمتم ان وراء
الفدام * صفو المُدام * لما احتقرتم ذا أخلاق * و قلتم ما له من
خلاق * ثم فجّر من ينابيع الادب * و النُكَت النُخَب * ما
جلب به بدائع العجب * و استوجب ان يُكتب بذَوْب
الذهب * فلما خلَب كل خِلْب * وقلَب اليه كل قلب *
تحلحل * ليرحل * و تأهب * ليذهب * فعلقت الجماعة بذيله *
و عاقت مَسْرَب سيله * و قالت له قد اريتنا وَسم قِدْحك *
فخبّرنا عن قَيضك و مُحّك * فصمت صُموت من أفحم * ثم أعول
حتى رُحم * قال الراوي فلما رأيت شوب ابي زيد و روبه *
و أسلوبه المالوف و صوبه * تأمّلت الشيخ على سُهومة مُحيّاه *
و سُهوكة ريّاه * فاذا هو إيّاه * فكتمْتُ سرّه كما يُكتم الداء الدخيل *
و سترتُ مكره و ان لم يكن يُخيل * حتى اذا نزع عن إعواله * و قد
عرف عثوري على حاله * رمقني بعين مضحاك * ثم طفق ينشد
بلسان متباك * نظم

(†) اذ هتف * (‡) يغيض *

استغفر الله و أعذره له * من فرطات أثقلت ظهريه
يا قوم كم من عاتق عانس * ممدوحة الاوصاف في الاندية
قتلتها لا اتقي وارثا * يطلب مني قودا أو ديه
و كلما استذنبت في قتلها * احلت بالذنب على الاقضيه
و لم تزل نفسي في غيها * و قتلها الابكار مستشريه
حتى نهاني الشيب لمابدا * في مفرقي عن تلكم المعصيه
فلم أرق منذ شاب فودي دما * من عاتق يوما و لا مصبيه
و ها انا الان على ما يرى * مني و من حرفتي المكديه
أرب بكرا طال تعنيسها * و حجبها حتى عن الاعويه
و هي على التعنيس مخطوبة * كخطبة الغانية المغنيه
و ليس يكفيني لتجهيزها * على الرضا بالدون الا مئه (†)
و اليد لا تركي على درهم * و الارض قفر و السماء مصحيه
فهل معين لي على نقلها * مصحوبة بالقينة الملهيه
فيغسل الهم بصابونه * و القلب من افكاره المضنيه
و يقتني مني الثناء الذي * تضوع رياه مع الادعيه (‡)

قال فلم يبق في الجماعة الا من نديت له كفه * و انباع اليه عرفه * فلما نجحت بغيته * و كملت مئته * اخذ يثني عليهم بصالح * و يشمر عن ساق سارح * فتبعته لاستعرف ربيبة خدره * و من قتل في حدثان امره * فكان وشك قيامي * مثل له مرامي * فاردلف مني * و قال افقه عني * نظم

قتل مثلي يا صاح مزج المدام * ليس قتلي بلهذم او حسام
و التي عنست هي البكر بنت الـ * كرم لا البكر من بنات الكرام

(†) مائه * (‡) على الادعيه * مع الاذديه *

ولتجهيزها الى الكاس والطاس قيامي الذي ترى ومُقامي فتفهمّ ما قلته وتحكَّـمْ * في التغاضي ان شئت او في الملام ثم قال انا عربيد * وانت رشيد * وبيننا بَوْنٌ بعيد * ثم ودّعني وانطلق * وزوّدني نظرةً من ذي علَق *

المقامة السادسة والثلثون الملطية

اخبر الحارث بن همام قال انَخت بمَلْطِيّة مَطيّة البين * وحقيبتي مَلْأى من العين * فجعلت هِجّيراي * مذ القيت بها عصاي * ان اتورّد مُوارد المرح * واتصيّد شوارد المُلَح * فلم يفُتني بها منظر ولا مسمع * ولا خلا مني ملعب ولا مَرْتع * حتى اذا لم يبق لي فيها مأرَب * ولا في الثَواء بها مَرْغَب * عمدتُ لانْفاق الذهب * في ابتياع الاُهَب * فلما اكملت الاعْداد * وتهيَّأ الظعن منها او كاد * رأيت تسعة رهط قد سبأوا قهوة * وارتبأوا رَبوةً * ودَماثتُهم قيد الالحاظ * وفكاهتهم حلْوة الالفاظ * فنحوتُهم طلبا لمنادَمتهم * لا لمدامتهم * وشغفا بممازجتهم * لا بمزاجتهم * فلما انتظمْت عاشرَهم * واضحيت مُعاشرهم * الفيتهم ابناء علّات * وقذائف فلوات * الا ان لُحمة الادب * قد الّفت شملهم ألفة النسب * وساوت بينهم في الرُّتب * حتى لاحُوا مثل كواكب الجوزاء * وبدَوْا كالجملة المتناسبة الاجزاء * فابهجني الاهتداء اليهم * واحمدت الطالع الذي اطلَعني عليهم * وطفقت أُفيض بقدحي مع قداحهم * واَستشفي برِياحهم لا براحهم * حتى ادّتنا شُجون المفاوضة * الى التحاجي بالمقايضة * كقولك اذا عُنِيْتَ به الكرامات * ما مثل النوم فات * فانشأنا نجيل السهام

و القمر * و نَجْنى الشوك و الثمر * و بينا نحن ننشُرُ القَشِيب و الرَّثّ * و ننشُل السمين و الغثّ * طلع علينا شيخ قد ذهب حِبره و سِبره * و بقي خُبره و سَبْره * فمَثَل مُثول من يسمع و ينظر * و يلتقط ما ننثُر * الى ان نُفضت الاكياس * و حَصْحَصَ الياسُ * فلما رأى إجبال القرائح * و إكداء الماتح و المائح * جمع اذياله * و ولّانا قذاله * و قال ما كل سوداء تمرة * و لا كل صهباء خمرة * فاعتلَقنا به اعتلاق الحِرباء بالاعواد * و ضربنا دون وجهته بالأسداد * و قلنا له إن دواء الشَّقّ ان يُحاص * و الا فالقصاص القصاص * فلا تطمَع في ان تجرَح * وتُنبهر الفتق و تسرح * فلوى عنانه راجعا * ثم جَثَم بمكانه راصعا * و قال اما اذا استذرتموني بالبحث * فساحكم حكمَ سليمان في الحرث * اعلموا يا ذوي الشمائل الادبيّة * و الشَمول الذهبيّة * ان وضع الأحجيّة * لامتحان الالمعيّة * و استخراج الخبيئة الخفية * و شرطها ان تكون ذات مماثلة حقيقيّة * و الفاظ معنويّة * و لطيفة ادبيّة * فمتى نافت هذه النَّمط * ضاهت السقَط * و لم تدخل السفَط * و لم اركم حافظتم على هذا الحدود * و لا مِزتم بين المقبول و المردود * فقلنا له صدقتَ فكِلْ لنا من لُبابك * و افض علينا من عُبابك * فقال افعل لئلا يرتاب المُبطلون * و يُظنُّوا بي الظنون * ثم قابل ناظورة القوم و قال * نظم

يا من سـما بـذُكاء * في الفضـل واري الزّناد
ما ذا يمـاثل قـولي * جُـوع أمـدّ بـزاد

ثم ضحك الى الثاني و انشد * نظم

يا ذا الـذي فاق فضـلا * و لم يـدنّسـه شَيـنُ

ما مثـــل قول المُحاجي * ظهــرٌ اصابتـــه عيــنٌ

ثم لحَظ الثالثَ و انشا يقول * نظم

يا من نتــائج فكـــره * مثل النُّقـــود الجــائزه
ما مثــــل قولك للذي * حاجَيتَ صادفَ جــائزه

ثم اَتلع الى الرابع وقال * نظم

ايا مُستنبـــطَ الغـــامض * مـــن لُغـــزٍ و اِضمـــار
الّا اكشف ليَ ما مثـــل * تذ ـــاول الفَ ديـنـــار

ثم رمى الخامس ببصره و انشد * نظم

يا ايهـــذا الالمعـــيُّ * اخو الـــذكاء المُنجـــلي
ما مـــثل اهمـــل حليةٌ * بيِّـــنْ هُديت و عجِّـــل

ثم التفتَ لفتَ السادس و قال * نظم

يا من تُقصِّرُ عن مَـــدا * هُ خُطا مُجاريه و تضعُف
ما مثل قولك للـــذي * اضحى يُحاجيك اكُفُف اكفُفِ

ثم خالَج السابعَ بحاجبه و انشد * نظم

يا من له فطنـــة تجلَّتْ * و رُتبـــة فى الذكاء جلَّتْ
بيِّن فمـــا رلتَ ذا بيـــان * ما مثل قولي الشقيقَ اَفلتْ

ثم استنصتَ الثامنَ و انشد * نظم

يا من حدائق فضلـــه * مطلـــولة الازهار غَضَّـــه
ما مثـــل قولك للمُحـــا * جي ذى الحجى ما اختار فضّه

ثم حدَّج التاسعَ ببصره و قال * نظم

يا من يُشار اليـــه فى الـ * ـقلب الذكيّ و فى البَـــراعه
اوضح لنـــا ما مثـــل قو * لك للمحاجي دُس جمـــاعه

قال الراوي فلما انتهى اليَّ * هزّ منكبيَّ * و قال * نظم

يا من له أَلنُكَت التي * يُشجي الخُصومَ بها و ينكُت
انت المُبين فقُل لنا * ما مثل قولي خَالِيَ إسكُت

ثم قال قد انهلتكم و امهلتكم * و ان شئتم أن اعلّكم عللتكم * قال فالجانا لَهبُ الغُلَل * الى استسقاء العَلَل * فقال لستُ كمن يستاثر على نديمه * و لا ممن سَمْنه في اديمه * ثم كرّ على الاول و انشد * نظم

يا من اذا اشكلَ المُعمّى * جلّته افكاره الدقيقه
ان قال يوما لك المحاجي * خُذ تلك ما مثله حقيقه

ثم ثنى جيده الى الثاني و قال * نظم

يا من بدا بيانه * عن فضله مُبيِّنا
ما ذا مثال قولهم * حمارُ وحشٍ زُيِّنا

ثم آوحى الى الثالث بلحظه و قال * نظم

يا من غدا في فضله * و ذكائه كالاصمعي
ما مثل قولك للذي * حاجيت أنْفِق تقمعَ

ثم حملَق الى الرابع و قال * نظم

يا من اذا ما غُويِص * دجا انار ظلامه
ما ذا يماثل قولي * استَنشِ ريحَ مُدامه

ثم أَومَض الى الخامس و انشد * نظم

يا من تنزّه فهمه * عن ان يُروّى او يُشكّى
ما مثل قولك للذي * اضحى يحاجي غُطّ هَلكى

ثم اقبل قِبَل السادس و انشأ يقول * نظم

يا اخا الفطنة التي * بانَ فيها كماله
سارِ بالليل مدةً * أيُّ شئ مثاله

ثم نحا بصره الى السابع و قال * نظم

يا من تحلَّى بفهم * اقام في الناس سُوقه
لك البيان فبيّن * ما مثل أحبب فُروقه

ثم قصد قصد الثامن و انشد * نظم

يا من تبوّأ ذروة * في الفضل فاقت كل ذروه
ما مثل قولك اعط ابريقا يلوح بغير عُروه

ثم ابتسم الى التاسع و قال * نظم

يا من حوى حُسن الدرا * ية و البيان بغير شك
ما مثل قولك للمُحا * جي ذي الذكاء الذُرّ مِلكي

ثم قبض بجُمعه على رُدني و قال * نظم

يا من سما بثقوب فطنته * في المشكلات و نور كوكبه
ما ذا مثال صفيرَ جحفَلة * بيّنه تبيانا يَتمّ به

قال الحارث بن همام فلما اطّربنا بما سمعناه * و طالبنا بكشف معناه * قُلنا له لسنا من خَيل هذا الميدان * و لا لنا بحلّ هذه العُقد يدان * فان ابنتَ * مننتَ * و ان كتمتَ * غممتَ * فظل يُشاور نفسَيه * و يُقلّب قدحَيه * حتى هانَ بذل الماعون عليه * فاقبل حينئذ على الجماعة و قال ساعُلّمكم ما لم تكونوا تعلمون * و لا ظننتم انكم تُعلَّمون * فاَوكُوا عليه الاوعيَة * و روّضوابه الاندية * ثم اخذ في تفسيرٍ صَقَل به الاذهان * و استفرَغ معه الاردان * حتى آضَت الافهام انورَ من الشمس * و الاكمام كان لم تغنَ بالامس * و لما هم بالمفرّ * سُئل عن المَقرّ * فتنفّس * كما تتنفّس الثّكول * ثم انشأ يقول * نظم

كل شِعب لي شِعبٌ * و به رَبعي رَحبُ

غيـــرَ اني بسَـــروجٍ * مســـتهام القلب صَبٌّ
هي ارضى البكـــر و الجـــوّ الذي منـــه المَهَبٌّ
و الى روضتهـــا الغـــنّاء دون الروض اَصبـــو
ما حلا لي بعدها حُـــلو و لا اعذَوذَبَ عَذْب

قال الراوي فقلت لاصحابي * هذا ابو زيد السروجي * الذي ادنى مُلَحه الاَحاجي * اخذتُ اَصِفُ لهم حسن تَوشِيَته * و انقيادَ الكلام لمشيَّته * ثم التفتُّ فاذا به قد طمَرَ * و نآء بما قمَرَ * فعجبنا مما صنَع * و لم ندرِ اَين سكَع و صقَع *

تفسير الاحاجي المودعة هذه المقامة

اما جُوعٌ اَمدَّ بزاد فمثله طُوامير * و اما ظَهْر اصابته عين فمثله مَطاعين * و اما صادَف جايزة فمثله الفاصلة * و اما تناوَل اَلْف دينار فمثله هاديه * و اما اهملَ حلية فمثله الغاشيه * و اما اكفُف اكُفْف فمثله مَهْمَه * و اما الشقيق انلتَ فمثله الاَخطار * و اما ما اختار فضة فمثله ابارِقة لان الرِقَةَ من اسماء الفضة و قد نطق بها النبيُّ صلى الله عليه و سلم فقال في الرِقَة رُبع العُشر * و اما دُسْ جماعةً فمثله طافيه * و اما خاليّ اسكُت فمثله خالصه لانك اذا ناديتَ مضافا الى نفسك جاز لك حذف الياء و اثباتها ساكنةً و متحركةً و قد حذف هاهنا حرف النداء كما حذفه في اصل الاُحجيّة * وَصه بمعنى اُسكت * و اما خُذ تلك فمثله(†) هاتيك * و اما حمار وحش زيِّنْا فمثله فرازين لان الفرا حمار الوحش و منه الخبَر كل الصيد في جوف الفرا * و اما قوله انفق تقمع فمثله منتقم لان الامر من مانَ يمون مُن و مضارع وقَمت تَقِم * و اما

(†) فمعناه *

استنشق ريح مدامة فمثله رَحراح لان الامر من استدعاء الرايحة رَحْ * و اما غطّ هلكى فمثله صُنْبُور لان البُور هُم الهلكى و فى القرآن كنتم قوما بورًا * و اما سار بالليل مدة فمثله سراحين * و اما احبب فروقة فمثله مقلاع لان الامر من وَمِق يَمِق مِق و اللاع الجبان يقال فلان هاعٌ لاعٌ اذا كان جبانا جزوعا * و اما اعط ابريقا يلوح بغير عروة فمثله اسكوب لان الأوس العطاء و الامر منه اُسْ و الكوب الابريق بغير عروة * و اما الثور ملكي فمثله اللآلي لان اللأى على وزن القفا هو ثور الوحش * و اما صفير جحفلة فمثله مُكاشفة لان المُكا الصفير قال الله تعالى و ما كان صلواتهم عند البيت الا مُكاءً و تصديةً و الاصل فى المكا المدّ و لكنه قصره في هذه الأحجية كما حذف همزة الفرا في احجيّته و كلا الامرين من قصر الممدود و حذف همزة المهموز جائز *

المقامة السابعة و الثلثون الصعدية

حكى الحارث بن همام قال اصعدتُ الى صعدةَ * و انا ذو شطاط يحكى الصعدةَ * و اشتداد يبذّر بنات صعدة * فلما رأيت نضرتها * و رعيتُ خضرتها * سألت نحارير الرواة * عمن تحويه من السراة * و معادن الخيرات * لاتخذه جذوةً فى الظلمات * و نجدةً فى الظلامات * فنُعتَ لي قاضٍ بها رحيب الباع * خصيب الرباع * تميميّ النسب و الطباع * فلم ازل اتقرّب اليه بالالمام * و اتنفق عليه بالاجمام * حتى صرت صدى صوته * و سلمان بيته * و كنت مع اشتيار شهده * و انتشاق رنده * اشهد مشاجر الخصوم * و اسفر بين المعصوم منهم و الموصوم * فبينما القاضي جالس للاسجال * في

يوم المحفل والاحتفال * اذ دخل شيخ بالي الرياش * بادي الارتعاش * فتبصّر الحفل تبصُّر نقّاد * ثم زعم أنّ له خصما غير منقاد * فلم يكن الا كضوء شرارة * اووحي اشارة * حتى أحضر غلام * كأنه ضرغام * فقال الشيخ ايّد الله القاضي * وعصمه من التغاضي * ان ابني هذا كالقلم الرديّ * والسيف الصديّ * يجهل اوصاف الانصاف * ويرضع (†) أخلاف الخلاف * ان اقدمتُ أحجم (‡) * واذا اعربت أعجم * وان أذكيت أخمد * ومتى شويت رمّد * مع اني كفلته مُذ دبَّ * الى ان شبَّ * وكنت له الطف مَن ربّى وربَّ * فاكبر القاضي ما شكا اليه * واطرف به من حواليه * ثم قال اشهد ان العُقوق احد الثُكلَين * ولَرُبَّ عُقْم اقرّ للعين * فقال الغلام * وقد امضه هذا الكلام * والذي نصب القضاة للعدل * وملّكهم أعنّة الفضل والفصل * انه ما دعا قط الا امّنتُ * ولا ادعى الا آمنت * ولا لَبّى الا وأحرمت * ولا أورى الا وأضرمت * بَيْد انه كمن يبغي بَيض الأنوق * ويطلب الطيران من النوق * فقال له القاضي وبمَ أعنتك * وامتحن طاعتك * قال انه مذ صفر من المال * ومُنيَ بالامحال * يسومني ان اتلمّظ بالسؤال * واستمطر سُحب النوال * ليفيض شربه الذي غاض * وينجبر من حاله ما انهاض * وقد كان حين اخذني بالدّرس * وعلّمني ادب النفس * اشرب قلبي ان الحرص متعبة * والطمع معيَبة (§) والشَّره متخمة * والمسئلة ملأمة * ثم انشدني من فلق فيه * ونحت قوافيه * نظم

ارضَ بادنى العيش واشكر عليه * شكـــر مَن القُلّ كثيـر لديه

(†) يرتضع (‡) احجم (§) معتبة •

و جانب الحرص الذي لم يزل * يحطّ قدر المتراقي اليه
و حام عن عرضك و استبقه * كما يحامي الليث عن لبدتيه
و اصبر على ما ناب من فاقة * صبر أولي العزم و أغمض عليه
و لا تُرِق ماء المُحيّا و لو * خوّلك المسئول ما في يديه
فالحُرّ من ان قذيت عينه * أخفى قذى جفنيه عن ناظريه
و من اذا اخلق ديباجه * لم ير ان يُخلق ديباجتيه

قال فعبس الشيخ و اكفهرّ * و اندرأ على ابنه و هرّ * و قال له مَه يا عُقق * يا من هو الشجى و الشرَق * ويلك أتعلّم أمّك البضاع * و ظئرك الارضاع * لقد تحككت العقرب بالافعى * و استنّت الفصال حتى القرعى * ثم كانه ندم على ما فرط من فيه * وحدته المقة على تلافيه * فرنا اليه بعين عاطف * و خفض له جناح ملاطف * و قال ويك يا بُنيّ ان من آمر بالقناعة * و زجر عن الضراعة * هم ارباب البضاعة * و اولو المكسبة بالصناعة * فاما ذوو الضرورات * فقد استُثني بهم في المحظورات (†) * و هبك جهلت هذا التاويل * و لم يبلغك ما قيل * السبت الذي عارض اباه * اذ قال و ما حاباه * نظم

لا تقعدنّ على ضرّ و مسغبة * لكي يقال عزيز النفس مصطبر
و انظر بعينك هل ارض معطّلة * من النبات كارض حفّها الشجر
فعدّ عما يشير الاغبياء به * فايّ فضل لعود ما له ثمر
و ارحل ركابك عن ربع ظمئت به * الى الجناب الذي يهمي به المطر
و استنزل الريّ من درّ السحاب فان * بُلّت يداك به فليهنك الظفر
و ان رددت فما في الرد منقصة * عليك قد ردّ موسى قبل و الخضر

(†) فقد سوغوا المحظورات *

فلما رأى القاضي تنافي قول الفتى و فعله * و تحلّيه بما ليس من اهله * نظر اليه بعين غضبى * و قال اتميميًّا مرة و قيسيًّا اخرى * أفٍّ لمن ينقض ما يقول * و يتلون كما يتلون الغول * فقال الغلام و الذي جعلك مفتاحا للحق * و فتّاحا بين الخلق * لقد انسيتُ مذ اسيتُ * و صدئ ذهني مذ صديتُ * على انه اين الباب الفُتّح * و العطاء السُّرح * و هل بقي من يتبرّع بالّلها * و اذا استُطعم يقول ها * فقال له القاضي مه فمع الخواطئ سهم صائب * و ما كل برق خالب * فميز البروق اذا شمتَ * و لا تشهد الا بما علمتَ * فلما تبين للشيخ ان القاضي قد غضب للكرام * و اعظم تبخيل جميع الانام * علم انه سينصر كلمته * و يُظهر اكرومته * فما كذّب ان نصب شبكته * و شوى في الحريق سمكته *

و انشاء يقول * نظم

يا ايها القاضي الذي علمه * و حلمه ارسخ من رضوى
قد ادعى هذا على جهله * ان ليس في الدنيا اخو جدوى
و ما درى انك من معشر * عطاءهم كالمنّ و السلوى
فجُد بما يثنيه مستخزيا * مما افترى من كذب الدعوى
و انثني جذلان اثني بما * اوليت من جدوى و من عدوى

قال فهش القاضي لقوله * و اجزل له من طوله * ثم لفت وجهه الى الغلام * و قد نصل له اسهم الملام * و قال له ارأيت بُطْلَ زعمك * و خطأ وهمك * فلا تعجل بعدها بذم * و لا تنحت عودا قبل عجم * و اياك و تأبيك * عن مطاوعة ابيك * فانك ان عدت تعقّه * حاق بك مني ما تستحقّه * فسقط الفتى في يده * و لاذ بحقو والده * ثم نهض يحفد * و تبعه الشيخ يُنشد * نظم

من ضامه او ضاره دهره * فليقصد القاضي في صعده
سماحه ازرى بمن قبله * و عدله اتعب من بعده

قال الراوي فحرت بين تعريف الشيخ و تنكيره * الى ان احروف لمسيره * فناجيت النفس باتباعه * و لو الى رباعه * لعلّي اظهر على اسراره * و اعرف شجرة ناره * فنبذت العلق * و انطلقت حين انطلق * و لم يزل يخطو و اعتقب * و يبعد و اقترب * الى ان ترأى الشخصان * و حق التعارف على الخلصان * فابدى حينئذ الاقتشاش * و رفع الارتعاش * و قال من كاذب اخاه فلا عاش * فعرفت عند ذلك انه السروجي بلا محالة * و لا حؤول حالة * فبادرت اليه لاصافحه * و استعرف سانحه و بارحه * فقال دونك ابن اخيك البرّ * و تركني و مرّ * فلم يعدُ الفتى ان افترّ * ثم فركما فرّ * فعدت و قد استبنت عينهما * و لكن اين هما *

المقامة الثامنة و الثلثون المروية

حكى الحارث بن همام قال حُبّب الي مذ سعت قدمي * و نفث قلمي * ان اتخذ الادب شرعة * و الاقتباس منه نجعة * فكنت اتقب عن احباره * و خزنة اسراره * فاذا الفيت منهم بغية الملتمس * و جذوة المقتبس * شددت يدي بغرزه * و استنزلت منه زكوة كنزه * على اني لم الق كالسروجي في غزارة السحب * و وضع الهناء مواضع النقب * الا انه كان اسير من المثل * و اسرع من القمر في النقل * و كنت ابوى ملاقاته * و استحسان مقاماته * ارغب في الاغتراب * و استعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب * فلما تطوحت الى مرو * و لا غرو * بشّرني بملقاه

زجر الطير * و الفال الذي هو بريد الخير * فلم ازل انشده في المحافل * و عند تلقي القوافل * فلا اجد عنه مخبرا * و لا اري له اثرا و لا عثيرا * حتى غلب الياس الطمع * و انزوي التاميل و انقمع * فاني لذات يوم بحضرة والي مرو * و كان ممن جمع الفضل و السرو * اذ طلع ابو زيد في خَلَق مملاق * و خُلُق مَلّاق * فحيّي الوالي تحية المحتاج * اذا لقيَ ربَّ التاج * ثم قال له اعلم وُقيت الذم * و كُفيت الهم * اَن من عُذقت به الاعمالُ * اُعلقت به الامالُ * و من رُفعت له الدرجات * رُفعت اليه الحاجات * و ان السعيد من اذا قدَرَ * و واتاه القدَرُ * ادّي زكوةَ النِّعم * كما يؤدّي زكوةَ النَّعم * و التزم لاهل الحُرم * كما يلتزم للاهل و الحرم * و قد اصبحتَ بحمد الله عميدَ مصرك * و عمادَ عصرك * تُزجي الركائبُ الى حرمك * وتُرجي الرغائب من كرمك * و تُنزل المطالب بساحتك * و تُستنزَلُ الراحة من راحتك * و كان فضلَ الله عليك عظيما * و احسانه لديك عميما * ثم اني شيخ تَربَ بعدَ الاتراب * و عدم الاعشابَ حين شاب * قصدتك من محَلّة نازحة * و حالة رازحة * آمُلُ من بحرك دُفعة * و من جاهك رِفعة * و التأميل افضل وسائل السائل * و نائل النائل * فاوجب لي ما يجب عليك * و احسِن كما احسن الله اليك * و اياك ان تلويَ عِذارك * عمن اردارك * و اَمَّ دارك * او تقبض راحك * عمن امتاحك * و امتار سماحك * فوالله ما مَجَدَ من جمد * ولا رشد من حشد * بل اللبيب من اذا وجدَ جاد * و ان بدأ بعائدة عاد * والكريم من اذا استُوهبَ الذهب * لم يهَبْ ان يهَبَ * ثم امسك يرقُب أكل غرسه * و يرصُد مطيبة نفسه * واحبَّ الوالي

ان يعلم هل نُطفتُه تمُد * ام لقريحته مدد * فاطرق يروّي في استيراء زنده * واستشفاف فرنده * والتبس على ابي زيد سرّ صَمْتته * وسببُ ارجاء صلته * فتوغّر غضبا * وانشد مُقتضبا * نظم

لا تحقرنّ ابيْتَ اللعنَ ذا ادبٍ * لان بدا خلَقَ السربال مُسْبرُوتا
ولا تضَع لاخي التاميل حرمتَه * اكان ذا لَسَنٍ ام كان سكّيتا
وانفح بعُرفك من وافاك مُختبطا * وانعش بغوثك من الفيتَ منكوتا
فخيرُ مال الفتى مالٌ اشادَ له * ذكرا تناقُلُه الركبانُ او صيتا
وما على المشتري حمدا بموهبة * غبن ولو كان ما اعطاه ياقوتا
لولا المُرُوّةُ ضاق العذرُ عن فطنٍ * اذا اشرأبّ الى ما جاوز القوتا
لكنه لابتناء المجد جد ومن * حُبّ السماح ثنى نحو الغنى ليتا
وما تنشّق نشرَ الشُّكرِ ذو كرم * الا وازري بنشر المسك مفتوتا
والحمد والبخل لم يُقضَ اجتماعهما * حتى لقد خِيل(١) ذا ضَبًّا وذا حوتا
والسمحُ في الناس محبوب خلائقُه * والجامد الكف ما ينفك ممقوتا
وللشحيح على امواله علل * يوسعنَه ابدا ذمًّا وتبكيتا
فجُد بما جَمعتْ كفّاك من نشَب * حتى يُرى مجتدي جدواك مبهوتا
وخُذ نصيبك منه قبلَ رائعةٍ * من الزمان تريك العود منحوتا
فالدهر انكد من ان تستمرّ به * حالٌ تكرّهتَ تلك الحالَ ام شئتا

فقال له الوالي تالله لقد احسنت * فاي ولد الرجل انت *

فنظر اليه عن عُرْض * ثم انشد وهو مُغْض * نظم

لاتسألِ المرءَ مَن ابوه وزُزْ * خلالَه ثم صِلْه او فاصْرِم
فما يشين السُّلافَ حين حلا * مذاقُها كونُها ابنة الحِصْرِم

قال فقرّبه الوالي لبيانه الفاتن * حتى احلّه مقعَد الخاتن *

(١) لقد قيل *

ثم فرض له من سيوب نيله * ما آذن بطول ذيله * و قصر ليله * فنهض عنه بردن ملان * و قلب جذلان * و تبعته حاذيا حذوه * و قافيا خطوه * حتى اذا خرج من بابه * و فصل عن غابه * قلت له هنيت بما اوتيت * و مليت بما اوليت * فاسفر وجهه و تلالا * و والى شكرا لله تعالى * ثم خطر اختيالا * و انشد ارتجالا * نظم

من يكن نال بالحماقة حظا * او سما قدره لطيب الاصول
فبفضلي انتفعت لابفضولي * و بقولي ارتفعت لا بقبولي

ثم قال تعسا لمن جدب الادب * و طوبى لمن جد فيه و دأب * ثم ودعني و ذهب * و اودعني اللهب *

المقامة التاسعة والثلثون العمانية

حدث الحارث بن همام قال لهجت مذ اخضر ازاري * و بقل عذاري * بان اجوب البراري * على ظهور المهاري * أنجد طورا * و اسلك تارة غورا * حتى فليت المعالم و المجاهل * و بلوت المنازل و المناهل * و ادميت المناسك و المناسم * و انضيت السوابق و الرواسم * فلما مللت الاصحار * و قد سنح لي ارب بصحار * ملت الى اختبار التيار * و اختيار الفلك السيار * فنقلت اليه اساودي * و استصحبت زادي و مزاودي * ثم ركبت فيه ركوب حاذر ناذر * عاذل لنفسه و عاذر * فلما شرعنا في القلعة * و رفعنا الشرع للشرعة * سمعنا من شاطئ المرسى * حين دجي الليل و اغسى * هاتفا يقول يا اهل ذا الفلك القويم * المزجى في البحر العظيم * بتقدير العزيز العليم * هل ادلكم

على تجارة تُنجيكم من عذاب اليم * فقلنا له اقبسنا نارك ايها الدليل * و ارشدنا كما يُرشِدُ الخليلَ الخليل * فقال أتستصحبون ابنَ سبيل * زادُه في زَبيل * و ظلّه غيرُ ثقيل * ما يبغي سوى مقيل * فاجمعنا على الجنوح اليه * و ان لانبخل بالماعون عليه * فلما استوى على الفُلك * قال اعوذ بمالك الملك * من مسالك الهُلك * ثم قال انا رُوِينا في الاخبار * المنقولة عن الاحبار * ان الله تعالى ما اخذ على الجهال ان يتعلموا * حتى اخذ على العلماء ان يعلموا * و إنَّ معي لعُوذة * عن الانبياء ماخوذة * و عندي لكم نصيحة * براهينها صحيحة * و ما وسعني الكتمان * و لا من خِيمي الحِرمان * فتدبَّروا القولَ و تفهَّموا * و اعمَلوا بما تُعلَّمون و علِّموا * ثم صاح صيحة المُباهي * و قال اتدرون ما هي * هي و الله حِرزُ السَّفْر * عند مسيرهم في البحر * و الجُنَّةُ من الغم * اذا جاش موج اليَمّ * و بها استعصم نوحٌ يوم الطوفان * و نجا و من معه من الحيوان * علي ما صدَعَتْ به آيُ القران * ثم قرأ بعد اساطير تلاها * و زخارفَ جلاها * و قال إركبوا فيها * بســم الله مُجْراها و مُرساها * ثم تنفَّس تنفُّسَ المغرمين * اوعداد الله المكُرمين * و قال اما انا فقد قمتُ فيكم مقام المُبلِّغين * و نصحتُ لكم نُصح المبالغين * و سلكت بكم (†) محجة الراشدين * فاشهد اللهم و انت خير الشاهدين * قال الحارث بن همام فاعجبنا بيانه البادي الطُّلاوة * و عجَّتْ له اصواتنا بالتلاوة * و آنس قلبي من جَرْسِه * معرفةَ عينِ شمسه * فقلتُ له بالذي سخَّر البحر اللُّجّي * ألستَ السروجي * فقال الي بلى * و هل يخفي ابن جلا * فاحمدت حينئذ

(†) و دعوتكم الى *

السَفر * و سفَرتُ عن نفسي اذ سفَر * و لم نزل نسير و البحر رهو * و الجو صحو * و العيش صفو * و الزمان لهو * و انا اجد للقيانه * وجْد المُثري بعقيانه * و افرح بمناجاته * فرح الغريق بمَنَجاته * الى ان عصَفت الجَنوب * و عسَفت الجُنوب * و نسيَ السفرُ ما كان * و جاءهم الموجُ من كل مكان * فمالنا لهذا الحَدَث الثائر * الى احدي الجزائر * لنُريح و نستريح * ريثما تواتي الريح * فتمادى (†) اعتياصُ المسير * حتى نفدَ الزادُ غيرَ اليسير * فقال لي ابو زيد انه لن يُحرز جَنى العُود بالقُعود * فهل لك في استثارة السُّعود بالصُّعود * فقلت له انّي لك لاتبع من ظلك * و اطوع من نعلك * فنهضنا الى الجزيرة * على ضعف من المريرة * لنركُضَ في امتراء الميرة * و كلانا لا يملك (‡) فتيلا * و لا يهتدي فيها سبيلا * فاقبلنا (§) نجوس خلالَها * و نتفيّأُ ظلالها * حتى افضينا الى قصر مشيد * له باب من حديد * و دونه زُمرة من عبيد * فناسمناهم لنتّخذهم سُلّما الى الارتقاء * و ارشيةً للاستقاء * فالفيناكلا منهم في مسك كسير * و كرب اسير * فقلنا ايتها الغِلْمة * لِمَ هذي الغُمّة * فلم يُجيبوا النداء * ولا فاهوا ببيضاءَ و لا سوداء * فلما رأينا نارهم نار الحُباحب * و خبرهم كسراب السباسب * قلنا شاهت الوجوه * و قبُح اللُّكَعُ و من يرجوه * فابتدر خادم قد علته كبرة * و عرته عبرة * فقال يا قوم لا توسعُونا سبًّا * و لا توجعونا عتبا * فانا لفي حزن شامل * و شغل عن الحديث شاغل * فقال له ابو زيد نفِّس خناق البثّ * و انفثْ ان قدرت على النفث * فانك ستجد مني عَرّافا كافيا * و وصّافا شافيا * فقال اعلم ان رب هذا القصر هو

(†) وتمادى (‡) و ما فينا من يملك (§) فلم نزل •

قطبُ هذه البقعة * و شاهُ هذه الرُّقعة * إلا انه لم يخلُ من كمد * لخلوه من ولد * و لم يزل يستكرم المغارس * و يتخير من المفارش(§) النفائس * الى ان بُشِّر بحمل عقيلة * و آذنت رقلته بفسيلة * فنُذرت النذور(†) * و أُحصيت الايام و الشهور * و لما حان النتاج * و صيغ الطوق (‡) و التاج * عسُر مخاض الوضع * حتى خيف على الاصل و الفرع * فما فينا من يعرفُ قرارا * و لا يطعمَ النوم الا غرارا * ثم اجهش بالبكاء و اعول * و ردد الاسترجاع و طوّل * فقال له ابو زيد أسكن يا هذا و استبشر * و ابشر بالفرج و بشّر * فعندي عزيمة الطّلق * التي انتشر سمعها في الخلق * فتبادرت الغلمة الى مولاهم * متباشرين بانكشاف بلواهم * فلم يكن الا * كلا و لا * حتى برز من هلمّ بنا اليه * فلما دخلنا عليه * و مثلنا بين يديه * قال لابي زيد ليهنك مثالك * ان صدق مقالك * و لم يفل فالك * فاستحضر قلما مبريا * و زبدا بحريا * و زعفرانا قد ديف * في ماء ورد نظيف * فما ان رجع النفس * حتى احضر ما التمس * فسجد ابو زيد و عفّر * و سبّح و استغفر * ثم اخذ القلم و اسحنفر * و كتب على الزبد بالمزعفر * نظم

ايهذا الجنينُ اني نصيح * لك والنصح من شروط الدين
انتَ مستعصم بكنّ كنين * و قرارٍ من السكون مكين
ماترى فيه ما يروعك من الـ*ـف مُداج و لا عدوّ مبين
فمتى ما برزتَ منه تحولـ*ـت الى منزل الاذى والهون
و ترائى لك الشقاء الذي تلـ*ـقى فتبكى له بدمع هتون
فاستدم عيشك الرغيد وحاذر * ان تبيع المحقق بالمظنون

(§) و يتخير المفارش • (†) فنذرت له النذور • (‡) و صيغ له الطوق •

و احترس من مخادع لك يوقيه * كي يلقيك في العذاب المهين

و لعمري لقد نصحت و لكن * كم نصيح مشبه بظنين

ثم انه طمس المكتوب على غفلة * و تفل عليه مائة تفلة * و شد الزبد في خرقة حرير * بعد ما ضمخها بعبير * و امر بتعليقها على فخذ الماخض * و ان لا تعلق بها يد حائض * فلم يك الا كفواق شارب * او فواق حالب * حتى اندلق شخص الولد * بخصيصي الزبد * بقدرة الواحد الصمد * فامتلا القصر حبورا * و استطير عميده و عبيده سرورا * و احاطت الجماعة بابي زيد تثني عليه * و تقبل يديه * و تتبرك بمساس طمريه * حتى خيل الي انه القرني اويس * او الاسدي دبيس * ثم انثال عليه من جوائز المجازاة * و صلات الصلات * ما قيض له الغنى * و بيض وجه المنى * و لم يخل يتقاضاه(†) الدخل * مذ نتج السخل * الى ان اعطى البحر الامان * و تسنى الاتمام الى عمان * فاكتفى ابو زيد بالقحلة * و تاهب للرحلة * فلم يسمح الوالي بحركته * بعد تجربة بركته * بل اوعز بضمة الى حزانته * و ان تطلق يده في خزانته * قال الحارث بن همام فلما رأيته قد مال * الى حيث يكتسب المال * انحيت عليه بالتعنيف * و هجنت له مفارقة المالف و الاليف *

فقال اليك عني * و اسمع مني * نظم

لا تصبون الى وطن * فيه تضام و تمتهن

و ارحل عن الدار التي * تعلي الوهاد على القنن

و اهرب الى كن يقي * و لو انه حضنا حضن

و اربأ بنفسك ان تقيم بحيث يغشاك الدرن

(†) و لم يخل من ان يتقاضاه *

رُجب البلاد فايها * ارضاك فاختره وطن
ودع التذكّر للمعا * هد والحنينَ الى السكن
واَعلم بان الحرّ في * اوطانه يلقى الغَبَن
كالدر في الاصداف يُسـتزرى ويُبْخَسُ في الثمن

ثم قال حسبك ما استمعت * وحبّذا انت لو اتبعت * فاوضحت له معاذيري * وقلت له كن عذيري * فعذر واعتذر * وزوّد حتى لم يذر * ثم شيّعني تشييع الاقارب * الى ان ركبت فى القارب * فودعته وانا اشكو الفراق واذمّه * واَودُّ لو كان هلك الجنين وامّه *

المقامة الاربعون التبريزية

اخبر الحارث بن همام قال ازمعت التَّبريزَ * من تَبْريزَ * حين نبتْ بالذليل والعزيز * وخلَتْ من المُجير والمُجيز * فبينا انا فيّ اعداد الاهبة * وارتياد الصحبة * لقيت ابا زيد السروجى ملتفًّا بكساء * ومحتفًّا بنساء * فسالته عن خَطْبه * الى اَين يسرُبُ مع سِرْبه * فاوما الى امرأةٍ منهنّ باهرةِ السُّفُور * ظاهرةِ النُّفور * وقال تزوجتُ هذه لتُونسني فى الغربة * وترحضَ عني قَشَفَ العُزْبة * فلقيتُ منها عُرَقَ القِربة * تمطلُني بحقّي * وتكلفني فوق طوقي * فانا منها نِضْوُ وجًى * وحِلْفُ شجوٍ وشجًى * وها نحن قد تساعينا الى الحاكم * ليضرب على يد الظالم * فان انتظم بيننا الوفاق * والا فالطلاق والانطلاق * قال فملتُ الى انْ آخْبُرَ لمن الغلب * وكيف يكون المنقلب * فجعلت شغلي دُبْرَ اُذني * وصحبتُهما وان كنتُ لا اُغني * فلما حضرا القاضيَ وكان ممن يرى فضلَ الامساك * ويضِنُّ بذُفافةِ السِّواك * جثا

ابو زيد بين يديه * و قال أيَّد الله القاضي و احسن اليه * ان مطيّتي هذه ابيّةُ القياد * كثيرة الشِراد * مع اني اطوَعُ لها من بَنانها * و احنى عليها من جَنانها * فقال لها القاضي ويحكِ ا ما علمتِ ان النشوز يُغضِب الربَّ * و يوجِبُ الضرب * فقالت انه ممن يدور خَلْف الدار * و ياخذ الجارَ بالجار * و ليس لي على ذاك اصطبار * فقال له القاضي تبًّا لك ا تبذُر في السِّباخ * و تستفرِخُ حيثُ لا إفراخَ * اُغْرُبْ عني لا نعِمَ عوفُك * و لا آمن خوفُك * فقال ابو زيد انها و مرسلِ الرياح * لاكذَبُ من سَجاح * فقالت بل هو و من طوّق الحمامة * و جنَّحَ النَّعامة * اكذَبُ من ابي ثُمامة * حين مَخْرَقَ باليمامة * فزفَر ابو زيد زفيرَ الشُّواظ * و استشاط إستشاطَةَ المغتاظ * و قال لها ويلكِ يا دَفارِ * يا فجارِ * يا غُصَّةَ البَعْلِ و الجار * ا تعمِدينَ في الخلوة لتعذيبي * و تُبدِينَ في الحَفْلة تكذيبي * و قد علمتِ اني حين بنَيتُ عليكِ * و رنوتُ اليكِ * الفيتُكِ اقبحَ من قِرْدة * و ايبَسَ من قِدّة * و اخشنَ من لِيفَة * و انتنَ من جيفة * و اثقلَ من هَيضَة * و اقذر من حَيضَة * و ابرز من قِشرة * و ابردَ من قِرَّة * و احمقَ من رِجلة * و اوسعَ من دِجلة * فسترتُ عُوارَكِ * و لم اُبدِ عارَكِ * على انّه لو حبَتْكِ شيرينُ بجمالها * و زُبيدةُ بمالها * و بلْقيسُ بعَرْشِها * و بُورانُ بفَرْشها * و الزَّبَّاء بمُلْكها * و رابعةُ بنُسْكها * و خِندَفُ بفخرها * و الخَنْساءُ بشِعرها في صَخْرها * لانفتُ ان تكوني قعيدَةَ رَحْلي * و طَرُوقَةَ فحلي * قال فتذمَّرتِ المرأةُ و تنمّرتْ * و حسَرتْ عن ساعدها و شمَّرت * و قالت له يا ألأمَ من مادِر * و أشأمَ من قاشر * و اجبنَ من صافر * و أطيشَ من طامر * ا ترميني بشنارك * و تفري

عِرضي بِشفارِك * و انت تعلم انك احقر من قُلامة (†) *
و اعيب من بغلة ابي دُلامة * و افضح من حبقة في حَلْقَة *
و احير من بَقّة في حُقّة * و هَبْك الحَسَنَ في لفظه و وعظه *
و الشَّعبيَّ في علمه و حفظه * و الخليل في عروضه و نحوه *
و جَرِيراً في غزله و هجوه * و قُسًّا في فصاحته و خطابته * و عبدَ
الحميد في بلاغته و كتابته * و ابا عمرو في قراءته و اعرابه * و ابنَ
قُريب في روايته عن اعرابه * ا تظُنني ارضاك اماما لمحرابي *
و حُساما لقرابي * لا و الله و لا بوّابا لبابي * و لا عصاً لجِرابي *
فقال لهما القاضي اراكما شَنًّا و طَبَقَة * و حِداةً و بُنْدُقة * فاترُك
ايُّها الرجل اللدد * و اسلُك في ميرك الجَدَدَ * و اما انتِ
فكُفّي عن سِبابه * و قِرّي اذا اتى البيتَ من بابه * فقالت
المرأة و الله ما اسجُنُ عنه لساني * الا اذا كساني * و لا ارفع
له شِراعي * دون اشباعي * فحلف ابو زيد بالمُحرِجات (§)
الثلث * انه لا يملك سوى اطماره الرِثاث * فنظر القاضي في
قَصَصهما نظر الالمعي * و افكر فكرة اللوذعي * ثم اقبل عليهما
بوجه قد قَطّبه * و مِجَنّ قد قلّبه * و قال ا لم يكفكما التسافهُ في
مجلس الحُكم * و الاقدامُ على هذا الجرم * حتى ترافيتما من
فُحش المُقاذعة * الى خبث المخادعة * و ايمُ الله لقد اخطأت
استُكُما الحُفرة * و لم يُصب سهمكما الثُغْرة * فانّ اميرالمؤمنين *
اعز الله ببقائه الدين * نصبني لاقضي بين الخُصَماء * لا لاقضي دين
الغرماء * و و حق (‡) نعمته التي احلّتني هذا المحل * و ملّكتني
العقد و الحلّ * لئن لم توضحا لي جليّة خطبكما * و خبيّة خبّكما *

(†) احقر من قلامة في قمامة (§) بالمُحرّجات (‡) و حق *

لأُنَدِّدَنَّ بكما في الامصار * ولاجعلنكما عبرة لاولي الابصار * فاطرق ابو زيد اطراق الشجاع * ثم قال له سَماعِ سَماعِ * نظم

انا السروجي و هذي عِرسي * و ليس كفو البدر غيرَ الشمس
و ما تنافى انسها و انسي * و لا تناءى دَيرها عن قَسّي
و لا عدتْ سُقياي ارضَ غَرسي * لكننا منذ ليال خمس
نُصْبِح في ثوب الطوى و نُمسي * لا نعرف المضغ و لا التحسّي
حتى كأنّ لخُفُوتِ النفس * اشباحُ موتى نُشروا من رمس
فحين عز الصبر و التأسي * و شَفَّنا الضُّرّ الاليم المَسّ
قمنا لسعد الجدّ او للنحس * هذا المقام لاجتلاب فلس
و الفقرُ يُلجي الحرّ حين يُرسي * الى التحلي في لباس اللَّبس
فهذه حالي و هذا درسي * فانظر الى يومي و سل عن امس
و امُر بجبري ان تشا او حبسي * ففي يديك صحّتي و نُكسي

فقال له القاضي ليثُبْ انسُك * و لتطب نفسك * فقد حق لك ان تُغفر خطيئتك * و توفر عطيتك * فثارت الزوجة عند ذلك و استطالت * و اشارت الى الحاضرين و قالت * نظم

يا اهلَ تبريز لكم حاكم * اوفى على الحكام تبريزا
ما فيه من عيب سوى انه * يوم الندى قسمتُه ضيزى
قصدته و الشيخ نبغي جنىً * عودٍ له ما زال مهزوزا
فسرَّح الشيخَ و قد نال من * جَدواه تخصيصا و تمييزا
و ردَّني اخيبَ من شائم * برقا خفا في شهر تمّوزا
كانه لم يدر اني التي * لقّنتُ ذا الشيخَ الاراجيزا
و انني ان شئتُ غادرتُه * اضحوكةً في اهل تبريزا

قال فلما رأى القاضي اجتراء جنانهما * و انصلاتَ لسانهما * علم

انه قد مُنِيَ منهما بالداء العياء * و الداهية الدهياء * و انه متى منَحَ احدَ الزوجين * و صرف الاخَرَ صَفرَ اليدين * كان كمن قضى الدين بالدين * او صلى المغربَ ركعتين * فطَلْسَمَ و طَرْسَمَ * و اِخرَنْطَمَ و بَرْطَمَ * و همهم و غمغم * ثم التفتَ يمنة و شأمة * و تململ كآبة و ندامة * و اخذ يذمُّ القضاء و متاعبَه * و يُعدّد شوائبَه ونوائبَه * و يُفنّد طالبَه و خاطبَه * ثم تنفَّسَ كما يتنفس الحريب * و انتحب حتى كاد يفضحه النحيب * و قال ان هذا لشيءٌ عجيب * أ أُرشق في موقفٍ بسهمين * أ أُلزَم في قضيّة مغرمين * أ أُطيق ان أُرضي الخصمين * ومن اين * و من اين * ثم عطف الى حاجبه * المُنفّذ لمآربه * و قال ما هذا يوم حكم و قضاء * و فصل و امضاء * هذا يوم الاغتمام * هذا يوم الاغترام * هذا يوم البُحران * هذا يوم الخُسران * هذا يوم عصيب * هذا يومٌ نُصاب فيه و لا نُصيب * فارحني من هذين المِهذارين * و اقطع لسانهما بدينارين * ثم فرِّق الاصحاب * و اغلِق الباب * و اشِعْ انه يومٌ مذموم * و ان القاضي فيه مهموم * لئلا يحضُرَني خُصوم * قال فامَّنَ الحاجب على دعائه * و تباكى لبكائه * ثم نقد ابا زيد و عِرسه المثقالين * و قال اشهد انكما لاحيلُ الثقلين * لكن احترما مجالس الحكام * و اجتنبا فيها فُحشَ الكلام * فما كل قاض قاضيُ تبريز * و لا كل وقت تُسمع الاراجيز * فقالا له مثلك من حجب * و شكرك قد وجب * و نهضا وقد حُظيا بدينارين * و اصليا قلبَ القاضي نارين *

تفسير ما تضمن هذه المقامة من الالفاظ اللغوية و الامثال العربية

قوله لقيت منها عَرَق القِربة - هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة

في الامر الذي يزاوله كما ان حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق * و قوله جعلته دبر أذني - يعني اطرحته و هو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم * و قوله أكذب من سجاح - يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب * و سارت اليه لتناظره و تختبره * ثم آمنت به و وهبت نفسها له * و هذا الاسم مبني على الكسر مثل حذام و قطام لكونه من الاسماء المعدولة و اشتقاقه من السجاحة و هي السهولة و منه قولهم ملكت فاسجح * و قولها اكذب من ابي ثمامة - هذه كنية مسيلمة الكذاب و كان تنبأ باليمامة و تمخرق بها الى أن سار اليه خالد بن الوليد و قتله * و قوله لانعم عوفك - العوف الحال و هو ايضا الذكر * و يدعى للباني على أهله فيقال له نعم عوفك * و قوله يا دفار و يا فجار - هذان الاسمان معدولان عن دفرة و فاجرة و الدفر الذنن و به سميت الدنيا أم دفر و كل ما سمي بصفة غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر عند النداء كقولك يا لكاع يا خباث يا دفار يا فجار و لا يجوز استعمال ذلك في غير النداء الا في ضرورة الشعر كقول الشاعر * نظم

أطوف ما أطوف ثم آوي * الى بيت قعيدته لكاع

و اما قوله احمق من رجلة - فهي ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فيجترفها * و اما قولها الأم من مادر - فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضا لسقي ابله فلما رويت سلح فيه و مدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده (†) * و اما قولها اشأم من قاشر - فانه فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة ما طرق ابلا الا ماتت * و قيل المراد به العام المجدب و سمي قاشرا

(†) ينتفع به من بعده ٠

القشرة وجه الارض من النبات * و اما قولها اجبن من صافر. فقد اُختُلف في تفسيره قال بعضهم عُني به كل ما يصفُر من الطير* و خُصَّ بالجُبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو و مصائد الارض * و قيل انه طائر بعينه اذا جنَّهُ الليل تعلق ببعض الاغصان و لم يزل يصفُر طول ليلته خوفا من ان ينام فيوخذ * و قيل انه الذي يصفُر بالمرأة لريبة فهو يجبُنُ وقت صفيره مخافة ان يُظْهَرَ على امره * و قيل ان المراد به في المثل المصفور به و هوالذي يُنذَر بالصفير ليهرُبَ فعلى هذا القول فاعل هٰهنا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق اى مدفوق و كقولهم راحلة بمعنى مرحولة و هو كثير في كلامهم و قد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا اي ساترا * و اما قولها الطيش من طامر. فالمراد به البُرغُوث و يسمى طامر بن طامر لكثرة وثوبه * و اما قول القاضي اراكما شنًّا و طَبَقَة و حدأة و بُندُقه. فانه اراد به ان كلا منكما كفو لصاحبه و مقاوم له و لكل من المثلين تفسير مختلف فيه * اما شَنٌّ و طَبَقَة فان العلماء مختلفون في معني قولهم وافق شَنٌّ طبقة فقال الاكثرون انهما قبيلتان فشن هو ابن اَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن اسد بن رَبيعة بن نِزار * و طبقةُ حيٌّ من اياد و كانت طبقةُ لاتطاق فاوقعت بها شن فانتصفت منها * و قال بعضهم كان شَنٌّ رجلا من دُهاة العرب و كان الزم نفسه الّا يتزوج الا بامرأة تلائمه فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته فصاحبه رجل في بعض اسفاره فلما اخذ منهما السير قال له شَنٌّ اتحملني ام احملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكبُ الراكبَ فامسك و سارا حتى اتيا على زرع فقال له شَنٌّ اترى هذا الزرع قد اُكل ام لا فقال له يا جاهل

اما تراه في سُنْبُله فامسك الى ان استقبلتهما جنازة فقال له شن اترى صاحبها حيًّا ام لا فقال له ما رأيت اجهل منك اتراهم حملوا الى القبر حيًّا ثم انهما وصلا الى قرية الرجل فصار به الى منزله و كانت له بنت تسمى طَبَقَة فاخذ يُطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق الا بالصواب و لا استفهمك الا عما يُستَفهَم عن مثله اما قوله اتحملني ام احملك فانه اراد اتحدثني ام أُحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث و اما قوله اترى هذا الزرع أُكل ام لا فانه اراد هل استسلف اهله(†) ثمنه ام لا و اما استفهامه عن صاحب الجنازة(‡) فانه اراد اخلف عَقِباً يحيى ذكره به ام لا فلما خرج الى الرجل حدثه بتاويل ابنته كلامه فخطبها اليه فزوجه اياها فلما سار بها الى قومه و خَبِروا ما فيها من الدهاء و الفطنة قالوا وافق شن طبقة فسارت مثلا * و حكى ان الاصمعي سئل عن تفسير هذا المثل فقال اظُنّ الشن وعاء من ادم كان قد استشن فلما اتُّخذ له غطاء وافقه ضُرب فيه هذا المثل * و اما حِدأةً و بُندُقة فانه يقال في المثل المضروب لمن يفزَّع بعدوه او يُبلى بنظيره حِدأ حِدأ وراءك بُندقةْ و كان الاصل حِدأة باثبات الهاء فرخِّم في النداء و قد اختُلِفَ في المراد بهما فقيل هما الطائر المعروف و بُندقةُ الرامي و قيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة فاغارت حِدأة و كانت تنزِل بالكوفة على بندقة و كانت تنزِل باليمن فنالت منهم ثم كرت بُندقةُ على حِدأة فانحت عليهم و روى بعضهم هذا المثل حِدا حِدا غير مهموز على مثال عصا و قفا * و زعم انه اسم القبيلة * و اما قوله اخطأَت استُكَما الحفرة فانه مثل يضرب لمن يُخطئ في مقصده

(†) اربابه (‡) الجنازة احى هو فانه •

و يَضَعُ الشيء في غير موضعه * و اما قوله طَلْسَمَ و طَرْسَمَ - فمعنى طلسم كَرَّهَ وجهه و معنى طرسم اطرق * و قوله اِخْرَنْطَمَ و برطم - اى غضِبَ و قطَّب و قيل معنى اَخرنطم اى غضِبَ مع تكبر و معنى برطم اى غضِبَ مع تعبُّس * و قوله همهم وغمغم - اى لم يبيّن الكلام *

المقامة الحادية و الاربعون

التنيسية

حدث الحارث بن همام قال اطعتُ دواعي التصابي * في غُلَواءِ شبابي * فلم ازل زيرا للغيد * و اُذُنا الاغاريد * الى ان وافي النذير * و ولّى العيش النضير * فقمتُ الى رُشد الانتباه * و ندِمتُ على ما فرّطت في جنب الله * ثم اخذت في كَسْعِ الهنات بالحسنات * وتلافي الهفوات قبل الفوات * فملت عن مغاداة الغادات * الى ملاقاة التقاة * و عن مُقاناة القَينات * الى مُداناة اهل الديانات * و آليت ان لا اصحب الا من نزَع من (†) الغيّ * و فاء منشره الى الطيّ * و ان الفيتُ من هو خليع الرَّسَن * مديد الوسن * انأيت داري عن داره * و فررت من عره و عاره * فلما القتنى الغربة بتِنِّيسَ * و احلّتْني مسجدها الانيس * رأيت به ذا حلقة مُلتحمة * ونظّارة مزدحمة * و هو يقول بجاش متين * و لسان مُبين * مسكين ابن آدم و اىُّ مسكين * ركَنَ من الدنيا الى غير ركين * و استعصم منها بغير مكين * و ذُبِح من حبها بغير سكّين * يَكْلَف بها لغباوته * يَكْلَبُ عليها لشقاوته * و يعتدّ فيها

(†) عن *

لمفاخرته * ولا يتزود منها لاخرته * أقسمُ بمن مرج البحرين * ونوّر القمرين * ورفع قدْر الحجرين * لو عقَلَ ابنُ آدم * لما نادم * ولو افكر فيما قدّم * لبكى الدّم * ولو ذكر المكافاة * لاستدرك ما فات * ولو نظر في المآل * لحسّنَ قُبحَ الاعمال * يا عجبا كلّ العجب * لمن يقتحم ذات اللهب * في اكتناز الذهب * وخَزن النَّشَب * لذوي النسب * ثم من البدْع العجيب * ان يَعظَك وخْطُ المشيب * وتؤذنَ شمسُك بالمغيب * ولستَ ترى ان تُنيب * وتُهذّب المعيب * ثم اندفع يُنشد * إنشاد من يرشد * نظم

يا ويحَ من انذره شيبُـه * وهو على غيّ الصّبا منكمشْ
يعشو الى نار الهوى بعد ما * اصبح من ضعف القوى يرتعشْ
ويمتطي اللهـو ويعتـدُّه * اوطأ ما يفترشُ المفترشْ
لم يهب الشيب الذي ما رأى * نجومه ذو اللب الا دُهشْ
ولا انتهى عما نهـاه النُّهى * عنه ولا بالى بعرضٍ خُدشْ
فذاك ان مات فسُحْقا له * وان يَعشْ فهو كمن لم يعشْ
لا خيرَ في محيا امرئ نشره * كنشر مَيْتٍ بعد عشرٍ نُبشْ
وحبذا مَن عرضهُ طيّبٌ * يروقُ حُسنًا مثلَ بُرْدٍ رُقشْ
فقل لمن قد شاكه ذنبُهُ * هلكتَ يا مسكينُ او تنتقشْ
فاخلصِ التوبةَ تطمسْ بها * من الخطايا السود ما قد نُقشْ
وعاشرِ الناسَ بخُلقٍ رضًا * ودارِ مَن طاشَ ومَن لم يطشْ
ورِشْ جناحَ الحُـرِّ ان حصّهُ * زمانُه لا كان من لم يَرِشْ
وانجِدِ الموتورَ ظلما فان * عجزتَ عن انجاده فاستجشْ
وانعَشْ اذا ناداك ذو كبوة * عساك في الحشر به تنتعشْ
وهاكَ كاسَ النُّصحِ فاشرب وجُدْ * بفضلة الكاس على من عطشْ

قال فلما فرغ من مبكياته * و قضى إنشاد ابياته * نهض صُبيٌّ قد شَدَن * و اعرى البدن * وقال يا ذوى الحَصاة * و الانصات الى الوَصاة * و قد وعيتم الانشاد * وفقهتم الارشاد * فمن نوى منكم ان يقبل * و يُصلح المستقبل * فليُبِن ببري عن نيته * و لايَعدِل عني بعطيته * فوالذي يَعلَم الاسْرار * و يَغفر الاصْرار * إنّ سري لكما تَرْون * و ان وجهي ليستوجب الصَون * فاعينوني رُزقتم العون * قال و اخذ الشيخ فيما يَعطف عليه القلوب * و يستنّي له المطلوب * حتى انبط حفره (†) * و اعشوشب قفره * فلما ان ترِع الكيس * انصلت يَميس * و نحمد تَنَيُّس * و لم يحل للشيخ المقام * بعدما انصاع الغلام * فاسترفع الايدي للدعاء * ثم نحا نحو الانكفاء * قال الراوي فارتحت الى ان اعْجُمه * و احُلَّ مترجمه * فتبعته و هو يشتدّ في سَمْته * و لا يَفتُق رَتْق صَمْته * فلما آمِن المُفاجئ * و امكن التناجي * لفت جيده اليَّ * و سلم تسليم البشاشة عليَّ * ثم قال اراقك ذكاء ذاك الشُوَيْدن * فقلت اى و المؤمن المُهيْمِن * قال انه فتى السروجي * و مُخرج الدُّر من اللجي * فقلت اشهد انك لشجرةُ ثمرتِه * و شُواظُ شررَتِه * فصدَّق كهانتي * و استحسن ابانتي * ثم قال هل لك في ابتدار البيت * لنتنازعَ كاس الكُميت * فقلت له ويحك اتامُرون الناس بالبر و تنسَوْن انفسكم * فافترَّ افترار متضاحك * و مرَّ غير مُماحك * ثم بدا له ان تراجع اليَّ * و قال احفظها عني و عليَّ * نظم

اصرف بصرْف الراح عنك الاسى * و روِّح القلب و لا تكتئبْ
و قل لمن لامك فيما به * تَدفَع عنك الهم قَدْك اتّئب

(†) جفرة *

ثم قال اما انا فسانطلق * الى حيث اصطبح و اغتبق * و اذا كنت لا تصحب * و تلائم من يطرب * فلست لي برفيق * و لاطريقك لي بطريق * فخل سبيلي و نكب * و لا تنقر عني و لا تنقب * ثم ولى مدبرا و لم يعقب * قال الحارث بن همام فالتهبت وجدا عند انطلاقه * و وددت لو لم الاقه *

المقامة الثانية والاربعون النجرانية

حكى الحارث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى * و مساري الهوى * الى ان صرت ابن كل تربة * و اخا كل غربة * الا اني لم اكن اقطع واديا * و لا اشهد ناديا * الا لاقتباس الادب المسلي عن الاشجان * المغلي قيمة الانسان * حتى عرفت لي هذه الشنشنة * و تناقلتها عني الالسنة * و صارت اعلق بي من الهوى ببني عذرة * و الشجاعة بآل ابي صفرة * فلما القيت الجران بنجران * و اصطفيت بها الخلان و الجيران * تخذت انديتها معتمري * و موسم فكاهتي و سمري * فكنت اتعهدها صباح مساء * و اظهر فيها على ما سر و ساء * فبينما انا في ناد محشود * و محفل مشهود * اذ جثم لدينا هم * عليه هدم * فحيى تحية ملق * بلسان ذلق * ثم قال يا بدور المحافل * و بحور النوافل * قد بين(†) الصبح لذي عينين * و ناب العيان مناب عدلين * فماذا ترون فيما ترون * اتحسنون العون * ام تنأون اذ تدعون * فقالوا تالله لقد غظت * و رمت ان تنبط فغضت * فناشدهم الله عما ذا صدهم * حتى استوجب ردهم * فقالوا كنا نتناضل بالالغاز * كما يتناضل يوم البراز * فما تمالك ان شعث من المنصول * و الحق هذا الفضل

(†) تبين *

بَنمط الفضول * فلَسَعَهُ لُسُنُ القوم * و وخزوه بأسنّة اللوم * و اخذ هو يتنصّل من هفوته * و يتندّم على نوهته * و هم مُضِبّون على مواخذته * و ملبّون داعي منابذته * الى ان قال لهم يا قوم ان الاحتمال من كرم الطبع * فعدوا عن اللذع و القذع * ثم هلُمّ الى ان نُلغز * و نحكم المبرز * فسكن عند ذلك توقدهم * و انحلّت عُقدهم * و رضوا بما شرط عليهم و لهم * و اقترحوا ان يكون اولهم * فامسك ريثما يُعقد شِسع * او يُشدّ نسع * ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش * ملتام العيش * و انشد مُلغِزا في مروحة الخيش * نظم

و جارية في سيرها مشمعلّة * و لكن على إثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثّها * على انه في الاحتثاث رسيلها
ترى في اوان القيظ تَنطُف بالندى * و يبدو اذا ولّى المَصيف قُحولها

ثم قال و هاكم يا اولى الفضل * و مراكز العقل * و انشد ملغزا في دابول النخل * نظم

و منتسب الى أمّ * تنشّأ اصله منها
يُعانقها و قد كانت * نفتْه برهةً عنها
به يتوصل الجاني * و لا يُلحى و لا يُنهى

ثم قال و دونكم الخفية العَلَم * المعتكرة الظُّلَم * و انشد مُلغزاً في القلم * نظم

و مأموم به عُرف الامام * كما باهَتْ بصحبته الكرام
له اذ يرتوي طيشان صادٍ * و يسكنُ حين يعروه الأُوام
و يذري حين يستسعي دموعا * يرقّن كما يرقّ الابتسام

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل * الفاضحة ما قيل * و انشد ملغزا في الميل * نظم

و ما ناكح أُختين جهرا و خفية * و ليس عليه فى النكاح سبيلُ
متى يغش هذي يغش فى الحال هذه * و ان مال بعل ام تجده يميلُ
يزيدهما عند المشيب تعهدا * و برّاً و هذا فى البعول قليـــلُ

ثم قال و هذه يا ذوى الالباب * معيار الاداب * و انشد ملغزا فى الدولاب * نظم

و جافٍ وَهْوَ موصول * وصول ليس بالجـافي
غـريق بارز فاعجب * له من راسب طاف
يَسُـحّ دُموعَ مهضوم * ويهضِــم هَضم متلاف
ويُخشى منـه حدّتهُ * و لكـن قلبـه صاف

قال فلما رَشَق * بالخمس التي نَسَق * قال يا قوم تدبّروا هذه الخمس * و اعقدوا عليها الخمس * ثم رأيكم و ضمّ الذيل * او الازدياد من الكيل * قال فاستفزّت القومَ شهوةُ الزيادة * على ما أشربوا من البلادة * فقالوا له ان وقوفنا دون حدّك * ليفهمنا عن استيراء زَنْدك * فان اتممتَ عَشرا فمن عندك * فاهتزّ اهتزازَ من فلَج شهمهُ * و انخزل خصمه * ثم افتتح النطق بالبَسْمَلة * و انشد ملغزا فى المُزمَّلة * نظم

و مسرورةٍ مغمومةٍ طولَ دهرها * و ما هي تدري ما السرورُ و لا الغمُّ
تُقرِّب احيانا لأجل جنينهـا * و كم ولد لـولاه طُلّـقت الأمُّ
و تُبعَدُ احيانا و ما حال عهدُها * و ابعادُ مَن لم يستحل عهدُه ظلمُ
اذا قَصُر الليلُ استُلذَّ وصالهـا * و ان طال فالاعراض عن وصلها نُعْمُ
لها ملبس بادٍ انيقُ مُبطَّنٌ * بما يُزدرى لكن لما يزدرى الحكمُ

ثم كَشَر عن أنيابه الصُّفْر * و انشد ملغزا فى الظُّفْر * نظم

و مرهوبِ الشـبا نامٍ * و ما يرعى و لا يَشرَبْ

يُرى في العشر دون النحر * فاسمع وصفه و اعجبْ

ثم تخازر تخازُر العفريت * و انشد ملغزا في طاقة الكبريت * نظم

و ما محقورة تُدنى و تُقصى * و ما منها اذا فكَّرت بدٌّ
لها رأسان مشتبهان جدًّا * و كل منهما لاخيه ضدٌّ
تُعذَّب ان هما خُضبا و تُلغى * اذا عَدِما الخضابَ ولا تُعَدُّ

ثم تخطَّط تخطُّط القَرْم * و انشد ملغزا في حَلَب الكَرْم * نظم

و ما شيء اذا فسدا * تحوّل غيُّه رشدا
و ان هو راق اوصافا * اثار الشرّ حيث بدا
زكيُّ العرق والدهُ * و لكن بئس ما ولدا

ثم اعتضد عصا التَّسْيار * و انشد ملغزا في الطيَّار * نظم

و ذي طيشة شقُّه مائل * و ما عابَهُ بهما عاقلُ
يُرى ابدا فوق علّيّة * كما يعتلي الملك العادلُ
تساوي لديه الحَصا و النُّضار * و ما يستوي الحقُّ و الباطل
و اعجبُ اوصافه ان نظرت * كما ينظر الكيّس الفاضل
تراضى الخصوم به حاكما * و قد عرفوا انّه مائل

قال فظلّت الافكار تهيم في اودية الاوهام * وتجول جولان المستهام * الى ان طال الامَد * وحصحص الكَمَد * فلما رآهم يَزندون ولا سَنا * و يُقضّون النهار بالمُنى * قال يا قوم الامَ تَنظُرون * و حتّامَ تُنظَرون * الم يأن لكم استخراج الخبيّ * او استسلام الغبي * فقالوا له تالله لقد اعوصْت * و نصَبْت الشرك فقذَصت (§) * فتحكم كيف شئت * و حُز الغُنْم و الصِّيت * نفرض عن كل معمى نَرْضا * و استخلصه منهم نَضّا * ثم فتح الاقفال * و وسم الاغفال * و حاول

(§) فاقتنصت .

الاجفال * فاعتلق به مِدرةُ القوم * و قال له لا لُبسةَ بعد اليوم * فاستنسب قبل الانطلاق * و هَبْها مُتْعَةَ الطّلاق * فاطرق حتى قلنا مُريب * ثم انشد و الدمع مجيب * نظم

سَرُوجُ مَطلِعُ شمسي * و رَبْعُ لهوي و اُنسي
لكن حُرِمت نعيمي * بها و لذّةَ نفسي
و اعتضتُ عنها اغترابا * امَرّ يومي و امسي
ما لي مَقَرٌّ بارض * و لا قرار لعَنْسي
يوما بنجدٍ و يوما * بالشام اُضحي و اُمْسي
اُزجي الزمان بقوت * منغَّصٍ مستخسّ
و لا ابيت و عندي * فلس و من لي بفلس
و من يَعِشْ مثل عيشي * باعَ الحياة ببخس

ثم انه اختَبَن خلاصة النّصّ * و بدر ضاربا فى الارض * فناشدناه ان يعود * و اسنينا له الوُعود * فلا و ابيك ما رجع * و لا الترغيب له نجع *

المقامة الثالثة و الاربعون البدوية المعروفة بالبكر و الثيب

اخبر الحارث بن همام * قال هفا بى البين المطوّح * و السير المبرّح * الى ارض يَضِلُّ بها الخِرّيت * و تَفرَق فيها المصاليت * فوجدت ما يجد الحائر الوحيد * و رأيت ما كنت منه اَحيد * الا انى شجَّعتُ قلبى المزؤود * و نسأتُ نِضوى المجهود * و سرت سيرَ الضارب بقِدْحين * المستسلم للحَين * و لم ازل بين وَخْد

وذَميل * واجازة ميل بعد ميل * الى ان كادت الشمسُ تجِبُ * والضياء يحتجب * فارتعتُ لاظلال الظلام * واقتحام جيش حام * ولم ادرِ أاكفهرّ الذيل واربدّ * ام اعتمد الليل واختبط * وبينا انا اقلّب العزم * وامتخض الجزم * تراءى لي شَبَحُ جمل * مستذرٍ بجبل * فترجيته قُعدةَ مريح * وقصدته قصدَ مُشيح * فاذا الظن كهانة * والركوبة عيرانة * والمُريحُ قد ازدمَلَ ببجاده * واكتحل بُرقاده * فجلستُ عند رأسه * حتى هبَّ من نُعاسه * فلما ازدهر سراجاه * واحسَّ بمن فاجأه * نفر كما ينفُر المريب * وقال أاخوك ام الذيب * فقلت بل خابطُ ليل ضَلَّ المسلك * فاضئ لي اقدَحْ لك * فقال ليسرُ عنك همُّك * فربَّ اخ لم تلده أُمُّك * فانسرى عند ذلك إشفاقي * وسرى الوَسَنُ الى آماقي * فقال عند الصباح يحمَد القومُ السُّرى * فهل ترى كما ارى * فقلت اني لك لاطوع من حذائك * واوفقُ من غذائك * فصدَع بمحبَّتي * وابتهج بصحبتي * ثم احتملنا مجِدّين * وارتحلنا مُدلِجِيْن * ولم نزل نعاني السُّرى * ونعاصي الكرى * الى ان بلغ الليلُ غايتَه * ورَفع الفجرُ رايته * فلما اسفر الفاضح * ولم يبق الا واضح * توسمتُ رفيق رحلتي * وسمير ليلتي * فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد * ومَعلَم الراشد * فتهادينا تحيّة المحبّين * اذا التقيا بعد البَيْن * ثم تباثثنا الاسرار * وتناثثنا الاخبار * وبعيري يئِطُّ من الكلال * وراحلتُه تزِفُّ زفيفَ الرأل * فاعجبني اشتداد اسرها * وامتداد صبرها * واخذت استشفُّ جوهرها * واسأله من اين تخيرها * فقال ان لهذه الناقة * خبرا حلوَ المذاقة * مليحَ السياقة * فان احببت استماعه فانخ *

وان لم تشأ فلا تصخ * فانخت لقوله نضوي * واهدفت السمع
لما يروي * فقال اعلم اني استعرضتها بحضرموت * وكابدت في
تحصيلها الموت * فما زلت اجوب عليها البلدان * واطس باخفافها
الظران * الى ان وجدتها عبر اسفار * وعدة فرار * لا يلحقها
العذاء * ولا تواهقها وجناء * ولاتدرى ما الهناء * فارصدتها للخير
والشر * واحللتها محل البر السر * فاتفق ان ندت مذ مدة *
ومالي سواها قعدة * فاستشعرت الاسف * واستشرفت التلف *
ونسيت كل رزء سلف * ومكثت ثلثا * لا استطيع انبعاثا * ولا
اطعم النوم الا حثاثا * ثم اخذت في استقراء المسالك * وتفقد
المسارح والمبارك * وانا لا استنشي منها ريحا * ولا استغشي
ياسا مريحا * وكلما ادكرت مضاءها في السير * وانبراءها لمباراة
الطير * لاعني الادكار * واستهوتني الافكار * فبينما انا في حواء *
بعض الاحياء * اذ سمعت من شخص مبتعد * وصوت منجرد * من
ضلت له مطية * حضرمية وطية * جلدها قد وسم * وعرها قد حسم *
وزمامها قد ضفر * وظهرها كان قد كسر ثم جبر * تزين الماشية * وتعين
الناشية * وتقطع المسافة النائية * وتظل ابدا لك مدانية *
لا يعتورها الونى * ولا يعترضها الوجى * ولا تحوج الى العصا *
ولا تعصي فيمن عصى * قال ابو زيد فجذبني الصوت الى
الصائت * وبشرني بدرك الفائت * فلما افضيت اليه *
وسلمت عليه * قلت له سلم المطية * وتسلم العطية * فقال وما
مطيتك * غفرت خطيتك * قلت ناقة جدتها كالهضبة * وذروتها
كالقبة * وحلبها ملء العلبة * وكنت اعطيت بها عشرين *
اذ حللت بيبرين * واستزدت الذي اعطى * ودريت انه اخطأ *

قال فاعرض حين سمع صِفَتي * و قال لست بصاحب لقطتي * فاخذت بتلابيبه * و اصررت على تكذيبه * و هممت بتمزيق جلابيبه * و هو يقول ياهذا ما مَطِيَّتي بطلبك * فاكْفف من غربك * و عد عن سّبك * و الا فقاضني الى حَكَم هذا الحي * البري من الغي * فان اوجبها لك فتسلَّم * و ان زواها عنك فلا تتكلم * فلم ارَ دواء قصتي * و لا مساغ غصتي * الا ان آتيَ الحَكَم و لو لَكَم * فانخرطنا الى شيخ ركين النصبة * انيق العصبة * يُونَس منه سكون الطائر * و ان ليس بالجائر * فاندرأت انظلّم و اتالم * و صاحبي مُرِمٌّ لايترمرم * حتى اذا انثلت كنانتي * وقضيتُ من القصص لُبانتي * ابرز نعلا رزينة الوزن * محذوّةً لمسلك الحزن * و قال هذه التي عرَّفتُ * و اياها وصفتُ * فان كانت هي التي أعطى بها عشرين * و ها هو من المُبْصرين * فقد كذب في دعواه * و كبُر ما افتراه * اللهم إلّا ان يمُدَّ قذاله * و يُبيّنَ مصداقَ ما قاله * فقال الحكم اللهم غفْرا * و جعل يقلب النعل بطنا و ظهرا * ثم قال اما هذه النعل فنعلي * و اما مطيّتك ففي رَحلي * فانهض لتسلّم ناقتك * و اجعل الخير بحَسَب طاقتك * فقمت و قلت * نظم

اقسم بالبيت العتيق ذي الحُرَم * و الطائفين العاكفين في الحَرم
إنّك نعـــم من اليه يحتَكَم * و خيرُ قاض في الاعاريب حكَم
فاسلَم و دُم دومَ النّعام و النَّعَم *

فاجاب من غير رويّة * و لا عقد نيّة * و قال * نظم

جُزيتَ عن شكرك خيرا يا ابن عم * اذ لستُ استوجِبُ شكرا يُلتزَمْ
شرُّ الانام من اذا استقضى ظلَمْ * ثم مَنِ استُرعِي فلم يرعَ الحُرَمْ
فذانِ و الكلبُ سَواءٌ في القِيَمْ

ثم انه نفّذ بين يدي * من سلّم الفاقة اليّ * و لم يمتنّ عليّ * فرحتُ اجُرُّ ذيلَ الطرب * و اقول يالّلعجب * قال الحارث بن همام فقلت له تالله لقد اطرفتَ * و هرفتَ بما عرفتَ * فناشدتُكَ اللهَ هل لقيتَ اسحر منك بلاغة * و احسن للفظ صياغة * فقال اللهم نعم * فاسمع و انعم * كنتُ عزمتُ * حين اتهَمْتُ * على ان اتخذ ظعينة * لتكون لي معينة * فحين تعين الخطب * و كان الامر يستتبُّ * افكرتُ فكر المتحرِّزِ من الوهم * المتأمِّلِ كيف مسقطُ السهم * و بتُّ ليلتي أناجى القلبَ المعذَّب * و اقلّبَ العزمَ المُذبذَب * إلى ان اجمعتُ على ان اُسحِرَ * و اشاورَ اول من أبصر * فلما قوّضت الظلمة اطنابها * و ولّت الشُّهُبُ اذنابها * غدوت غدو المتعرف * و ابتكرت ابتكار المتعيّف * فانبرى لي يافع * في وجهه شافع * فتيمّنتُ بمنظره البهيج * و استقدحت رأيه في التزويج * فقال او تبغيها عَوانا * ام بكرا نُعانى * فقلت اختر لي ما ترى * فقد القيت اليك العُرى * فقال اليّ التبيين * و عليك التعيين * فاسمع انا افديك * بعد دفن اعاديك * اما البكر فالدرة المخزونة * و البَيضة المكنونة * و الثمرة الباكورة * و السُّلافة المذخورة * و الروضة الانف * و الطوق الذي ثمن و شُرُفَ * لم يدنسها لامس * و لا استغشاها لابس * و لا مارسها عابث * و لا وكسها طامث * ولها الوجه الحيي * و الطرف الخفي * و اللسان العيي * و القلب النقي * ثم هي الدُّمية الملاعبة * و اللعبة المُداعِبة * و الغَزالة المُغازلة * و الملحةُ الكاملة * و الوشاح الطاهرُ القَشيب * و الضجيع الذي يُشِبُّ و لا يُشيب * و اما الثيّبُ فالمطيّةُ المذَلّلَة و اللُّهنةُ المعجّلَة * و البغيةُ المسهّلة * والطّبّةُ المعلّلة *

و القرينة المتجنّبة و الخليلة * المتقربة * و الصناع المدبّرة *
و الفطنة المختبرة * ثم انها عجالة الراكب * و أنشوطة الخاطب *
و قُعدةُ العاجز * و نهزة المبارز * عريكتُها لينّة * و عُقلتها هيّنة *
و دخلتُها متبينة * و خدمتها مُزيّنة * و أقسم لقد صدقتَ
في النعتَين * و اجليت المهاتين * فبأيتهما هام قلبُك *
و على ايتهما قام زبك * قال ابو زيد فرأيته جندلة يتّقيها
المراجم * و تدمى منها المعاجم * الا اني قلتُ له كنتُ
سمعتُ ان البكر اشدُّ حبًّا * و اقلّ خبًّا * فقال قد لعمري قيل
هذا * و لكن كم قولٍ آذى * و يحك اما هي المهرةُ الابيّةُ
العنان * و المطية البطيئةُ الاذعان * و الزندةُ المتعسّرةُ الاقتداح *
و القلعة المستصعبةُ الافتتاح * ثم ان مئونتها كثيرة * و معونتها
يسيرة * و عشرتُها صَلِفَة * و دالّتها مكلّفة * و يدُها خرقاء * و فتنتها
صمّاء * و عريكتُها خشناء * و ليلتُها ليلاء * و في رياضتها عَناء *
و على خبرتها غشاء * و طالما اخزتِ المُنازِل * و فركتِ المُغازِل *
و احنقت الهازل * و اضرعت الفنيق البازل * ثم انها التي تقول
انا البسُ و اجلسُ * فاطلبْ مَن يطلق و يحبسُ * فقلت له فما
ترى في الثيب * يا ابا الطيب * فقال ويك ا ترغب في فضالة
المآكل * و ثمالة المنهل * و اللباس المستبذَل * و الوعاء المستعمَل *
و الذوّاقة المتطرّفة * و الخرّاجة المتصرّفة * و الوقاح المتسلّطة *
و المحتكرة المتسخطاة * ثم كلمتها كنتُ و صرتُ * و طالما بغي
عليّ فنُصرتُ * و شتّان بين اليوم و امس * و اين القمر (†) من
الشمس * و ان كانت الحنّانة البَرُوك * او الطمّاحة الهلوك *

(†) وهيهات القمر •

فهي الغُلّ القَمِلُ * و الجُرحُ الذي لايندمل * فقلتُ له هل ترى ان اترهّب * و اسلُكَ هذا المذهب * فانتهرني انتهار المؤدّب * عند زلّة المتأدّب * ثم قال ويلك اتقتدي بالرُّهبان * و الحقّ قد استبان * افّ لك ولوهن رايك * وتُبًّا لك و لاولئك * اَ تُراك ما سمعتَ بان لا رهبانية في الاسلام * و لا حُدّثتَ بما نكح نبيُّك عليه السلام * ثم ما تعلم ان السكن الصالحة تربّ بيتك * وتلبّي صوتك * و تغضّ طرفك * و تُطيّبُ عَرفَكَ * و بها ترى قُرّةَ عينك * و ريحانَة انفك * و فرحَةَ قلبك * و تعلّةَ يومك و غدك * فكيف رغبتَ عن سنّة المرسلين * و مُتعة المتاهّلين * و شرعة المحصنين * و مَجْلَبة المال و البنين * والله لقد ساءني فيك * ما سمعتُ من فيك * ثم اعرض اعراضَ المُغضَب * و نزا نزوان العُنْظُب * فقلت له قاتلك الله اتنطلق متبخترا * وتدعني متحيرا * فقال اظُنك تدعى الحيرة * لتجلد عُمَيرة * و تستعفي عن المُهيرة * فقلت له قبّح الله ظنّك * و لا اشبّ قرنك * ثم رُحتُ عنه مراح الخَزيان * و تبتُ من مُشاورة الصبيان * قال الحارث بن همام فقلت له أقسم بمن انبت الايك * انّ الجدل منك و اليك * فاغرب في الضحك * و طرب طربة المنهتك * ثم قال العق العسل * ولا تسل * فاخذت اسهبُ في مدح الادب * و أُفضّل ربّه على ذي النشب * و هو ينظر الي نظر المستجهل و يغضي عني اغضاء المُمهِل * فلما اسرفتُ في العَصبية * للعصبة الادبية * قال لي صَهْ *

و اسمع مني و افقه * نظم

يقولون انّ جمـــالَ الفتى * و زيـنـتـه ادبٌ راسخ

و ما ان يزين سوى المكثرين * و مَن طَودُ سُودَدِه شامخ

فاما الفقير فخير له * من الادب القرص و الكامخ

و اي جمال له ان يقال * اديب يعلّم او ناسخ

ثم قال سيضح لك صدق لهجتي * و استنارة حجّتي * و سرنا لا نالوا جهدا * و لا نستفيق جهدا * حتى ادّانا السير * الى قريةٍ عزب عنها الخير * فدخلناها للارتياد * و كلانا منفضٌ من الزاد * فما ان بلغنا المحط * و المُناخ المختَطّ * ار لقينا غلام لم يبلغ الحنث * و على عاتقه ضغثٌ * فحيّاه ابوزيد تحيَة المُسلم * و سأله وقفة المُفهِم * فقال و عمّ تسألُ وفّقك اللهُ * قال ا يباعُ ههنا الرُّطَب * بالخُطَب * قال لا و الله * قال و لا البَلَحُ * بالمُلَح * قال كلا و الله * قال و لا الثمرُ * بالسَّمَر * قال هيهات و الله * قال و لا العصيدة * بالقصيدة * قال أُسكت عافاك الله * قال و لا الثرائد * بالفرائد * قال اين يُذهَبُ بك ارشدك الله * قال و لا الدقيق * بالمعنى الدقيق * قال عَدِّ عن هذا اصلحك الله * و استحلى ابو زيد تراجع السوأل و الجواب * و التكايُلَ من هذا الجراب * و لمح الغلامُ ان الشوط بَطين * و الشيخ شُيَيطين * فقال له حسبُك يا شيخُ قد عرفتُ فنَّك * واستبنتُ أنَّك * فخذ الجواب صُبرة * واكتف به خِبرة * اما بهذا المكان فلا يُشترى الشّعرُ بشعيرة * ولا النثرُ بنُثارة و لا القصص بقُصاصة * و لا الرسالة بغُسالة * و لا حُكْمُ لُقمان بلقمة * و لا اخبارُ الملاحم بلَحمة * و اما جِيلُ هذا الزمان فما فيهم من يميح * اذا صِيغَ له المديح * ولا من يُجيز * اذا أنشد له الاراجيز * ولا من يُغيث * اذا اطربه الحديث * و لا من يَميرُ * و لو انه اَميرٌ * وعندهم ان مثل الاديب * كالرَّبع الجديب * ان لم تجد الربع ديمة * لم تكن له قيمة * و لا دانَتْه

بهيمة * وكذا الادب * ان لم يعضده نشب * فدرسه نصب * وحزبه حصب * ثم انسدر يعدو * وولى يحدو * فقال لي ابوزيد اعلمت ان الادب قد بار * وولت انصاره الادبار * فبؤت له بحسن البصيرة * وسلمت بحكم الضرورة * فقال دعنا الان من المصاع * وخض في حديث القصاع * واعلم ان الاسجاع * لا تشبع من جاع * فما التدبير فيما يمسك الرمق * ويطفى الحرق * فقلت الامر اليك * والزمام بيديك * فقال ارى ان ترهن سيفك * لتشبع جوفك وضيفك * فناولنيه واقم * لانقلب اليك بما تلتقم * فاحسنت به الظن * وقلدته السيف والرهن * فما لبث ان ركب الناقة * ورفض الصدق والصداقة * فمكثت مليًّا اترقبه * ثم نهضت اتعقبه * فكنت كمن ضيّع اللبن في الصيف * ولم القه ولا السيف *

المقامة الرابعة والاربعون الشتوية وتعرف باللغزية

حكى الحارث بن همام * قال عشوت في ليلة داجية الظلم * فاحمة اللمم * الى نار تضرم على علم * وتخبر عن كرم * وكانت ليلة جوها مقرور * وجيبها مزرور * ونجمها مغموم * وغيمها مركوم * وانا فيها اصرد من عين الحرباء * والعنز الجرباء * فلم ازل انص عنسي * واقول طوبى لك ولنفسي * الى ان تبصر الموقد آلي وتبين ارقالي * فانحدر يعدو الجمزى * وينشد مرتجزا * نظم حييت من خابط ليل ساري * هداه بل آهداه ضوء النار

الى رحيب الباع رحب الدار * مرحب بالطارق المُمتار
ترحاب جعد الكف بالدينار * ليس بمزور عن الزوار
و لا بمعتام القرى متخار * اذا اقشعرت ترب الاقطار
و ضنت الانواء بالامطار * فهو على بؤس الزمان الضاري
جم الرماد مرهف الشفار * لم يخل في ليل ولا نهار
من نحر وار و اقتداح واري

ثم تلقاني بمحيا حيي * و صافحني براحة اريحي * و اقتادني الى بيت عشاره تخور * و اعشاره تفور * و ولائده تمور * و موائده تدور * و باكساره اضياف قد جلبهم جالبي * و قلبوا في قالبي * وهم يجتنون فاكهة الشتاء * و يمرحون مرح ذوي الفتاء * فاخذت ماخذهم في الاصطلاء * و وجدت بهم وجد الثمل بالطلاء * و لما ان سرى الخصر * و انسري الخصر * اتينا بموائد كالهالات دورا * والروضات نورا * و قد شحن باطعمة الولائم * و حمين من العائب و اللائم * فرفضنا ما قيل في البطنة * و رأينا الامعان فيها من الفطنة * حتى اذا اكتلنا بصاع الحطم * و اشفينا على خطر التخم * تعاورنا مشوش الغمر * ثم تبوأنا مقاعد السمر * واخذ كل منا يشول بلسانه * بنشر ما في صوانه * ماعدا شيخا مشتهبا فوداه * مخلولقا برداه * فانه ربض حجرة * و اوسعنا هجرة * فغاظنا تجنبه * الملتبس موجبه * المعذور فيه مؤنبه * الا انا الغنا له القول * و خشينا في المسئلة العول * و كلما رمنا ان يفيض كما فضنا * او يفيض فيما افضنا * اعرض اعراض العلية عن الارذلين * و تلا ان هذا الا اساطير الاولين * ثم كان الحمية هاجته * و النفس الابية ناجته * فدلف و ازدلف * و خاع الصلف * و بذل ان يتلافى

ما سلف * ثم استدعى سَمْعَ السامر * واندفَع كالسَّيل الهامر * وقال

نظم

عندي اعاجيبُ ارويها بلا كذب * عن العيان فكنُوني آبا العجب

رأيتُ يا قوم اقواما غذاؤهم * بَولُ العجوز وما اعنى ابنة العنَب

بول العجوز لبن البقرة و العجوز ايضا من اسماء الخمر *

و مُسنِتين من الاعراب قُوتُهم * ان يشتووا خِرقةً تُغنِي من السَّغَب

الخرقة القطعة من الجراد (†) *

و كاتبين و ما خطَّتْ اناملُهم * حرفا و لا قرأوا ما خُطَّ فى الكُتُب

الكاتبون الخرَّازون ـ يقال كتَب السقّاء و المزادة اذا خَرَز هما و كتب البَغلةَ و الناقةَ اذا جمَع بين شُفْرَيهما و خاطهما *

و قادرين متى ما سا صنعهم * او قصَّروا فيه قالوا الذنب للحَطَب

القادر الطابخ فى القِدْر و القدير المطبوخ فيها *

و تابعين عُقابا في مسيرهم * على تكميهم فى البيض و اليَلَب

العقاب الراية ـ وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العُقاب (‡) *

و مُنتدين ذوي نُبْلٍ بدت لهُمُ * نبيلةٌ فانثنوا منها الى الهرب

النبيلة الجيفة ـ و منه تَنَبَّل البعير اذا مات و أروح *

و عُصبة لم تر البيت العتيق و قد * حَجَّت جُثيًّا بلا شك على الرُّكَب

(†) الجراد و السغب الجوع (‡) العقاب و اليلب ما كان من جنن الجلود و قيل اليلب البولاد *

معنى حَجّت جُثيًّا اى غلبت بالحجة -
مجادلين جاثين على الرُّكب - و جثيٌّ
جمع جاث *

و نسوة بين ما ادلجن من حاسب * صَبَّحن كاظمة من غير ما تعب
كاظمة في هذا الموضع من كظم الغيظ *

و مدلجين سَرَوا من ارض كاظمة * واصبحوا حين لاح الصبح في حَلَب
اى اصبحوا (†) يحلبون اللبن *

و يافعا لم يُلامس قطُّ غانية * شاهدته و له نسل من العَقِب
اليافع الذي قد ترعرع و ناهز البلوغ و النسل
ههنا العَدو و منه قوله تعالى من كل حَدَب
يَنسلون و العَقِب مؤُخر القَدم *

و شائبا غير مُتْخف المَشيب بدا * في البدو وَهْو فَتِيّ السّن لم يَشِب
الشائب هُهنا مازِج اللَّبن - و المشيب
اللبن الممزوج يقال فيه مشوب و مشيب *

و مُرْضَعا بلبان لم يفُهْ فمهُ * رأيته في شجار بيّن السبب
الشجار المحَفّة ما لم تكن مظلّلة فان ظُلّلت
فهو الهودج - و السبب ههنا الحَبْل و منه
قوله تعالى فليمدُد بسبب الى السماء *

و زارعا ذُرَّة حتى اذا حُصدت * صارت غُبيْرآء يهواها اخو الطرب
الغبيرآء السُّكرَ المتّخذ من الذُّرّة - و فى
الحديث اياكم و الغبيرآء فانها خَمرُ العالم
و تسمى السُّكُركَة ايضا *

(†) كاظمة *

و راكضا وَهْو مغلولُ على فرس * قد غُلَّ ايضا و ما يُذفك من خَبَب

المغلول ههنا العطشان - و غُلَّ اى عَطِش *

و ذا يدٍ طُلُقٍ يقتــاد راحلةً * مستعجلا وهو مأسور اخو كُرَب

الماسور الذي يجد الاسر و هو احتباس البَوْل *

و جالسا ماشيا تهوي مَطِيَّتُه * به و ما في الذي اوردتُ من رِيَب

الجالس الاتي نَجَدا والماشي الذي كَثُرت

ماشيته و عليه فَسَّر بعضهم قول الله تعالى

ان امشوا كانه دعاء لهم بالنماء و كَثْرة الماشية *

و حائكا اَجْذَم الكفيّن ذا خَرَس * فان عجبتم فكم في الخلق من عجب

الحائك ههنا الذي اذا مشى حَرَّك مَنْكِبَيْه

و فَحَّجَ بين رُكبَتَيْه *

و صادعا بالقنا من غيران علقت * كَفّــاه يوما برُمْحٍ لا و لم يَذِب

القنا ارتفاع الانف و تَحَدُّبُ وسطه و صدع به اى كشفه *

و ذا شَطاط كصدر الرُّمْح قامته * صادَنَته بمَنّي يشكو من الحَدَب

الحدب ما ارتفع من الارض *

و ساعيا في مَسَرّات الانام يرى * افراحهم مأثما كالظلم و الكَذِب

افراحُهم اثقالُهم بالدَّيْن و منه قوله عليه السلام

لا يُترَك في الاسلام مُفرَح اى مُثقَل *

و مغرَما بمناجاة الرجال له * و ماله في حديث الخلق من ارب

الخلق ههنا الكذب و منه قوله تعالى ان هذا

الا خَلْقُ الاولين *

وذا ذِمام وَفَتْ بالعهد ذمّتُه * و لا ذمام له في مذهب العرب

الذمام الاول العهد و الثاني جمع ذمة و هي

البِئْر القليلة الماء و عنى بالمذهب المسلك

اى ما له فى البدو آبار قليلة الماء *

و ذا قُوىًّ ما استبانت قطُّ لِينَتُه * و لِينُه مستبين غير مجتنب

اللّين النخل الدَقَل ومنه قوله تعالى ما قطعتم

من لينَةٍ *

وساجدا فوق فَحْل غير مكترث * بما اتى بل يراه افضل القُرَب

الفحل الحصير المتخذ من فُحال النخل *

و عاذِرا موُلما مَن ظَل يَعذِره * مع التلطف و المعذور في صُخَب

العاذر الختّان و المعذور المختون *

و بلدة ما بهـــا ماءٌ لمغترف * و الماء يُجري عليها جَرْيَ مُنسَرب

البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى ايضا البُلْجَة *

و قرية دون أُفْحُوص القَطا شُحنت * بدَيْلم عيشهم من خُلْسة السَلَب

القرية بيت النَّمْل و الديلم النمل الكثير *

و كوكبا يتـــوارى عند رؤيته * الانسان حتى يُرى في امنع الحُجُب

الكوكب النُّكتة من البياض التي تَحدُث فى

العين – و الانسان هاهنا انسان العين *

و روثة قُوِّمت مالا له خطـــر * و نفس صاحبها بالمال لم تَطِب

الروثة مقدم الانف *

و صَحْفة من نُضار خالص شُرِبَت * بعد المِكاس بقيراط من الذهب

النضار هٰهنا شجر النَّبْع و اياه عنى ابرهيم

النَخَعيّ بقوله لا بأس بان يُشرَب في قدح

النُّضار *

مستجيشا بخشخاش ليدفع ما * اظَلَّه من اعاديه فلم يَخِب

الخشخاش الجماعة عليهم دُرُوع واسلحة *

و طالما مرّ بي كَلْب و في فَمِه * ثَوْر و لكنه ثور بلا غَبَب

الثور القطعة من الاَقط *

و كم رأى ناظري فيلا على جَمَل * و قد تَوَرَّك فوق الرَحْل و القَتَب

الفيل الرجل الفائل الرأى *

و كم رأت(†) مقلتي عينين مأْوهما * يجري من الغرب والعينان في حلب

الغرب مُجْرَى الدمع والعينان ههنا المقلتان

و حلب البلدة المعروفة *

و كم لقيت بعُرْض البَيْد مشتكيا * وما اشتكى قط في جِدٍّ و لا لَعِب

المشتكي المتخذ شَكوة و هي القِرْبة الصغيرة *

كذمت ابصرت كرّازا لراعية * بالدَّرِ يَنْظُر من عينين كالشُهُب

الكرّاز الكَبْش الذي يَحمِل عليه الراعي اداته *

و كم نزلت بارض لا نخيل بها * و بعد يوم رأيت البُسْرَ في القُلُب

البَسر جمع بَسرة و هي الماء الحديث

العهد بالمطر و القلب جمع قليب *

و كم رأيت باقطار الفَلا طَبَقا * يَطير في الجو منصبّا الى صَبَب

الطَّبق القطعة من الجَراد *

و كم مشائخ في الدنيا رأيتهم * مُخَلَّدين و من ينجو من العَطَب

المخلد الذي ابطأ شيبه (‡) *

و كم بدا لي وحش يشتكي سَغَبا * بمنطق ذَلِق امضى من القُضُب

الوحش الرجل الجائع *

و كم دعاني مستَنْجٍ فحادثني * و ما اخَلّ و لا اخللت بالادب

(†) و عاينت (‡) و كذلك المُخْلَد و المخلِد

المستنجي الجالس على نجوة و هي المكان المرتفع (†) *

وكم انخت قَلوصي تحت جُنْبُذَة * تُظلّ ما شئت من عُرْب ومن عُرُب

الجُنْبُذة القُبّة و العُرُب جمع عَروب و هي المرأة

المتحببة الى زوجها *

وكم نظرت الى من سُرّ ساعته * و دمعه مستهلّ القَطْر كالسُّحُب

سُرّ اي قُطع سُرُّه و يسمى ما يبقى بعد القطع السُّرّة *

و كم رأيت قميصا ضَرّ صاحبه * حتى انثني واهي الاعضاء والعَصَب

القميص الدابّة الكثيرة القماص *

وكم ازار لوان الدهر أتْلَفه * لجَفّ لُبْد حثيث السير مضطرب

الازار المرأة و منه قول الشاعر - ع

فدي لك من اخي ثقة ازاري (§)

هذا وكم من افانين معجّبة * عندي ومن مُلَح تُلهي ومن نُخَب

فان فطنتم للحن القول بان لكم * صدقي و دلكم طلعي على رطبي

و ان شُدهتم فان العار فيه على * من لا يميز بين العود و الخشب

قال الحارث بن همام فطفقنا نخبط في تقليب قريضه * و تاويل معاريضه * و هو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي * و يقول ليس بعُشّك فادرُجي * الى أن تعسّر النتاج * و استحكم الارتتاج * فالقينا اليه المقادة * و خطبنا منه الافادة * فوقفنا بين الطمع و اليأس * وقال الايناس قبل الابساس * فعلمنا انه ممن يرغب في الشُّكم * و يرتشي في الحكم * وساء ابا مثوانا ان نُعرّض للغُرْم * او نُخيّب بالرّغم * فاحضر ناقة عيديّة * و حُلّة سعيدية * و قال له خذهما حلالا * ولا ترزأ اضيافي زبالا * فقال اشهد انها شنشنة

(†) وهي المكان المرتفع الذي تظن انه نجاوك (§) و قيل عني به نفسه *

اخزَميّة * و اَرِيَحيَّة حاتميّة * ثمّ قابلنا بوجه بِشْرُه يَشِفّ * و نَضْرَتُه ترِفّ * و قال يا قوم ان الليل قد اجلَوَّذ * و النعاسَ قد استحوذ * فافزعوا الى المراقد * و اغتنموا راحةَ الراقد * لتشربوا نَشاطا * و تبعثوا نشاطا * فتعُوا ما اُفسِّر * و يتسهَّل لكم المتعسِّر * فاستصوب كل ما رآه * و توسَّد وِسادة كراه * فلما وسِنَت الاجفان * و اغفت الضيفان * وثب الى الناقة فرحلها * ثم ارتحلها و رحَّلها * و قال مخاطبا لها * نظم

سَروجَ يا ناقَ فسيري و خِدي * و ادلِجي و اَوِّبي و اَسْئِدي
حتي تطا اَخْفاك مرعاها النَّدِي * فتَنْعمي حينئذ و تسعَدي
و تأمني ان تُنتهمي او تُنجدي * ايه فدتك النُّوق جدِّي واجهَدي
و افري اديم فَدْفَدٍ فَفَدْفَدٍ * و اقتنعي بالَّشَّح عند المَورِد
ولا تَحُطّي دون ذاك المقصد * فقد حلفتُ حلفةَ المجتهِد
بحرمة البيتِ الرفيع العُمُد * انّكِ اِن احللتِني في بلدي
حللتِ مني بمحلّ الولد

قال فعلمت انه السروجي الذي اذا باع انباع * و اذا ملأ الصاعَ انصاع * و لما انبلج صباح اليوم * و هبَّ النُّوَّام من النوم * اعلمتُهم ان الشيخ حين اغشاهم السُّبات * طلَّقهم البتّات * وركب الناقة و فات * فاخذهم ما قدم و ما حدث * و نسُوا ما طاب منه بما خبُث * ثم انشعبْنا في كل مَشْعَب * و ذهبنا تحت كل كوكب *

قال القاسم بن علي رضي الله عنه قد فسّرت سرَّ كل لُغْز نحته * و لم اُبعد على من يقرأه كشفَه * و قد بَقيت اَلفاظ اشتملت عليها هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من تقع اليه فاحببت ايضاحها له ليُكفى حيرة الشبهة * و كُلفة الفكرة *

و وصمة البَحْث و المسئلة * و بالله تعالى الاستعانة و القوة * قوله عشَوْتُ الى نار – يعني تذورتها فقصدتها فان لم تَقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى و من يعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شيطانا اي و من يُعرض * و قوله انا فيها اصْرَدُ من عين الحرباء و العنز الجرباء – هذان مثلان يُضربان لمن يبلُغ منه البرد و ذلك لان الحرباء يدور ابدا مع الشمس و تستقبلُها بعينه و لذلك شبّه ابنُ الرومي الرقيبَ بالحرباء في قوله * نظم

ما بالها قد حُسِّنَت و رقيبُها * ابدا قبيحٌ قُبِّحَ الرُّقَباء

ما ذاك الا انها شمس الضحى * ابدا تكون رقيبها الحرباء

و العنز الجرباء لاتدفوُ في الشتاء لقلة شَعرها * و ذكَر بعضُهم ان العنز الجرباء تصحيف المثل الاول * و قولُه نحر وار – يعني اجمل المكتنزَ شحما الكثيرَ مُخًّا * و قوله عشاره تخُورُ و اَعشارهُ تفور – العشارُ النُّوق الحوامل واحدتُها عُشراء و هي التي اتى عليها في الحمل عشرة اشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضَعَ و الاعشار البُرْمةُ العظيمةُ كأنها شُعّبت لعظمها يقال بُرمةٌ أعشارٌ و جَفنةٌ اَكسارٌ و ثوبٌ اسمالٌ و بُردٌ اخلاقٌ و حَبْلٌ اَرمامٌ و وصفُ الجماعة منها كوصف الواحد * و قوله فاكهةَ الشتاء – كنى بها عن النار و منه قولُ بعض المحدثين * نظم

النار فاكهة الشتاء فمن يُرِدْ * اكلَ الفواكه شاتياً فَلْيَصْطَلِ

إنَّ الفواكهَ في الشتاء شهيّةٌ * و النارُ للمقرور افضلُ مأكل

و قوله موائد كالهالات – يعني دارات القمر واحدها هالة و دارةُ الشمس تسمّى الطُّفاوة * و قوله مَشُوشَ الغمر – يعني المنديل يقال مَشَّ يدهَ بالمنديلِ اى مسحها و منه قول امرء القيس * نظم

نُمِشُّ باعراف الجيادِ أكفّنا * اذا نحن قمنا عن شواءٍ مُضَهَّبِ

و قوله مشتهبا فوداه - اى صار من الشيب في لون الاشهب و منه قول امرء القيس ايضا * نظم

قالت الخَنساء لمّا جئتُها * شاب بعدي رأسُ هذا واشتهَبْ

و قوله ربَضَ حجرةً - يعني ناحيةً و يقال فى المثل لمن يُشارك في الرخاء و يُجانب عندَ البلاء يرتع وسَطا و يربِضُ حجرة * و قوله فاستوعى سمعَ السامر - يعنى السمّار لان السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحيّ النازلين على الماء و كالباقر اسم لجماعة البقر و قال بعض اهل اللغة هو اسم للبَقَر مع رُعاتها و اشتقاق السامر من السَّمَر و هو ظل القمر ماخوذ من السُّمْرة فلما كان غالب احوال السُّمّار انهم يتحدّثون في ظل القمر اشتُقّ لهم اسم منه و الى هذا يرجع قولهم لا أكلّمه القمر و السمر * و قوله ليس بعشّك فادرُجي - هذا مثل يُضرَب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له و العُشّ ما يكون في شجرة فان كان في حائط او كهْف جبل فهو وَكْر * و قوله الايناس قبل الابساس - هذا مثل ايضا و معناه انه ينبغي ان يؤنَس الانسان ثم يُكلَّف و اصله أنّ حالب الناقة يؤنسها حين يروم حلبها ثم يبُسّ بها للحلَب و الابساس ان يقول لها بُسْ بُسْ لتسكن و تدرّ و تسمى الناقة التي تُدِرّ على الابساس البَسوسَ * و قوله يرغَب فى الشُّكم - الشُّكْم ما اعطيته على سبيل المجازاة فان أعطيته مبتدئا فهو الشُّكْد * و قوله ساء آبا مثوانا - يعني المضيفَ الذي أَوَوا اليه و ثَوَوا عنده * و قوله ناقة عيدية - قيل انها منسوبة الى فَحل مُنجِب اسمه عيدٌ و قيل انها منسوبة

الى فخذ من مَهْرَةَ و اسمه عيد (†) بن مَهرَةَ و كانت مهرةُ و عيدُ تتخذان نجائب الابل فنسبت اليهما * و قوله حُلَّةً سعيديَّةً - هي منسوبة الى سعيد بن العاص و كان رسول الله صلى عليه و سلم كساه و هو غلامٌ حُلَّةً فنسب جنسها ليه * و قوله لاتزرأ إضيانى زبالا - اى لاتزراهم شيأ و ان قلّ و الاصل فى الزِبال ما تحمله النملة بفيها * و قوله شِنْشِنة أخزميّة - اشار به الى المثل الذي ضربه جدُّ حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرَج بن أخزَم الطائي حين نشأ حاتم و تقيَّل اخلاقَ جده أخزمَ فى الجود فقال شِنْشِنة اعرفُها من أخزَمَ - و تمثل عَقيل بن عُلَّفَةَ به حين قال * نظم

إنَّ بَنِيَّ ضرَّجوني بالـدم * من يلقَ آسادَ الرجال يُكْلَمِ
شِنْشِنَةٌ اعرفُها أخزمِ

و من ادعى ان المثل له فقد سها فيه * و قوله إجلَوَّذ - اى اسرع فى الذهاب و مثله إخروَّطَ * و قوله وثب الى الناقة فرحلها يعني شدَّ عليها الرحلَ و به سميت الراحلة لانها فاعلة في معنى مفعولة كقوله تعالى في عيشةٍ راضيةٍ اى مرضية و من ماء دافق اى مدفوق و الراحلة تقع على الناقة و الجمل و دخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية و راوية * و قوله إرتحلها اي ركبها و فى الحديث ان النبي صلى الله عليه و سلم سجد فركبه الحسن رضي الله عنه فابطأ في سجوده فلما قضى صلوته قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان أعجله * و قوله و رحَّلها - اى ازعجها و اشخصها و اجدَّ بها في الرحيل و منه الخبر تخرج عند اقتراب الساعة نار من قَعْرِ عَدَنَ تُرحِّلُ الناس * و قوله فادلِجي و اوبي و اَسْدي - الادلاج ان تسير الليلَ

(†) و اسمه عيد بن الامري على وزن العامري بن مهرة *

كله و الاسم منه الدَّلْجَةَ بفتح الدال والادلاج بالتشديد ان تسير من آخره و الاسم منه الدُّلْجة بضم الدال و قيل إن الدلجة بفتح الدال وضمها بمعنى واحد * و التاويب سير النهار وحده * و الاسآد ان تسير ليلا و نهارا * والنشح ان تشرَبَ دون الرِّيّ * و قوله فاخذهم ما قَدُمَ و ما حدُثَ يقال ذلك لمن تستولى الهمومُ عليه و تتلاعب به و تُضمّ الدّالُ من حَدُثَ في هذا الموضع وحده ليوافق لفظها لفظَ قدُمَ فان أفرد حدث عن قدُم وجب فتح الدال من حدث و مثله قولهم هنأني و مرأني بحذف الالف من أمرأني اذا ذكر مع هنأني فان افردته وجب ان تقول أمراني الشئ و كذلك يقولون رِجسٌ نِجْسٌ فيكسرون النون من نَجَس و يُسكِنون الجيم ليزاوج لفظةَ رِجْسٍ فان أفرِدَ قيل نَجَسٌ بفتح النون و الجيم كما قال الله تعالى انما المشركون نَجَسٌ * و قوله ذهبنا تحت كل كوكب - هذا مثل يضْرَبُ لمن تختلفُ في السفر طرقُهم و تتباينُ سبلُهم *

المقامة الخامسة والاربعون

الرملية

حكى الحارث بن همام قال كنت أخذتُ عن أُولى التجاريب * ان السفر مرآة الاعاجيب * فلم ازل اجوبُ كلَّ تنوفة * و اقتحم كلَّ مخوفة * حتى اجتليت كل اطروفة * فمن احسنِ ما لمحتُه * و اغربِ ما استملحتُه * اني حضرتُ قاضي الرَّمْلَة * و كان من ارباب الدولة والصَّولة * و قد ترافع اليه بالٍ في بال * و ذاتُ جمال في

أَسْمال * فهمّ الشيخُ بالكلام * و تبيان المرام * فمنعَتْه الفتاةُ من الافصاح * و خسأته عن النُّباح * ثم نضَتْ عنها فضلةَ الوِشاح * و أنشدت بلسان السليطة الوَقاح * نظم

يا قاضيَ الرملة يا ذا الذي * في يده النَّمْرةُ و الجَمْرةْ
اليك اشكو جورَ بعلي الذي * لم يحجج البيتَ سوى مرّةْ
و ليته لمّا قضى نُسْكَه * و خَفَّ ظهرا اذ رمى الجمرةْ
كان على رأي ابي يوسف * في صلةِ الحَجّة بالعُمرةْ
هذا على أنّي مُذ ضمّني * اليه لم اعصِ له امرهْ
فمره إمّا أُلفةً حلوةً * تُرضي و أمّا فُرقةً مُرّةْ
من قبل ان أخلع ثوب الحيا * في طاعة الشيخ ابي مُرّةْ

فقال له القاضي قد سمعتَ ما عزَتْك اليه * و توعّدَتْك عليه * فجانب ما عرّك * و حاذر أن تفرك و تُعْرك * فجثا الشيخُ على ثفناته * و فجّر ينبوعَ نفثاته * و قال *

نظم

إسمع عداك الذمّ قولَ امرئٍ * يُوضِحُ فيما رابها عُذرهْ
و الله ما اعرضتُ عنها قِلىً * و لا هوى قلبي قضى نَذرهْ
و انما الدهر عدا صرفُه * فابتزّنا الدُّرّةَ و الذَّرّةْ
فمنزلي قَفْرٌ كما جيدُها * عُطْلٌ من الجزعة و الشَّذْرةْ
و كنتُ من قبلُ أرى في الهوى * و ديدنه رأيَ بني عُذْرةْ
فمُذ نبا الدهر هجرتُ الدمى * هجرانَ عفٍّ آخذٍ حِذْرهْ
و مِلتُ عن حرثيَ لا رغبةً * عنه و لكن أتّقي بَذْرهْ
فلا تلُمْ مَن هذه حالُه * و اعطفْ عليه و احتملْ هَذْرهْ

قال فالتظَتِ المرأة من مقاله * و انتضَتِ الحُجَجَ لجِداله *

و قالت له ويلك يا مَرْقعانُ * يا مَن هو لا طعامُ و لا طعانُ (§) * اتضيق بالولد ذرعا * و لكل اَكُولة مرعىً * لقد ضلَّ فهمُك و اخطا سهمُك * و سَفِهت نفسُك * و شقِيَت بك عرسُك * فقال لها القاضي اَمَّا انتِ فلو جادلت الخَنساء * لانثنت عنك خَرساء * و امَّا هو فان كان صدق في زُعْمه * و دعوي عُدْمه * فله نيٌ همّ قبقبه * ما يشغلُهُ عن ذَبذَبه * فاطرقت تنظُر اَزورارا * و لاترجعُ حِوارا * حتى قلنا قد راجعها الخَفَر * او حاق بها الظفر * وقال لها الشيخ تعساً لكِ إن زخرفْتِ * او كتمتِ ما عرفتِ * فقالت ويحك و هل بعد المنافرة كتم * او بقي لنا على سرٍّ ختم * وما فينا الا من صدَق * و هتَك صونَه اذ نطَق * فليتَنا لاقيْنا البَكَم * و لم نلق الحَكَم * ثم التفعت بوشاحها * و تباكتْ لافتضاحها * و جعل القاضي يعجَبُ من خَطْبهما و يُعجِّب * و يلومُ الدهرَ لهما و يُؤنّب * ثم احضَر من الورق الفيْن * و قال ارضيا بهما الاجوفيْن * و عاصيا النازغ بين الالفيْن * فشكراه على حسن السَّراح * و انطلقا و هما كالماء و الراح * و طفِق القاضي بعدُ مَسرَحهما * و ندائي شَبَحهما * يُثْني على اَدبهما * و يقول هل من عارفٍ بهما * فقال له عينُ اعوانه * و خالصةُ خُلْصانه * اما الشيخ فالسروجيُّ المشهود بفضله * و اما المرأة فقَعيدة رَحْله * و امَّا تحاكمُهما فمكيدة من فعله * و اُحبولة من حبائل خَتْله * فاحفَظَ القاضيَ ما سَمِعَ * و تلهَّبَ كَيْفَ خُدِعَ * ثم قال للواشي بهما * قم فرُدَّهما * ثم اقصدْ هما و صِدْهما * فنهَضَ ينفُضُ مِذْرويْه * ثم عاد يضربُ اَصْدَرَيْه * فقال له القاضي اظهِرْنا على ما نبثْتَ *

(§) لاطعام عنده ولا طعان *

و لا تُخف عدًا ما استخبثتَ * فقال ما زلتُ استقرى الطُرُق * و استفتاحِ الغُلُق * الى ان ادركتُهما مُصحِرين * و قد زمَّا مَطىّ البَين * فرغبتُهما في العَلَل * و كفلتُ لهما بنَيل الامل * فاُشرِب قلبُ الشيخ ان ييأسَ * و قال الفرارُ بقرابِ اكيَسُ * و قالت هي بَلِ العَودُ احمدُ * و الفروقةُ يكمُدُ * فلما تبيَّن الشيخ سَفَهَ رأيها * و غَزَرَ اجترائها * امسك ذلاذلَها * ثم انشأ يقول لها * نظم

دونك نُصحي فاقتفي سُبْلَه * واغني عن التفصيل بالجُملَه
طيري متى نَقَرتِ من نخلَةٍ * و طَلِّقيها بتَّةً بتْلَه
و حاذري العَودَ اليها و لو * سبَّلها ناطُورُها الابلَه
فخيرُ ما للِّصّ ان لا يُرى * ببُقعَةٍ فيها له عمْلَه

ثم قال لي لقد عُنِّيتَ بما وُلِّيتَ * فارجِع من حيثُ جئتَ * و قل لمرسلك إن شئت * نظم

رويدك لا تعقِب جميلك بالاذى
فتضحى و شمل المال و الحمد مُنصدِعْ
و لا تغضبْ من تزيُّد سائل
فما هو في صوغ اللسان بمُبتَدِعْ
و ان تكُ قد ساءتك مني خديعة
فقبلك شيخُ الاشعرِيّين قد خُدِعْ

فقال القاضي قاتله الله فما احسن شُجُونَه * و املحَ فُنُونَه * ثم انه اصحب رائدَه بُردَين * و صُرَّةً من العين * و قال له سِر سَيرَ من لا يري الالتفات * الى ان ترى الشيخ و الفتاة * فبُلَّ يدَهما بهذا الحِباء * و بيّنْ لهما انخداعي للادباء * قال الراوي فلم ار في الاغتراب * كهذا العُجاب * و لا سمعتُ بمثله ممن جال و جاب *

المقامة السادسة والاربعون

الحلبية

حدث الحارث بن همام قال نزع بي الى حلب * شوق غلب * وطلبٌ يا له من طلب * وكنت يومئذ خفيف الحاذ * حثيث الاغذاذ * فاخذت اهبة السير * وخففت نحوها خفوف الطير * ولم ازل مذ حللت ربوعها * وارتبعت ربيعها * أُفاني الايام * فيما يشفي الغرام * ويروي الأُوام * الى ان اقصر القلب عن ولوعه * واستطار غراب البين بعد وقوعه * فاغراني البال الخلو * والمرح الحلو * بان اقصد حمص لاعطاف ببقعتها * واسبُرَ رقاعة اهل رقعتها * فاسرعت اليها إسراع النجم * اذا انقضّ للرجم * فحين خيّمت بربوعها * ووجدت رَوح نسيمها * لمح طرفي شيخا قد اقبل هريره وادبر غريره * وعنده عشرة صبيان * صنوان وغير صنوان * فطاوعت في قصده الحرص * لاختبر به أداء حمص * فبشّ (†) بي حين وافيته * وحيّا (‡) باحسن مما حيّيته * فجلست اليه لابلو جنى نطقه * واكتنه كنه حمقه * فما لبث ان اشار بعصيّته * الى كُبْر أُصَيبيته * وقال له انشد الابيات العواطل * واحذر ان تُماطلَ * فجثا جثوةَ ليث * وانشد من غير ريث * نظم

اعدد لحسادك حدّ السلاح * واورد الآمل ورد السماح

وصارم اللهو ووصل المها * واعمل الكوم وسمر الرماح

(†) فهش (‡) حياني *

واسعَ لادراك محلٍّ سما * عمادُه لا لادّراع المراح

والله ما السؤدَدُ حسوُ الطِّلا * ولا مُرادُ الحَمد رُودٌ رَداح

واهاً لحُرٍّ صدرُهُ واسعٌ * وهمُّهُ ما سرَّ اهلَ الصلاح

مورده حلوٌ لسُؤّاله * ومالُهُ ما سألوه مُطاح

ما اسمعَ الآملَ ردًّا ولا * ماطلَهُ والمطلُ لومٌ صُراح

ولا اطاعَ اللهوَ لمّا دعا * ولا كسا راحا له كاسَ راح

سوّدهُ اصلاحُهُ سرَّهُ * وردعه اهواءه والطِّماح

وحصّلَ المدحَ له علمه * ما مُهرُ الحورِ مُهورُ الصحاح

فقال له احسنت يا بُدَير * يا راسَ الدير * ثم قال لتِلْوِه * المشابه بصنوه * أدنُ يا نُوَيرةُ * يا قمر الدويرة * فدنا ولم يتباطا * حتى حلّ منه مقعد المعاطي * فقال له أجِل الابياتَ العرائس وان لم يكن نفائس * فبرى القلمَ وقطَّ * ثم احتجر اللوح وخطَّ * نظم

فتنتني فجننتني تجنّي * بتجنٍّ يفتنّ غِبَّ تجنّي

شغفتني بجفن ظبي غضيضٍ * غَنِجٍ يقتضي تغيُّضَ جفني

غشيتني بزينتيـ*ـن فشغفتـ*ـني بزيٍّ يشفّ بين تثنّي

فتظنّيتُ تجتبيني فتجزيـ*ـني بنفثٍ يشفي فخيّبَ ظنّي

ثبّتت فيَّ غشَّ جيبٍ بتزييـ*ـن خبيثٍ يبغي تشفّيَ ضغني

نفرت في تجنُّبي فتنتني * بنشيجٍ يُشجي بفنٍّ ففنِّ

فلما نظر الشيخ الى ما حبّره * وتصفّح ما زبره * قال له بورك فيك من طلا * كما بوركَ في لا ولا * ثم هتف أقربْ * يا قُطرُبُ * فاقترب منه فتىً يحكي نجمَ دُجية * او تمثالَ دمية * فقال له ارقم الابيات الاخياف * وتجنَّبِ الخلاف * فاخذ القلم * ورقم * نظم

اسمح فبثُّ السَّماح زينٌ * ولا تَخِبْ آملاً تضيَّفْ

و لا تُجِز ردَّ ذي سؤال * فَفَنَّ ام فى السوال خَفَفْ
و لا تظُنّ الدهورَ تُبقى * مالَ ضنين ولو تقشَّفْ
و احلُمْ فجفنُ الكرامِ يُغضي * و صدرُهم في العطاء نَفْنَفْ
و لا تخُنْ عهدَ ذي وداد * تُبت و لا تبغ ما تزيَّفْ

فقالَ له لا شلَّتْ يداك * و لا كُلَّتْ مُداك * ثم نادى يا غَشَمْشَمْ* يا عِطرَ مَنْشَمِ * فلبَّاه غلامٌ كدُرَّةِ غوَّاص * و جُوذَر قنَّاص * فقال له اكتُبِ الابياتَ المتائيم * و لا تكُن من المَشائيم * فتناولَ القلمَ المثقفَ * و كَتَبَ و لم يتوقَّف * نظم

زُيِّنَتْ زينبُ بقدِّ يقُدُّ * و تلاهُ و يلاهُ نهدٌ يهُدُّ
جندُها جيدُها و ظرفٌ و طرفٌ * ناعسٌ ناعشٌ بجدٍّ يجُدُّ
قدرُها قد زها و تاهتْ و باهتْ * و اعتدتْ و اغتدتْ بخدٍّ يخُدُّ
فارقتني فارَّقتني و شطَّتْ * و سَطَتْ ثم نمَّ وجدٌ و جدُّ
فدنتْ نُدّيتْ و حنَّتْ و حيَّتْ * مُغضَباً مُغضياً يودُّ يَودُّ

فطفق الشيخ يتأمّلُ ما سطره * و يقلّبُ فيه نظرَه * فلما استحسنَ خطَّه * و استصحَ ضبطَه(†) * قال له لا شلَّ عشرُك * و لا استخبث نشرُك * ثم اهابَ بفتىً فتّانٍ * يسفرُ عن ازهار بستان * فقال له انشد البيتين المطرفين * المشتبهى الطرفين * اللذين اسكتا كلَّ نافث * و امنا ان يُعزَّزا بثالث * فقال له اسمع لا وُقِرَ سمعك * و لا هزمَ جمعك * و انشد من غير تلبث و لا تريُّث * نظم

سِمْ سِمةً تحسُنُ آثارها * و اشكر لمن اعطى و لو سمسمة

(†) و استصح شكله وضبطه و في بعض النسخ فلما استملح خطه و ارتضى شكله و ضبطه •

و المكر مهما استطعت لا تأته * لتقتني السودد و المكرمه

فقال له اجدت يا زعلول * يا ابا الغلول (†) * ثم نادى ارضح يا ياسين * ما يشكل من ذوات السين * فنهض و لم يتأن * و انشد بصوت اغن * نظم

نقس الدواة و رسغ الكف مثبتة * سيذاهما خطأ وان درسا
و هكذا السين في قسب و باسقة * والسقر البخس واقسر واقتبس قبسا
و في تقسست بالليل الكلام و في * مسيطر و شموس و اتخذ جرسا
و في قريس و برد قارس فخذ الصواب * مني كن للعام مقتبسا

فقال له احسنت يا نغيش * يا صاجة الجيش * ثم قال ثب يا عنبسة * و بين الصادات الملتبسة * فوثب وثبة شبل مذار * و انشد (‡) من غير عثار * نظم

بالصاد يكتب قد قبضت دراهما * باناملي و اصخ لتستمع الخبر
و بصقت ابصق و الصماخ وصاخة * و القص و هو الصدر و اقتص الاثر
و بخصت مقلته و هذي قرصة * و قد ارعدت منه الفريصة للخور
و قصرت هذا الى حبست و قد دنا * فصح النصارى و هو عيد منتظر
و قرصته و الخمر قارصة اذا * حذت اللسان و كل هذا مستطر

فقال له رعيا لك يا بني * فلقد اقررت عيني * ثم استنهض ذا جثة كالبيدق * ونغشة كالشوذق * و امره بان يقف (§) بالمرصاد * و يسرد ما اجري على السين و الصاد * فنهض يسحب برديه * ثم انشد مشيرا بيديه * نظم

ان شئت بالسين فاكتب ما ابينه * و ان تشأ فهو بالصادات يكتتب
مغس و نقس و مسطار و مملس * و سالغ و سراط الحق و السقب

(†) يا ابا الغول (‡) ثم انشد (§) و امره ان يقف •

المغس الوجع المعترض في الجوف و هو مسكن الغين و الغقس نقس البيضة * و المسطار الخمرة المزة و يقال لها المسطارة ايضا * و المملس الذي يسقط من يديك و لا تشعر به * و السالغ آخر أسنان ذوات الظلف * و السقب القرب * نظم

و السامغان و سقر و السوبق و مسـ*ـلاق و عن كل هذا تفصح الكتب

السامغان جانبا الفم * و المسلاق الشديد الصوت * و منه قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد * فقال له احسنت يا حبقة * يا عين بقة * ثم نادى يا دغفل * يا ابا زنفل * فلباه فتى احسن من بيضة * في روضة * فقال له ما عقد هجاء الافعال * التي آخرها حرف الاعتلال * فقال له اسمع لا صم صداك * و لا سمعت عداك * ثم انشد * و (†) ما استرشد * نظم

إذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه * فالحق به تاء الخطاب و لا تقف فان ترقبل التـاء ياء فكتبـــه * بياء و الا فهو يكتب بالالف و لا تحسب الفعل الثلاثي و الذي * تعداه و المهموز في ذاك يختلف

فطرب الشيخ لما اداه * ثم عوذه و فداه * ثم قال هلم يا قعقاع * يا باقعة البقاع * فاقبل فتى احسن من نار القرى * في عين ابن السرى * فقال له إصدع بتمييز الظاء من الضاد * لتصدع اكباد الاضداد * فاهتز لقوله و اهتش * ثم انشد بصوت اجش * نظم

ايها السائلي عن الظاء و الضا * د لكيـــلا تضلـــه الالفـــاظ
ان حفظ الظاءات يغنيك فاسـ*ـمعها استماع امرئ له استيقاظ
هي ظمياء و المظـــالم و الاظـ*ـلام و الظلـــم و الظبى و اللحاظ

(†) بعد *

و العظا و الطليم و الظبي و الـ*ـشيظم و الظل و اللظى و الشواظ
و الظتي و اللغظ و النظم و التـقـ*ـريظ و القيظ و الظماء و اللمـاظ
و الحظي و النظير و الظئر و الجـ*ـاحظ و النـاظرون و الايقـاظ
و التشظي و الظلف و العظم و الظنـ*ـبوب و الظهر و الشظى و الشظاظ
و الاظافيـر و المظفـر و المحـ*ـظور و الحافظون و الاحفاظ (*)
و الحظيـرات و المظنة و الظنـ*ـة و الكاظمـون و المغـتاظ
و الوظيفات و المواظب و الكظـ*ـة و الانتظـار و الالظـاظ
و ظيـف و ظالع و عـظيم * و ظهيـر و الغظ (†) و الاغـلاظ
و نظيف و الظرف و الظلف الظا * هر ثم الغظيع (‡) و الوعاظ
و عكاظ و الظعن و المظ و الحنـ*ـظـل و القـارظـان و الارشاظ
المظ رمان البر * و القارظ جاني القرظ و هو النبات المدبوغ به *
و الارشاظ الاخلاط و الجماعات * نظم

و ظراب الظران و الشظف البا*ـهظ و الجعظـري و الـجـواظ
الظراب الربا الصغار واحدها ظرب * و الظران الحجارة المحددة
واحدها ظرر * و الشظف البوس و سوء العيش * و الباهظ المثقل *
و الجعظري المتنفخ (||) بما ليس عنده * و الجواظ الفاجر و قيل
الاكول المختال * نظم

و الظرابين و الحناظب و العنـ*ـظب ثم الظيان و الارعاظ
الظرابين جمع ظربان و هي دابة لا يطاق فسوها و تجمع ايضا على
ظرابي بحذف النون و على ظربى و هو شاذ (§) و لم يجئ على
فعلى الا هذا و حجلى جمع حجل * و الحناظب ذكور الخنافس *

(*) الاحفاظ (†) الفظ (‡) الفظيع (||) المنتفخ (§) و هو جمع شاذ *

و العُنظُبُ ذَكر الجَراد * و الظَّيان ياسمين البَر * و الارعاظ جمع رُعْظ
و هو مدخل النَّصل فى السهم * نظم

والشناظي والداظر(¶) والظّأب والظبظاب و العُنظُوان و الجِنعاظ

الشناظي نواحى الجبل * و الدلظ الدفع * و الظاب الصخب($)
و قد تبدل الداء منه ميما و قيل ان الظاب و الظام اسمان لسلف
الرجل * و العُنظُوان نَبت * و الظبظاب الداء يقال ما به ظبظاب
كما يقال ما به قَلَبة * و الجِنعاظ الاحمق و قيل المتسخط
عند الطعام * نظم

و الشناظير و التعاظُل و العِظلِم و البَظَر بعدَ و الانعاظُ

الشناظير جمع شِنظير * و هو السيّئ الخُلق * و التعاظُل تلازم الجراد
و الكلاب عند السِّفاد * و العِظلِم الخِطمي * نظم

هي هٰذي سوى النوادر فاحفظها لتقفو آثارك الحفاظُ

واقض فيما صرفت منها كما تقضيه في اصله كقيظ و قاظوا

فقال له الشيخ احسنت لافُضّ فوك * و لا بَرَّ من يجفوك * فو الله
انك مع الصبا الغَض * لاحفظ من الارض * واجمع من يوم
العرض * و لقد اوردتك و رَفقتك زلالي * و ثقّفتكم تثقيف العوالي *
و الحقتكم جناح تكرمتي * و سقيتكم سُلافة كَرْمَتي * حتى لحقتم
بالعِلْية * و تحلّيتم من الادب باحسن الحِلْية * فاذكروني اذكُركم
و اشكروا لي و لا تكفرون * قال الحارث بن همام فعجبت لما أبدى
من براعة * معجونة برقاعة * و اظهر من حذاقة * ممزوجة بحماقة *
و لم يزل بَصَري يصعّد فيه و يصوّب * و ينقّر عنه و ينقّب * و هو
كمن ينظر في ظلماء * او يسري في يهماء * فلما استرابت تنبّهي

(¶) الداظ ($) الصخب *

و استبان تدلّهي * حملق اليّ و تبسم * و قال لم يبق من يتوسم * فبهتُ(†) لفحوى كلامه * و وجدته ابا زيد عند ابتسامه * و اخذت اللومه على تدبّر بقعة الذّوكى * و تخيُّر حرفة الحمقى * فكأنّ وجهه أسفّ رمادا * او أُشرب سوادا * الا انه انشد و ما تمادى * نظم

تخيّرتُ حمض و هذى الصّناعه * لأُرزَق حظوة اهـــل الرّقاعه
فما يصطفي الدهر غير الرقيع * و لا يُوطن المال الا بقاعـــه
و لا لاخى الّلب من دهـــره * سوى ما لعَيْر ربيـــطٍ بقاعـــه

ثم قال اما ان التعليم اشرف صناعة * و اربح بضاعة * و انجح شفاعة * و افضل براعة * و ربّه ذو امرة مطاعة * و هيبة مشاعة * و رعيّة مطواعة * يتسيطر تسيطر امير * و يرتّب ترتيب وزير * و يتحكّم تحكّم قدير * و يتشبّه بذي مُلك كبير * لولا انه يخرف في آمد يسير * و يتّسم بحمق شهير * يتقلّب بعقل صغير * و لا يُنبئك مثل خبير * فقلت له تالله انك ابن الايام * و علم الاعلام * والساحر اللاعب بالاوهام * المذلّل له سبل الكلام * ثم لم ازل معتكفا بناديه * مغترفا من سيل واديه * الى ان غابت الايام الغرّ * و نابت الاحداث الغبر * ففارقته و لعيني العبر *

المقامة السابعة و الاربعون

الحجرية

حكى الحارث بن همام قال احتجتُ الى الحجامة و انا بحجر اليمامة * فأرشدت الى شيخ يحجم بلطافة * و يسفر عن نظافة *

(†) نبهتُ •

فبعثت غلامي لاحضاره * و ارصدت نفسي لانتظاره * فابطأ بعد
ما انطلق * حتى خلته قد ابق * او ركب طبقا عن طبق * ثم عاد
عود المخفق مسعاه * الكَلِّ على مولاه * فقلت له ويلك ابطأ
فذٍ * و صلود زند * فزعم ان الشيخ اشغل من ذات النحيين *
و في حربٍ كحرب حنين * فعفت المشي الى حجام * و حرت
بين اِقدام و اِحجام * ثم رأيت الّا تعنيف * على من ياتي الكنيف *
فلما شهدت موسمه * و شاهدت ميسمه * رأيت شيخا هيئته
نظيفة * و حركته خفيفة * و عليه من النظارة اطواق * و من
الزحام طِباق * و بين يديه فتى كالصمصامة * مستهدف للحجامة *
والشيخ يقول له اراك قد ابرزت راسك * قبل ان تبرز قرطاسك *
و ولّيتني قذالك * و لم تقل لي ذالك * و لست ممن يبيع نقدا
بدين * و لا من يطلب اثرا بعد عين * فان انت رضخت بالعين *
حجمت في الاخدعين * و ان كنت ترى الشح اولى * و خزن الفلس
في النفس احلى * فاقرأ عبس و تولى * و اغرب عني و الّا * فقال
الفتى و الذي حرّم صوغ المين * كما حرّم صيد الحرمين * اني
لافلس من ابن يومين * فثق بسيل تلعتي * و انظرني الى سعتي *
فقال الشيخ ويحك اِن مثل الوعود * كغرس العود * هو بين ان
يدركه العطب * او يدرك منه الرطب * فما يدريني أ يحصل من
عودك جنىً * ام احصل منه على ضنىً * ثم ما الثقة بانك حين
تبتعد * ستفي بما تعد * و قد صار الغدر كالتحجيل * في حلية
هذا الجيل * فارحني بالله من التعذيب * و ارحل الى حيث
يعوي الذئب * فاستوى الغلام اليه * و قد استولى الخجل عليه *
و قال و الله ما يخيس بالعهد * غير الخسيس الوغد * و لا يرد

غدير الغدر * إلا الوضيع القدر * و لو عرفت من انا * لما استعتني الخنا * لكنك جهلت فقلت * و حيث وجب ان تسجد بلت *

و ما اقبح الغربة و الاولال * و احسن قول من قال * نظم

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ما له قوت
لكنه ما تشين الحر موجعة * فالمسك يسحق والكافور مفتوت
و طالما اصلي الياقوت جمر غضا * ثم انطفى الجمر و الياقوت ياقوت

فقال له الشيخ يا ويلة ابيك * و عولة اهليك * أ أنت في موقف فخر يظهر * و حسب يشهر * ام موقف جلد يكشط * و نفا يشرط * و هب أن لك البيت * كما ادعيت * أ تحصل بذلك * حجم قذالك * لا و الله و لو ان اباك أناف * على عبد مناف * او لخالك دان * عبد المدان * فلا تضرب في حديد بارد * و لا تطلب ما لست له بواجد * و باه اذا باهيت بموجودك * لا بجدودك * و بمحصولك * لا باصولك * و بصفاتك * لا برفاتك * و باعلاقك * لا باعراقك * و لا تطع الطمع فيذلك * و لا تتبع الهوى فيضلك *

و لله القائل لابنه * نظم

بني استقم فالعود تنمي عروقه (‡) * قويما و يغشاه إذا ما التوى التوى (†)
و لا تطع الحرص المذل و كن فتى * إذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى
و عاص الهوى المردي فكم من محلق * الى النجم لما أن اطاع الهوى هوى
و اسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى * على من الى الحر اللباب انضوى ضوى
و حافظ على من لا يخون اذا نبا * زمان و من يرعى اذا ما النوى نوى
و ان تقتدر فاصفح فلا خير في امرئ * اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شوى
و اياك والشكوى فلم تر ذا نهى * شكى بل اخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

(‡) فروعه (†) التوى توي •

فقال الغلام للنظّارة يا للعجيبة * و الطُّرفة الغريبة * انف فى السماء * و است فى الماء * و لفظ كالصهباء * و فعل كالحصباء * ثم اقبل على الشيخ بلسان سليط * و غيظ مستشيط * و قال أفّ لك من صوّاغ باللسان * روّاغ عن الاحسان * تأمر بالبِرّ * و تُعُقّ عقوقَ الهِرّ * فان يكن سبب تعنُّتك * نَفاق صنعتك * فرماها الله بالكساد * و افساد الحُسَّاد * حتى تُرى افرغ من حجّام ساباطَ * و اضيق رزقا من سمّ الخياط * فقال له الشيخ بل سلّط الله عليك بَثْر الفم * و تبيّغ الدم * حتى تُلجأ الى حجام عظيم الاشتطاط * ثقيل الاشتراط * كليل المِشراط * كثير المُخاط و الضُّراط * قال فلما تبين الفتى انه يشكو الى غير مُصمِت * و يُراود استفتاح باب مُصمَت * اضرب عن رَجْع الكلام * و اختفز للقيام * و عَلِم الشيخ انه قد الم * بما اسمع الغلام * فجنح الى سِلْمه * و بذل ان يُذعن لحكمه * و لايبغي اجرا على حجمه * و ابى الغلام الا المشي بدآئه * و الهَرب من لقائه * و ما زالا في حِجاج و سِباب * و لِزاز و جِذاب * الى ان ضَجِ الفتى من الشِّقاق * و تلا رُدُنَه سُورة الانشقاق * فاعول حينئذ لوفارة خُسْره * و انعطاط عِرضه و طِمْره * و أخذ الشيخ يعتذر من فَرَطاته * يغُيِضّ من عَبَراته * و هو لا يُصغي الى اعتذاره * و لا يُقصر عن استعباره * الى ان قال له فَداك عَمُّك * و عَداك ما يغُمُّك * اما تسأم الاعوال * اما تَعرِف الاحتمال * الم تسمع بمن اقال * و اخذ بقول من قال *

نظم

اخمِد بحلمك ما يذكيه ذو سَفَه

من نار غيظك واصفح ان جنا جَاني

فالعلم افضل ما ازدان اللبيب به
و الاخذ بالعفو احلى ما جنى جانى

فقال له الغلام * اما انك لو ظَهرت على عيشى المكدر * لعَذرت في دمعى المنهمر * و لكن هان على الاملس ما لاقى الدَّبِر * ثم كأنه نزع الى الاستحياء * فاقلَع عن البكاء * و فاء الى الارعواء * و قال للشيخ قد صرتُ الى ما اشتهيتَ * فارقَع ما أوهيتَ * فقال هيهات شَغَلَتْ شعابي جَدوايَ * فشم بارقَ سوايَ * ثم انه نهض يَستقري الصُّفوفَ * و يَستَجدى الوقوف * و ينشدني ضمن ما يطوف * نظم

أُقسمُ بالبيت الحرام الذي * تهوي اليه الزُّمَرُ المُحرِمه
لو أنَّ عندي قُوتَ يوم لما * مسَّت يدي الشراطو المحجمه
و لا ارتضت نفسي التي لم تزل * تسمو الى المجد بهذي السِّمه
و لا اشتكى هذا الفتى غلظةً * مني و لا شاكته مني حُمَه
لكن صروف الدهر غادرنني (†) * كخابطٍ في الليلة المظلمه
و اضطرَّني الفقر الى مَوقف * من دونه خوضُ اللَّظى المُضرَمه
فهل فتىً تُدركه رِقَّةٌ * عليَّ او تعطفه مرحمه

قال الحارث بن همام فكنت اول من اوى لبَلواه * و رَقَّ لشكواه * فنفحتُه بدرهمين * و قلتُ لا كانا و لو كان ذا مين * فابتَهج بباكورة جَناه * و تَفأَّل بهما لغناه * و لم تزل الدراهمُ تَنهالُ عليه * و تنثال لديه * حتى آل ذاعيشة خضراء * حقيبة بُجْرآء * فازدهاه الفرح عند ذلك * وَهنأ نفسه هُنالك * و قال للغلام هذا رَيع انت بُذرُه * و حلب لك شَطْرُه * فهلُمَّ لنَقْتَسِم * و لا نحتشم * فتقاسماه بينهما شِقَّ الأَبْلُمَه * و نهضا متفقى الكلمه * و لما انتظم

(†) غادرتني ٭

عقد الاصطلاح * و همَّ الشيخ بالرواح * قلت له قد تبوَّغ دمي * و نقلت اليك قدمي * فهل لك في ان تحجُمَني * و تُكفكِفَ ما دهمني * فصوَّبَ طرفه بيّ و صعَّد * ثم اردلف اليَّ و انشد * نظم

كيف رايتَ خُدعتي و خَتلي * و ماجرى بيني و بين سَخْلي
حتى انثنيتُ فائزا بالخَصْل * اَرعى رياضَ الخصب بعد المَحْل
بالله يا مهجةَ قلبي قل لي * هل ابصرَتْ عيناك قطُّ مثلي
يفتحُ بالرُّقية كل قفل * و يستبي بالسحر كل عقل
و يعجنُ الجِدَّ بماءِ الهزل * اِن يكُن الاسكندري قَبْلي
فالطَّلُّ قد يبدو امام الوَبْل * و الفضل للوابل لا للطَّلِّ

قال فنبَّهتْني ارجوزتُه عليه * و ارتني انَّه شيخُنا المشار اليه * فقرَّعتُه على الابتذال * و الالتحاق بالاَرذال * فاعرضَ عما سمع * و لم يُبَلْ بما قُرِعَ * و قال كُلُّ الحذاء يحتذي الحافي الوقع * ثم قاصاني مقاصاة المُهان * و انطلق هو و ابنُه كفرسي رِهان *

قال ابو محمد القاسمُ بن عليّ رضي الله عنه * قد اودعت هذه المقامةَ بِضعةَ عشَرَ مثلا من امثال العرب * و ها انا اُفسّرُ منها ما خلته (†) يلتبس على من يقتبس * اما قوله بُطء فِنْد - فهو مولى عايشةَ بنت سعدِ بن ابي وَقّاصٍ و كانت بعثته بالمدينة ليقتبسَ لها نارا فقصَد مصر و اقام بها سَنَةً ثم جاءها بعد السنة يشتدُّ و معه جمرٌ فتبدَّدَ منه فقال تعِسَت العَجَلةُ * و اما ذاتُ النِّحيَيْن - فهي امرأة من تيم الله بن ثعلبة حضرتْ سُوقَ عُكاظَ و معها نِحْيا سَمْنٍ فاستخلى بها خَوّاتُ بن جُبَير الانصاري ليبتاعهما منها ففتح احدَهما و ذاقه و دفعه اليها فاخذتْه

(†) اخاله •

باحدى يديها ثم فتح الآخَر وذاقه و دفعه اليها فامسَكَتْه بيدها الاخرى ثم غشيها و هي لا تقتدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النِّحيين و شُدِّها على السَّمْن فلما قام عنها قالت لا هناكَ فضُرِبَ المثلُ فيمن شغُلَ و هي في هذا المثل مفعولة لانها شُغلَتْ و اكثرُ الامثال التي على افعَلَ ياتي من فعلِ الفاعل * و اما قوله انف في السماء و استٌ في الماء ـ فيُضرَبُ هذا المثلُ لمن يتكبرّ مقالا و يصغُر فعالا * و اما قوله افرغ من حجّام ساباطَ ـ فذُكِرَ انه كان حجاما ملازما ساباطَ المدائن يحجُمُ الجُنديَّ بدانقٍ نَسيئَةً و ربما مرّتْ عليه بُرهَةٌ لا يقربُه فيها احدٌ فكان يبرزُ أمهُّ عنده تماديَ عُطْلَته فيحجُمُها لئلا يُقرَّع بالبَطالَة فماز ال يَحجُمُها حتى نزف دمُها و ماتت * و اما قولُه يشكو الى غير مُصمِّتٍ ـ فهو مثل يضُربُ لمن لا يكترثُ بشان صاحبه و لا يُبالي باستمرار شكايته لانه لو اشكاه لصَمَتَ و امسك عن الكلام و منه قول الراجز يُخاطِبُ جملا له *

نظم

انك لا تشكـــو الى مُصَمّتٍ * فاصبرْ على الحمْل الثقيل او مُت

و نحو هذا المثل هان على الاملس ما لاقى الدَّبِرُ * و اما قوله شغلَتْ شِعابي جَدْوايَ فالمراد به انه ليس يفضل عني ما اصرفه الى غيري والشعاب الذواحي و احدها شعْبٌ * و قوله كلّ الحذاء يحتذي الحافى الوقَع ـ معناه ان المجهودَ يقنَعُ بما يجد و الوقَعُ ان تُصيبَ الحجارةُ القدَمَ فتوهنها * فاما البعيرُ المُوقَّع ـ فهو الذي يكثُرُ آثار الدَّبر بظَهره *

المقامة الثامنة والاربعون

الحرامية

روى الحارث بن همام عن ابي زيد السروجي * قال ما زلتُ مُذ رحلتُ عَنْسي * وارتحلتُ عن عِرسي وغَرْسي * احِنُّ الى عِيان البَصْرة حنينَ المظلوم الى النُّصرة * لما اجمعَ عليه اربابُ الدِّراية * واصحابُ الرِّواية * من خصائص معالمها وعلمائها * ومآثر مَشاهدها وشُهدائها واسألُ اللهَ تعالى ان يُوَطِّئَني ثَراها * لافوز بمَرآها * وان يُمطيَني قَراها * لاقتري قُراها * فلما احلَّنيها الحَظُّ * وسرح لي فيها اللحظُ * نظم

رأيت بها ما يملأ العين قُـرَّة * ويُسلي عن الاوطان كلَّ غريب

فغلستُ في بعض الايام * حين نَصَل خضابُ الظلام * وهتف ابو المُنذِر بالنُّوَّام * لاخطُوَ في خِطَطها * واقضيَ الوَطَرَ من توسُّطها * فاداني الاختراقَ في مسالكها * والانصلاتُ في سككها * الى محَلَّة موسومة بالاحترام * منسوبة الى بني حَرام * ذات مساجدَ مشهودة * وحِياضٍ مَورودة * ومَبانٍ وثيقة * ومَغانٍ أنيقة * وخصائصَ اثيرة * ومَزايا كثيرة * نظم

بها ما شئتَ من دين ودنيا * وجيـرانٍ تنافَوا في المعاني
فمشغوفٌ بآيات المثـاني * ومفتـونٌ بـرنّات المثاني
ومضطلـعٌ بتلخيص المعاني * ومُطَّلـعٌ الى تخليص عاني
وكـم من قارئٍ فيـها وقارٍ * اضـرَّا بالجُفـون وبالجفـان
وكـم من مُعلـم للعلمِ فيها * ونادٍ للنَّـدى حُلو المجاني

و مَغنىً ما تزال تُغنّ فيه * اغاريد الغواني و الاغاني
فَصلِّ ان شئتَ فيها من يُصلّي * و اِمّا شئتَ فادنُ من الدّنان
و دونكَ صُحبةَ الاكياس فيها * اِر الكاسات مُنطلقَ العنان
قال فبينما انا انفض طُرقها * و استشفُّ رونَقَها * اذ لمحتُ عند دُلوك براح * و اظلال الرّواح * مسجدا مشتهرا بطرائفه * مُزدهرا بطوائفه * و قد اجرى اهله ذكر حروف البدل * و جَروا في حَلبة الجَدَل * فعجبتُ نحوهم * لاستمطرَ نوءهم * لا لاقتبس نحوَهم * فلم يكُ الا كقبسة العَجلان * حتى ارتفعت الاصواتُ بالاذان * ثم ردف التأذين بروزُ الامام * فاغمدت ظُبَي الكلام * و حُلّت الحُبى للقيام * شُغلنا بالقنوت * عن استمداد القوت * و بالسجود * عن استنزال الجود * و لما قُضيَ الفرض * و كاد الجمع ينفضُّ * انبرى من الجماعة * كهلٌ حُلو البراعة * له مع السَّمت الحَسَن * ذلاقة اللَّسن * و فصاحة الحَسَن * و قال يا جيرتي * الذين اصطفيتُهم على اغصان شجرتي * و جعلتُ خطّتَهم دار هجرتي * و اتخذتهم كَرِشي و عيبتي * و اعددتهم لحضري و غيبتي * اما تعلمون انّ لبوس الصدق ابهى الملابس الفاخرة * وَ ان فُضوح الدنيا اهونُ من فُضوح الاخرة * وان الدين إمحاضُ النصيحة * و الارشادَ عنوان العقيدة الصحيحة * و ان المُستشارَ مؤتَمَنٌ * و المسترشدَ بالنصح قَمِنٌ * و ان اخاك هو الذي عذَلك * لا الذي عذَرك * و صديقك من صدّقك * لا من صدقك * فقال له الحاضرون ايها الخلُّ الودود * و الخدن المودود * ما سرُّ كلامك المُلغز * و ما شرح خطابك الموجز * و ما الذي تبغيه منا لينجز * و لو اعجز * فوالذي حبانا

بصحبتك * و جعلنا من صفوة احبتك * ما نالوك نصحا * و
لا ندخر عنك نصحا * فقال لهم جزيتم خيرا * و وقيتم ضيرا *
فانكم ممن لا يشقى بهم جليس * و لا يصدر عنهم تلبيس *
و لا يخيب فيهم مظنون * و لا يطوي دونهم مكنون * سابثكم
ما حك في صدري * و استفتيكم فيما عيل له صبري * اعلموا
اني كنت عند صلود الزند * و صدود الجد * اخلصت مع الله
نية العقد * و اعطيته صفقة العهد * على ان لا اسبا مداما *
و لا اعاقر ندامى * و لا حتسي قهوة * و لا اكتسي نشوة *
فسولت لي النفس المضلة * و الشهوة المزلة * ان نادمت
الابطال * و عاطيت الارطال * و اضعت الوقار * و ارتضعت
العقار * و امتطيت مطا الكميت * و تناسيت التوبة كالميت *
ثم لم اقنع بهانيكم المرة * في طاعة ابي مرة * حتى عكفت على
الخندريس * في يوم الخميس * و بت صريع الصهباء * في الليلة
الغراء * و ها انا بادي الكابة * لرفض الانابة * نامي الندامة *
لوصل المدامة * شديد الاشفاق * من نقض الميثاق * معترف
بالاسراف * في عب السلاف * فيا قوم هل كفارة تعرفونها تباعد
من ذنبي * و تدني الى ربي * قال ابو زيد فلما حل انشوطة
نفثه * و قضي الوطر من اشتكاء بثه * ناجتني نفسي يا ابا زيد *
هذه نهزة صيد * فشمر عن يد و ايد * فانتهضت من مجثمي
انتهاض الشهم * و انخرطت من الصف انخراط السهم * و قلت *

نظم

ايهـــا الاروع الـــذي * فاق مجـــدا و سوددا

والذي يبتغـى الرشا * د لينجـــو به غـدا

ان عندي علاجَ ما * بتُّ منه مُسَهَّدا
فاستمعها عجيبة * غادرتني مُلَدَّدا
انا من ساكني سُرو * جَ ذوي الدين و الهدا
كنتُ ذا ثروةٍ بها * و مطاعًا مُسوَّدا
مَربعي مألفُ الضيو * فِ و مالي لهم سُدا
اشتري الحمدَ باللُّهى * واقي العِرضَ بالجَدا
لا أبالي بمُنْفسٍ * طاح في البَذْل و النَّدا
أوقد النار باليفا * عِ اذا الأنكسُ اخمدا
و يَراني المؤمّلو * نَ مَلاذا و مَقصدا
لم يشم بارقي صدٍ * فانثنى يشتكى الصَّدا
لا و لا رام قابسٌ * قدحَ زَنْدي فاصلَدا
طالما ساعدَ الزما * نُ فاصبحتُ مُسعدا
فقضى الله ان يغـ * ـيِّرَ ما كان عوَّدا
بوَّأ الروم ارضنا * بعد ضغنٍ تولّدا
فاستباحوا حريمَ مَن * صادفوه موحِّدا
و حوَوْا كلَّ ما استسـ * ـرّبها لي و ما بَدا
فتطوَّحتُ في البلا * د طريدا مُشَرَّدا
اجتدي الناسَ بعد ما * كنت من قبلُ مجتدا
و ترى به خصاصة * اتمنى لها الردا
و البلاءُ الذي به * شملُ أنسي تبدّدا
استباءُ ابنتي التي * اسروها لتُفتدا
فاستبِنْ محنتي و مُـ * ـدَّ الى نصرتي يدا
و اجرني من الزما * ن فقد جار و اعتدا

واعنّي على فكا * ك ابنتي من يد العدا
فبذا تُمحَى المآ * ثم عمّن تمرّدا
وبه تُقبَل الانا * بة ممّن تزهّدا
وهو كفّارة لمن * زاغ من بعد ما اهتدا
ولئن قمتُ منشدا * فلقد فهتُ مرشدا
فاقبل النُّصح والهدا * ية واشكر لمن هدا
واسمح الآن بالذي * يتسنّى لتُحمَدا

قال ابو زيد فلما اتممتُ هذرمتي * واوهَمَ المسئولُ صدقَ كلمتي * اغراهُ القرمُ الى الكرم بمواساتي * ورغّبهُ الكلفُ بحمل الكُلَف في مُقاساتي * فرضَخَ لي على الحافرة * ونضَحَ لي بالعدَة الوافرة * فانقلبتُ الى وكري * فرحًا بُنجْح مكري * وقد حصلْتُ من صَوْغ المكيدَة * على سوغِ الثَّريدَة * ووصلتُ من حَوْك القصيدة * الى لَوْك العَصيدة * فقال الحارث بن همام فقلت له سبحان من ابدَعَك * فما اعظمَ خُدَعَك * فاستغربَ في الضَّحكِ * ثم انشد غير مُرتَبكٍ * نظم

عِش بالخداع فانتَ في * دهرٍ بنوه كأسْد بيشَه
وأدِرْ قناةَ المكر حتى * تستديرَ رحا المعيشَة
وصِدِ النسورَ فان تعذّر * صيدُها فاقنَعْ بريشَه
واجنِ الثمارَ فان تفُتْكَ * فرِضْ نفسَكَ بالحشيشَه
وارِحْ فؤادكَ ان نبا * دهرٌ من الفكرِ المُطيشَه
فتغايُرُ الاحداثِ يؤذِنُ * باستحالةِ كلِّ عيشَه

المقامة التاسعة والاربعون

الساسانية

حكى الحارث بن همام قال بلغني ان ابا زيد حين ناهز القبضة * وابتزهُ قيدُ الهرم النهضة * احضر ابنه * بعد ما استجاش ذهنه * وقال له يا بُنيّ انه قد دنا ارتحالي من الفناء * واكتحالي بمرود الفناء * وانت بحمد الله وليّ عهدي * وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي * ومثلك لا تُقرع له العصا * ولا يُنبَّه بطرق الحصا * ولكن قد ندب الى الافكار * وجُعل صيقلا للافكار * واني اوصيك بما لم يوص به شيثُ الانباط * ولا يعقوبُ الاسباط * فاحفظ وصيتي * وجانب معصيتي * وَاحْذُ مثالي * وانقُهْ امثالي (†) * فانك ان استنصحتَ نُصحي (‡) * واستصبحت بصبحي * امرع خانك (§) * وارتفع دخانك * وان تناسيت سُورتي * ونبذت مَشُورتي * قلّ رمادُ اثافيك * وزهدَ اهلُك وزهطُك فيك * يا بُنيّ اني جرّبتُ حقائق الامور * وبلوت تصاريف الدهور * فرايت المرء بنشبه لا بنشبه * والفحص عن مكسبه * لا عن حسبه * وكنت سمعت ان المعايش إمارة وتجارة * وزراعة وصناعة * فمارستُ هذه الاربع * لانظُرَ ايّها اوفق وانفع * فما احمدت منها معيشة * ولا استرغدتُ فيها عيشة * اما فُرَصُ الولايات * وخُلَسُ الامارات * فكأضغاث الاحلام * والفيء المنتسخ بالظلام ($) * وناهيك

(†) وتذكر امثالي (‡) استنصحت بنصحي - وفى نسخة - استرشدت بنصحي (§) ان استصبحت بصبحي واستنصحت نصحي طاب معاشك وطال انتعاشك وامرع الخ • ($) فى الظلام •

غُصّة بمرارة الفطام * و اما بضائع التجارات * فعرضة المخاطرات * و طعمة للغارات * و ما اشبهها بالطيور الطيّارات * و اما انتحال الضياع * و التصدي للازدراع * فمنهكة للاعراض * و قيودٌ عائقة عن الارتكاض * فلما خلا ربّها من اذلال * او رزق روح بال * و اما حِرَفُ اولى الصناعات * فغير فاضلةٍ عن الاقوات * و لا نافقةٍ في جميع الاوقات * و معظمها معصوب بشبيبة الحيوة * و لم ار ما هو بارد المغنم * لذيذ المطعم * وافى المكسب * صافى المشرب * الا الحرفة التي وضع ساسان اساسها * ونوّع اجناسها * و اضرم في الخافقين نارها * و اوضح لبني غبراء منارها * فشهدت وقائعها معلماً * و اخترت سيماها لي ميسما * اذ كانت المتجر الذي لا يبور * و المنهل الذي لا يغور * و المصباح الذي يعشو اليه الجمهور * و يستصبح به العمي و العور * و كان اهلها اعزّ قبيل * و اسعد جيل * لا يرهقهم مسُّ حيف * و لا يقلقهم سلُّ سيف * و لا يخشون حُمة لاسع * و لا يدينون لدانٍ و لا شاسع * و لا يرهبون من برق و رعد * و لا يحفلون بمن قام و قعد * انديتهم منزّهة * و قلوبهم مرفّهة * و طعمهم معجّلة * و اوقاتهم غرٌّ محجّلة * اينما سقطوا لقطوا * و حيثما انخرطوا خرطوا * لا يتخذون اوطانا * و لا يتّقون سلطانا * و لا يمتازون عما يغدو خماصا * و يروح بطانا * فقال له ابنه يا ابت لقد صدقت * فيما نطقت * و لكنك رتقت و ما فتقت * فبيّن لي كيف اقتطف * و من اين تؤكل الكتف * فقال يا بنيّ ان الارتكاض بابها * و النشاط جلبابها * و الفطنة مصباحها * و القحة سلاحها * فكنْ اجول من قطرب * و اسرى من جندب * و انشط من ظبي مقمر * و اسلط من ذئب متنمّر * و اقدح

زند جَدّك * بجدّك * واقرع باب رعيك * بسعيك * و جُبْ كل فجّ * و خُضْ كل لُجّ * و انتجع كل روض * و ألقِ دلوك الى كل حوض * و لا تسأم الطلب * و لا تملّ الدأب * فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسانَ مَن طلب * جلَب * و مَن جال * نال * و اياك و الكسَل فانه عنوان النُّحوس * و لبُوس ذوي البُؤس * و مفتاح المَتْربَة * و لقاح المتعبه * و شيمة العَجزة الجهلة * و شنشنة الوكَلَة التُّكلَة * و ما اشتار العسل * مَن اختار الكسَل * و لا ملأ الراحة * من استوطا الراحة * و عليك بالاقدام * و لو على الضرغام * فان جُرأة الجنان * تُنطق اللسان * و تُطلق العنان * و بها تُدرك الحُظوَة * و تُملك الثروة * كما ان الخور صنو الكسل * و سبب الفشَل * و مبطأةٌ للعمل * و مَخيبة للامَل * و لهذا قيل في المثَل * مَن جسَر * ايسَر * و مَن هاب * خاب * ثم ابرُزْ يا بُنيّ في بكور ابى زاجر * و جرأة ابي الحارث * و حَزامة ابي قِرّة * و ختْل ابي جَعدة * و حرص ابي عُقبة * و نشاط ابى وثّاب * و مكر ابى الحُصين * و صبر ابي ايوب * و تلطّف ابي غزوان * و تلوّن ابي براقش * و اخلُب بصَوغ اللسان * و اخدع بسحر البيان * و ارتَد السُّوق قبل الجلب * و امتر الضرع قبل الحلب * و سائل الركبان قبل المنتجع * و دمّث لجنبك قبل المضطجع * و اشحَذ بصيرتك للعيافه * و انعم نظرك فى القيافه * فان من صدق توسُّمُه * طال تبسُّمُه * و من اخطأت فراستُه * ابطأت فريستُه * و كن يا بنيّ خفيف الكَلّ * قليل الدلّ * راغبا عن العَلّ * قانعا من الوبْل بالطّل * و عظّمْ وقع الحقير * و اشكر على النَّقير * و لا تقنَط عند الرد * و لا تستبعد رشحَ الصلد * و لا تَيأَس من رَوح الله انه

لا ييأسُ من رَوح الله الا القومُ الكافرون * و اذا خُيِّرتَ بين ذَرَّة مفقودة * و درة موعودة * فمِلْ الى النقد * و فضّل اليومَ على الغد * فان للتأخير آفات * و للعزائم بدوات * و للعدات مُعقبات * و بينها و بين النُجز عَقَبات * و عليك بصبر اولي العزم * و رفق ذوي الحزم * و جانب خُرْقَ المُشْتَطّ * و تخلّقْ بالخلق السبْط * و قيّد الدرهم بالربط * و شُبِ البذل بالضبط * و لا تجعل يدك مغلولة الى عُنُقك و لا تبسُطها كل البسط * و متى نبا بك بلد * او نابك فيه كمد * فبُتَّ منه املك * و اسرح عنه جملك * فخيرُ البلاد ما حملك * و لا تستثقلنّ الرحلة * و لا تكرهنّ النقلة * فان اعلام شريعتنا * و اشياخَ عشيرتنا * اجمعوا على ان الحركة بركة * و الطراوة مُفتجة * و زروا على من زعم ان الغربة كربة * و النُقلة مُثلة * و قالوا هي تَعِلّةُ من اقتنع بالرذيله * و رضِيَ بالحشف و سوء كيله * و اذا ازمعتَ الاغتراب * و اعددت له العصا و الجراب * تخيرِ الرفيقَ المُسعدَ * من قبل ان تُصعد * فان الجار * قبل الدار * و الرفيق * قبل الطريق * نظم

خذها اليك وصية * لم يوصِها قبلي احد
غرّاء حاويةٌ خُلا * صاتِ المعاني و الزُبَد
نقّحتُها تنقيحَ مَن * مَحَضَ النصيحة و اجتهد
فاعمَلْ بما مثّلتُه * عمل اللبيب اخي الرشَد
حتى يقول الناسُ هذا الشبل من ذاك الاسد

ثم قال له يا بنيَّ قد اوصيتُ * و استقصيت * فان اقتديتَ * فوالهًا لك * و ان اعتديتَ فآها منك * و اللهُ خليفتي عليك * و ارجو ان لا تُخلِفَ ظني فيك * فقال له ابنه يا ابتِ لا رُفعَ

عرشك * و لا رُفِعَ نعشُك * فلقد قلتَ سددا * و علّمتَ رُشدا * و بيّنتَ لي سُودَدا * و نَحلْتَ ما لم ينحل والد ولدا * ولئن أُمهلتُ بعدك * و لاذُقتُ فقدك * فلا تأدبنّ بآدابك الصالحه * ولاقتدين بآثارك الواضحه * حتى يقال ما اشبه الليلة بالبارحه * و الغادية بالرائحه * فاهتزّ ابوزيد لجوابه و ابتسم * وقال من اشبه اباه فما ظلم * قال الحارث بن همام فاُخبرتُ ان بني ساسان * حين سمعوا هذه الوصايا الحسان * فضّلوها على وصايا لُقمان * و حفظوها كما تُحفظُ اُمّ القرآن * حتى انهم ليرونها الى الان * اولى ما لقّنوه الصبيان * و انفعَ لهم من نِحلة العِقيان *

المقامة الخمسون البصرية

حكى الحارث بن همام قال أشعِرْتُ في بعض الايام همّا برّح بى استعارُهُ * ولاحَ على شعاره * وكنتُ سمعت ان غِشيان مجالس الذكر * يسرو غواشي الفكر * فلم ار لاطفاء ما بى من الجَمْره * الا قصدَ الجامع بالبصره * و كان إذ ذاك مأهول المساند * مشفوه الموارد * يُجتنى من رياضه ازاهيرُ الكلام * و يُسمع في ارجائه صريرُ الاقلام * فانطلقت اليه غيرَوان * و لا لاوٍ على شان * فلما وطئتُ حصاه * و استشرفت اقصاه * ترا أى لي ذو اطمار بالية * فوق صخرة عالية * و قد عَصَبت به عُصَبٌ لا يُحصى عديدُهم * و لا يُنادى وليدُهم * فابتدرتُ قصدَه * و توردت وِردَه * و رجَوْتُ ان اجدَ شفائي عنده * ولم ازَل انتقل في المراكز * واُغضي للاكز و الواكز * الى ان جلست تُجاهه * و بحيثُ امنتُ اشتباهه * فاذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه * و لا لَبْسَ

يُخفيه * فتسرّى بمرآه همّي * و ارفضّت كتيبة غمّي * و حين رآني * و بصر بمكاني * قال يا اهل البصرة رعاكم الله و وقاكم * و قوّى تُقاكم * فما اضوَع ريّاكم * و افضل مزاياكم * بلدكم اوفى البلاد طُهرة * و اركاها فطْرة * و افسحُها رُقعة * واسرعها نُجعة (†) * و اقومها قبلة * و اَوسعها دِجلة * و اكثرها نهرا و نَخْلة * و احسنها تفصيلا و جملة * دهليزُ البلد الحرام * و قُبالة الباب و المقام * و احد جناحَي الدنيا * و المصر المؤسّس على التقوى * لم يتدنّس ببيوت النيران * و لا طِيف فيه بالاوثان * و لا سُجِدَ على اديمه لغير الرحمٰن * ذو المشاهد المشهوده * و المساجد المقصوده * و المعالم المشهوره * و المقابر المزوره * والاثار المحموده * و الخطَط المحدوده * به تلتقي الفلك و الركاب * والحيتان والضِباب * و الحادي و الملّاح * والقانص و الفلّاح * والناشب والرامح * و السارح و السابح (‡) * و له آية المد الفائض * و الجزر الغائض * و اما انتم فمن لا تختلف في خصائصهم إثنان * و لا يُنكرها ذو شَنْآن * دهماؤكم اطوعُ رعيةٍ لسلطان * و اشكرهم لإحسان * و زاهدكم اورع الخليفة * و احسنهم طريقة على الحقيقة * و عالمكم علّامة كل زمان * و الحجة في كل آوان * و منكم من استنبط علم النحو و وضعه * و الذي ابتدع ميزان الشعر و اخترعه * و ما من فخر الا ولكم فيه اليدُ الطُولى * و القدح المعلّى * و انتم احق به و اولى * ثم انكم اكثر اهل مصرٍ مؤذنين * و احسنهم في النسك قوانين * و بكم اقتُدِي في التعريف * و عرُف التسحير في الشهر الشريف * ولكم اذا قرّت المضاجع * و هَجع الهاجع * تذكار يوقظ النائم * و يؤنس القائم * و ما ابتسم ثَغرُ فجْر * و لا بزَغ نورُه

(†) بقعة . (‡) والسابح .

في برد و لا حرّ * الّا و لتاذينكم بالاسحار * دويّ كدويّ الريح في البحار * و بهذا عنكم صدع النقل * و اخبر النبي عليه السلام من قبل * و بيّن ان دويكم بالاسحار * كدوي النحل في القفار * فشرفًا لكم ببشارة المصطفى * و واهًا لمصركم و ان كان قد عفا * و لم يبقَ منه الّا شفا * ثم انه خزن لسانه * و خطم بيانه * حتى خدج بالابصار * و قرف بالاقصار * فتنفّس تنفّس من قيد لقود * او ضبثت به براثن اسد * ثم قال اما انتم يا اهل البصرة فما منكم الا العلَم المعروف * و من له المعرفة و المعروف * و اما انا فمن عرفني فانا ذاك * و شرّ المعارف من آذاك * و من لم يتبت عرفتي * فساصدقه صفتي * انا الذي انجد و انهم * و ايمن و اشأم * و اصحر و ابحر * و ادلج و اسحر * نشات بسروج * و ربّيت على السّروج * ثم ولجت المضائق * و فتحت المغالق * و شهدت المعارك * و ذللت العرائك * و اقتدتّ الشوامس * و ارغمت المعاطس * و اذبت الجوامد * و اميعت الجلامد * سلوا عني المشارق و المغارب * و المناسم و الغوارب * و المحافل و الجحافل * و القبائل و القنابل * و استوضحوني من نقلة الاخبار * و رواة الاسمار * و حداة الركبان * و حذّاق الكهّان * لتعلموكم فجّ سلكت * و حجاب هتكت * و مهلكة اقتحمت * و ملحمة الحمت * و كم الباب خدعت * و بدع ابتدعت * و فرص اختلست * و اسد افترست * و كم محلّق غادرته لقًى * و كامن استخرجته بالرّقى * و حجر سحرته حتى انصدع * و استنبطت زلاله بالخدع * و لكن فرط ما فرط و الغصن رطيب * و الفود غربيب * و برد الشباب قشيب * فاما الان و قد استشنّ الاديم * و تاوّد القويم * و استنار الليل البهيم * فليس الا

اندم إن نفع * و ترقيع الخرق الذي قد اتّسع * و كنت رُويت فى الاثار المسنده * و الاخبار المعتَمَدة * ان لكم من الله تعالى في كل يوم نظرة * و ان سلاح الناس كلهم الحديد و سلاحكم الادعية(†) * فقصدتكم انضى الرواحل * و اطوى المراحل * حتى قُمت هذا المقام فيكم * ولا مَنّ لي عليكم * اذ ما سعيت الا في حاجتي * ولا تعبت الا لراحتي * و لست ابغي اعطيتكم * بل استدعي ادعيتكم * و لا اسألكم اموالكم * بل استنزل سؤالكم * فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمَتاب * و الاعدادَ للمآب * فانه رفيع الدرجات * و مُجيب الدعوات * و هو الذي يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيآت * ثم انشد * نظم

آستغفر اللــه من ذنــوب * أفرطتُّ فيهــن و اعتديت
كم خُضتُ بحــر الضلال جهلا * و رُحت فى الغيّ و اغتديت
و كم اطعت الهــوى اِغترارا * و احتلت و اغتلت و افتريت
و كم خلــعت العذار رَكضــا * الى المعــاصي و ما ونيت
و كم تنــاهيْتُ فى التخطي * الى الخطــايا و ما انتهيت
فليتنــي كنت قبــل هذا * نسيــا و لم آجنِ ما جنيت
فالمــوت للمجرمين خيــر * من المساعى التي سعيت
يا رب عفــوا فانت اهــل * للعفــو عني و ان عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء * و هو يُقلّب وجهه فى السماء * الى ان دمعت اجفانه * و بدا رجفانه * فصاح الله اكبر بانت آمارة الاستجابة * و انجابت غشاوة الاسترابة * فجُزيتم يا اهل البصرة * جزاء من هدى من الحيرة * فلم يبق فى القوم

(†) الحديد * و سلاحكم الادعية والتوحيد *

الا مَن سُرَّ امرورة * و رَضَخ له بمَيسورة * فقبِلَ عفوَ برّهم * و اقبل يهرِف في شكرهم * ثم انحدر من الصخرة * يؤم شاطئَ البصرة * و اعتقبته الى حيث تخالينا * و امنًا التجسس و التحسس علينا * فقلت له لقد اغربتَ في هذه النوبة * فما رأيك في التوبة * فقال أقسم بعلّام الخفيّات * و غفّار الخطيّات * ان شاني لَعُجاب * و ان دعاء قومك لمُجاب * فقلت زِدني افصاحا * زادك الله صلاحا * فقال و ابيك لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع * ثم انقلبت بقلب المُنيب الخاشع * فطوبى لمن صغَتْ قلوبهم اليه * و ويلٌ لمن باتوا يدعون عليه * ثم ودّعني و انطلق * و اودعني القلق * فلم ازل آعاني لاجمه الفكَر * و اتشوّف الى خبرة ما ذكَر * و كلما استنشيت خبَره من الركبان * و جوّابة البُلدان * كنت كمن حاور عَجماء * او نادى صخرةً صمّاء * الى ان لقيت بعد تراخي الامد * و تراقي الكمَد * رَكبا قافلين من سفر * فقلت هل من مغرّبة خبَر * فقالوا ان عندنا خبرا اغرب من العَنقاء * و اعجب من نظر الزرقاء * فسالتهم ايضاح ما قالوا * و ان يكيلو لي مما اكتالوا * فحكوا انهم ألمّوا بسروجَ * بعد ما فارقها العُلوجُ * فراوا بها ابا زيدها المعروف * قد لبس الصّوف * و أمّ الصفوف * و صار بها الزاهد الموصوف * فقلت أ تعنون ذا المقامات * فقالوا انه الان ذو الكرامات * فحفزني اليه النزاع (†) * و رايتها فرصة لا تُضاع * فارتحلت رِحلة المعِد * و سرت نحوه سيرَ المُجِد * حتى حللت بمسجده * و قرارة متعبّده * فاذا به قدنبذ صحبة اصحابه * و انتصب في محرابه * و هو ذو عباءة مخلولة *

(†) فهيجوا نزعي اليه فحفزني الشوق للوفادة عليه فحفزني *

و شملة موصولة * فبهته مهابة من ولج على الاسود * و الفيته ممن سيماهم في وجوههم من اثر السجود * و لما فرغ من سبحته * حياني بمسبحته * من غير ان نغم بحديث * و لا استخبرني عن قديم و لا حديث * ثم اقبل على اوراده * و تركني اعجب من اجتهاده * و اغبط من يهدي الله من عباده * و لم يزل في قنوت و خشوع * و سجود و ركوع * و اخبات و خضوع * الى ان اكمل اقامة الخمس * و صار اليوم امس * فحينئذ انكفأ بي الى بيته * و اسهمني من قرصه و زيته * ثم نهض الى مصلاه * و تخلى بمناجاة مولاه * حتى اذا التمع الفجر * و حق للمتهجد الاجر * عقب تهجده بالتسبيح * ثم اضطجع ضجعة المستريح * و جعل يرجع بصوت فصيح * نظم

خل ادكار الاربـــع * و المعهـــد المرتبع * و الظاعن المـــودع
و عد عنـــه ودع

و اندب زمانا سلفا * سودت فيـه الصحفا * و لم تزل معتكفـــا
على القبيح الشنع

كم ليلة اودعتهـــا * مآثمـــا ابدعتهـــا * لشهـــوة اطعتهـــا
في مرقد و مضجع

و كم خطى حثثتها * في خزية احدثتها * و توبة نكثتهـــا
لملعب و مرتع

و كم تجرأت على * رب السموات العلى * و لم تراقبـــه و لا
صدقت فيما تدعي

و كم غمطت برة * و كم امنت مكـــره * و كم نبذت امره
نبذ الحـــذا المرقع

وكم ركضت في اللعب * وفهت عمداً بالكذب * و لم تُراع ما يجب
من عهده المتّبع

فَالْبَسْ شعار النَدَم * واسكب شآبيبَ الدم * قبل زوال القدم
و قبل سوء المَصْرع

واخضع خُضوع المعترف * و لُذْ ملاذ المقترف * واعصِ هواك وانحرف
عنه انحراف المُقلِع

إلام تسهو و تني * و مُعظَم العمر فني * فيما يضُرّ المقتني
و لستَ بالمرتدِع

اما ترى الشيب وخط * وخطَّ في الراس خُطط * ومن يلُح وخط الشمَط
بفوده فقد نُعي

ويحك يا نفس احرصي * على ارتياد المخلص * و طاوعي و اخلِصي
واستمعي النصح وعي

و اعتبري بمن مضى * من القرون و انقضى * واخشَيْ مفاجاة القضا
وحاذِري ان تخدعي

و انتهِجي سُبْل الهُدى * وادَّكري وشْكَ الردى * فان مثواكِ غدا
في قعر لحد بَلقع

آهًا له بيت البلا * و المنزل القَفْر الخلا * و مورد السفر الأُلى
و اللاحق المتبع

بيتٌ يرى من أُودعه * قد ضمَّه و استودعه * بعد الفضاء و السعه
قيدُ ثلاث اذرع

لا فرق ان يحُلَّه * داهيةٌ او ابله * او مُعسر او من له
مُلك كملك تُبَّع

و بعده العرضُ الذي * يحوي الحيَّيَ والبذي * والمبتدي والمحتذي
ومن رعى ومن رُعي

فيا مفازَ المتقي * و ربحَ عبدٍ قد وُقي * سوءَ الحساب المُوبِق
و هول يوم الفزِع

و يا خسارَ من بغى * و من تعدى و طغى * وشبَّ نيران الوغى
لمطعم او مطمع

يا من عليه المُتَّكَل * قد زاد ما بي من وجل * لما اجترحت من زلل
في عمري المضيَّع

فاغفر لعبدٍ مُجترم * و ارحم بكاه المنسجم * فانت اولى مَن رحِم
و خير مدعوٍّ دُعي

قال فلم يزل يُرددها بصوت رقيق * و يَصلها بزفير و شهيق * حتى بكيت لبكاء عينيه * كما كنت من قبلُ ابكي عليه * ثم برز الى مسجده * بوضوء تهجده * فانطلقت ردفه * وصليت مع من صلى خلفه * و لما انفضَّ من حضر * و تفرقوا شغَر بغَر * اخذ يُهيْنِمُ بدرسه * و يُسبك يومه في قالب امسه * و في ضمن ذلك يرِنُّ ارنان الرَّقوب * و يبكي و لا بكاء يعقوبَ * حتى استبنت انه قد لحق بالأفْراد * و أشرب قلبه هوى الانفراد * فاخطرت بقلبي عزمة الارتحال * و تخليته و التخلي بتلك الحال * فكانه تفرَّس مانويت * او كُوشف بما اخفيت * فزفر زفرة الاواه * ثم قرا فاذا عزمت فتوكل على الله * فاسجلت عند ذلك بصدق المحدّثين * و ايقنت ان في الامّة محدَّثين * ثم دنوت اليه كما يدنوا المصافح * و قلت اوصني ايها العبد الصالح * فقال اجعل الموت نصب عينك * و هذا فراق بيني و بينك * فودَّعته و عبراتي يتحدَّرن

من المآقي * و زفراتي يتصعّدن من التراقي * و كانت هذه خاتمة التلاقي *

قال القاسم بن علي * هذا آخر المقامات التي انشأتها بالاغترار * و امليتها بلسان الاضطرار * و قد أُلجئت الى ان ارصدتها للاستعراض * و ناديت عليها في سوق الاعتراض * هذا مع معرفتي بانها من سقط المتاع * و مما يستوجب ان يُباع ولا يبتاع * و لو غشيني نور التوفيق * و نظرت لنفسي نظر الشفيق * لسترت عُواري الذي لم يزل مستورا * و لكن كان ذلك في الكتاب مسطورا * و انا استغفر الله تعالى مما اردعتها من اباطيل اللغو و اضاليل اللهو * و استرشده الى ما يَعصم من السهو * و يحظى (†) بالعفو * إنه هو اهل التقوى و اهل المغفره * و وليّ الخيرات في الدنيا و الاخره *

قد تمت مقامات الحريري * بعون الله الغني *

(†) و يخطي بالعفو *

Kasim ibn 'Ali, called al-Hariri

THE

MAQÁMÁT OF HARIRÍ.

FOR THE

DEGREE OF HONOR EXAMINATION.

IN

ARABIC,

FOR

OFFICERS IN THE MILITARY AND CIVIL SERVICES,

UNDER THE SUPERINTENDENCE

OF

MAJOR H. S. JARRETT.

Secy., Board of Examiners.

Published by Authority.

PRINTED BY MAWLVI KABIR-UDDIN AHMAD, AT THE URDOO GUIDE PRESS.

CALCUTTA,

1882.